

في بلاد همبستان!

مقالات ساخرة

دكتور

مصطفى رجب

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

في بلاد همبستان : مقالات ساخرة / مصطفى رجب .- ط١.-

كفر الشيخ : العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2008.

١٩٢ ص ؛ 24سم .

تدمك : 5 - 238 - 308 - 977

١. المقالات العربية .

رقم الإيداع : ٢٠٣٧٤ / ٢٠٠٨ .

الناشر : العلم والايمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات - ميدان المحطة

هاتف : 0020472550341 - فاكس : 0020472560281

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com

elelm_aleman@hotmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحذير:

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأى شكل

من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

2009

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	١- التعمية بالتنمية!!
٢٢	٢- فقر الفكر وفكر الفقر!!
١٦	٣- دريس من كتاب (التهجي) !!
٢٠	٤- حمامة لكل مواطن..!!
٢٤	٥- هيئة [النشل] العام.
٢٦	٦- أهداف الجامعة الأمريكية - بالقاهرة (دراسة وثائقية منذ النشأة حتى عام ١٩٨٠ م).
٣٥	٧- جمعية البكاء بالعكس !!!
٣٧	٨- وحوشٌ ..و"وحوش" !!
٤٣	٩- الجمليزم والهلاليزم .. وبناء المستقبل !!
٥٠	١٠- سيبويه في ميدان طلعت حرب !!
٥٣	١١- ٩٠ دقيقة من (الفكاكة).
٥٧	١٢- " أستاذ دكتور" .. بربع جنيه !!.
٦٠	١٣- " تذكير " الجامعات بأنها " مؤتنة " ...!!
٦٥	١٤- الأدعية الشعبية: البنية والدلالة.
٧٤	١٥- نمونج مما يجهله الشيخان التنويريان ..!!

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
٨١	١٦- دين دريم // !!
٨٥	١٧- هكذا يكون التطوير يا قوم...!!!
٨٨	١٨- لسان همبستان ..!!
٩٢	١٩- لغة - لا مؤخدة - العلم !!
٩٧	٢٠- مما تجهله الخفافيش...!!
١٠٢	٢١- الأكاديميون واللات والعزى والعم سام !!!
١٠٦	٢٢- جلسة " في السليم " !!!
١٠٩	٢٣- ما هذه "الذكاوة؟" الفائقة؟
١١٤	٢٤- لجان الإقطاع الجديدة!!!
١١٦	٢٥- قبسات من لسان بني همبكة.
١٢٠	٢٦- في فلسفة الطواير.
١٢٣	٢٧- في استحالة العولة !!
١٢٦	٢٨- زكريا غنيم ليس عضواً في الحزب الحاكم...!!
١٣٣	٢٩- سماح...!!!
١٣٧	٣٠- فقر الفكر في جامعاتنا!!!
١٤٢	٣١- حلوة التطبيقع !

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع
١٥٠	٣٢- جامعات تعلو وجامعات تتهاوى !!
١٥٦	٣٣- " تعقيم" التعليم !!
١٦٠	٣٤- يم...!!
١٦٤	٣٥- بالتربية لا بالقانون !!
١٧٣	٣٦- إرشاد اللبيب إلى فنون التسريب !!
١٧٧	٣٧- اشترِ صحتك . . . وودّع تليفزيون الحكومة !!
١٧٩	٣٨- مضار نشرة أخبار تليفزيون الحكومة.
١٨٢	٣٩- السد العالي هرب... !!!
١٨٥	٤٠- أمريكا تصنع جوع العالم الثالث.
١٨٩	٤١- إيضاح العِلل للهِلال والجَمَل...!!

التعمية بالتنمية!!

بدأ الاهتمام الحقيقي بتنمية الصعيد في حقبة التسعينيات ، مع تزايد موجات الإرهاب واستهداف بعض المواقع والشخصيات الأمنية في محافظات : قنا وأسيوط والمنيا واستهداف بعض البنوك ومحال الذهب في محافظة سوهاج ، ولم يكن من العسير تفسير هذا القدر الكبير من العطف والولع والهيام والغرام الذي وقُرَّ في قلب حكومات مصر المتعاقبة بالصعيد ، فالحكومات خافت على مصالحها ورجالها ، فقررت " التنمية " وظهرت التنمية في إنشاء آلاف " المطبات " الصناعية الشديدة العنف على طريق القاهرة / أسوان السريع ، وأتذكر أنني في عام ١٩٩٩ كنت متوجهاً من سوهاج لأسيوط لمناقشة رسالة علمية بجامعة أسيوط ، وكان بصحبي نفر من زملائي وتلاميذي ، وكان أحدهم من هواة الأرقام فأحصى المطبات على هذا الطريق السريع في هذه المسافة التي تبلغ مئة كيلو متر ، فوجدها أربعين مطباً بالتمام والكمال ، أيسرها يكفي ل (شقلبة) الدبابات والمصفحات ، لولا أن سائقي المنطقة اعتادوا على الالتفاف حولها اقتداءً بحكومتهم في الالتفاف على التشريعات التي تصدر أحياناً - على سهو من الحكومة - فتبدو فيها شبهة احتمال رائحة راحة للمواطن !! فتسرع الحكومة بالالتفاف حولها حفاظاً على سكان مصر من الركون إلى الراحة والتلذذ بها مما يعطلهم عن (الإنتاج) !!

وإيماناً من الحكومة بـ (التنمية) أقامت عشرات الأكمنة ونقاط التفتيش على الطريق البائس المذكور ، لأن الأربعين مطباً يستحيل أن تغطي مئة الكيلومتر ، فكان وجود الأكمنة ونقاط التفتيش - في غير مواقع المطبات - ضرورياً لتكتمل مسيرة الأمن والأمان وتنتعش منظومة التنمية ، و(يلعلع) الاستقرار في ربوع الديار . وبالطبع لا يمكن أن يعمل في تلك الأكمنة ونقاط التفتيش لواءات أو عمداء أو عقداً أو مقدمون ، فهذه رتب عليا لا

يصح تعريضها لمتاعب الطرق ، وإنما هم الملازمون والملازمون الأولون والنقباء ، والرؤاد أحيانا ويجلس الواحد منهم داخل الكمين، ويضع المخبرين والعساكر السود والقيود على الطريق ، ويوقفون العربات حتى ليكاد طابور الانتظار يصل إلى خمسمائة متر ريثما تفحص أوراق كل عابر ، ولا عبرة بمن يريد أن يلح موعداً ، أو يوقف نزيفاً ، أو يؤدي امتحاناً ، أو يشهد جلسة في محكمة ، إذ (لا صوت يعلو فوق صوت التنمية !!) .

ولو أن أمر التنمية وكل إلى الأمن حقيقة لرأينا سجوناً تبنى في المحافظات المحرومة من نعمة السجون ، ولكن لم أشهد بناء سجن واحد خلال ربع قرن ، في تلك المحافظات ، بل يتوجب على من لهم أبناء مسجونون أن يتكبدوا مشاق السفر من أقصى الصعيد إلى أدنى الأرض في سجون القاهرة والقناطر والشمال بوجه عام .. وقد يسافرون ويتكبدون المشقة والجهد والمال ثم يحال بينهم وبين رؤية نويهم .

والحديث عن السفر إلى القاهرة ذو شجون ، فعدد القطارات لم يزد ، وأحوالها فقط هي التي تزداد تردياً وانتكاساً ، وخلال كل شهر يضطرني عملي في المجالس المتخصصة والمجلس الأعلى للثقافة أن أسافر للقاهرة ثلاث مرات على الأقل ، وفراً من عذاب المطبات على الطريق الزراعي ، أستخدم القطار ، وأشهد الله تعالى أنني ركبت ثلاث مرات متتاليات في شهرين قطارات من أفخم ما على الخط فما وجدت مرة واحدة دورة مياه بها مياه ، ولكنني قرأت تصريحاً للوزير المختص يؤكد أن الخدمة تحسنت وأشهد الله أنها ساءت ومعني الملايين يشهدون ، وكارثة احتراق القطارات تتكرر كل شهرين وتتدخل العناية الإلهية في اللحظات الأخيرة لأن قومنا فقراء ضعفاء وكفاهم ما هم فيه من بؤس وشقاء ، والجثث التي يقدمونها يومياً على الطريق الذي وصفت وفي القطارات تعادل ثلث ضحايا الطرق في العالم طبقاً لإحصاءات دولية نشرت هذا العام

وعدد الشهداء يومياً (ولا أقول القتلى كما وصفهم عاطف عبيد يوم حادث القطار) يفوق من تقتلهم إسرائيل في غزة والضفة والحدود .

وحتى لا أكون متجنياً أو متشائماً أو عميلاً للأمريكان والروس والأفغان معاً ، فمن الحق أن أشيد بأن مسيرة التنمية ازدهرت جداً في محافظة البحر الأحمر ، فقد اكتشف (الجماعة) أن الغردقة جوها يخلب اللب ، ويهدئ النفس ، فتكأوا عليها وأقاموا بها قرى سياحية ونادياً للعبادة ، وفنادق متعددة الأنجم ، ومطاعم فخمة تقدم كل ما طاب ولذ لكل من سما وبذ ، وقامت قيامة - لا مؤخدة - التنمية في تلك الغردقة ، وبيعت أراضيها لبعض الكبار الذين يضيرهم ظهور أسمائهم ، وتسترئوا وراء أسماء تجار معرئفين لا يضيرهم ظهور أسمائهم فتسورس من تسورس ، وتبهجت من تبهجت ، وتفرد وتخمس من شاء أن يتفرد ويتخمس وتعينن من تعينن ، وتحول أهل الصعيد الأصليون إلى سمار ليال ، وخدم مؤاد ، وفتيات ليل ، فازدهرت (التنمية) شراردهار حتى ترك الغربيون بلادهم فراراً من جمود التنمية بها وهرعوا سراعاً إلى بلادنا ليشهدوا " منافع " لهم .

أما أن تكون التنمية مضاعفة عدد القطارات لتضاعف عدد مستعمليها أو تحسين أحوالها ولو بتخليصها من الفئران ، ووضع مياه بدورات مياهها ، وأما أن تكون التنمية بإنشاء طرق برية بديلة ، وتخفيف القهر والعذاب اليومي للناس في نقاط التفتيش وعدم إيقاف إلا المشتبه بهم ، وإزالة " المطبات " القاصمة للظهور ، وأما أن تكون التنمية إنشاء مستشفيات كبرى كتلك التي تتفرد بها القاهرة وأخواتها ، وإنشاء مصانع كبرى تمتص العمالة المكدسة في المقاهي ، وأما أن تكون التنمية تصحيحاً لمفهوم قديم يعتنقه (الجماعة) وهو أن الصعيد مجموعة من عائلات النفوذ يتحتم أن تكون هي الممثلة لا غير - للناس ، وأما أن تكون التنمية إدخال الصرف الصحي في المدن والقرى فهذا كله

أضغاث أحلام ، وسفسطة أكاديميين ، أخرى بهم أن تلهوا بها في أبحاثهم وكتبهم
فالتنمية الحق في عرف حكوماتنا هي (التعمية) : أي تعمية الصعيد وإلهاء في
مشروعات وهمية ريثما يتم استثمار آخر شبر من العردقة لأن بعض جيران الجماعة
وأصحابهم كانوا مشغولين ولما يلحقوا بإخوانهم الذين سبقوهم بالاستثمار في تلك البقعة
(الطاهرة) من أرض الكنانة .

أقول قولِي هذا وأنا ما زلت أحس إحساسا عميقا - ولا أعرف لماذا - أن هناك

وجه شبه شديداً وواضحاً ، بين علي المصليحي ومعاوية ولد سيدي أحمد صايح !!

فقر الفكر وفكر الفقر !!

من الظواهر التي تستوقفني كثيراً في حياتنا العربية المعاصرة ظاهرة متكررة ملموسة محسوسة في جميع مناسط حياتنا بدرجات مختلفة ، وهي ظاهرة يمكن أن نقترح لها أحد اسمين : إما أن نسميها

(تكيس الخيبة !!)

ويمكن أن نسميها بما جعلناه عنواناً لهذا المقال ، أعني (فقر الفكر وفكر الفقر) والمقصود - في الحالين - وصف ما تفتق عنه أفكارنا وتصرفاتنا مما نلنّه (إبداعاً) وما هو بإبداع ولا (بتاع !!) ، والتمس ما شئت من أدلة على صحة ما أزعم ، فستجد تلك الأدلة ملقاة على قوارع الطرق ، فالتفكير في حل مشكلة الدروس الخصوصية - عند من يرونها مشكلة - يبدأ وينتهي عند أسلوبين اثنين : إما تشديد العقوبات على المعلمين ، أو تغيير نظم الامتحانات !! فهل يمكنك أن تسمي هذا إلاً فقراً في الفكر؟ وكيف لا يكون فقراً وهناك عشرات الحلول لتلك المشكلة - إن كانت فعلاً مشكلة - أيسرها وأقربها إلى العقل وأدناها إلى الصواب هو تحسين أحوال المعلمين المادية (كما هو الحال مع القضاة والضباط) حتى لا يبحثوا عن موارد أخرى ليحيوا الحياة "المستورة" ولا أقول اللاتقة أو الكريمة ، ومن تلك الحلول أيضاً ، تغيير أنماط الإدارة المدرسية بحيث تصبح لمدير المدرسة سلطة واسعة نهائية في الثواب والعقاب فتعود للمدرسة هيبتها التي أضعها أذئاب الصهاينة ورعاة التطبيع يوم قدموا مسرحيتهم العفنة (مدرسة المشاعبين) ليدمروا أعز ما في المجتمع من قيم ترعاها أسمى ما في المجتمع من مؤسسات .

وهناك حلول أخرى كثيرة لكنها لم ولن تخطر على بال أولئك النفر المشبوهين من أساتذة التربية الذين دأبت الوزرة على شرائهم بالمنح والعطايا والسفريات فاستمروا

القيام بدور المحلل الديوث الذي يحلّ ما حرم الله بثمن بخس ، ولسوف يشهد تاريخ التعليم المصري بعد انجلاء الغمة تسجيل صفحات سود تحوي وجوهاً كالحة أباحت - باسم التربويين وهم لم يفوضوها ولم يعترفوا بها يوماً - إلغاء السنة السادسة الابتدائية ، ثم عادت الوجوه نفسها بابتساماتها الباهتة ، ووجوها الصُّفر لتسوّغ لصاحب القرار إعادة تلك السنة بعد أن نال الرأسماليون مبتغاهم وأنشأوا جامعاتهم ومعاهدهم الخاصة ، التي لم يجدوا مسوّماً للتعجيل بالموافقة عليها إلا بأن تكون هناك سنة بها دفعة مزدوجة من حملة التوجيهية .

فكيف لأصحاب تلك العظام النخرة أن يبدعوا حلوّاً ؟ أو أن يقترحوا جديداً ؟ هاهم أولاء يعيدون خبز ما عجنوه في الستينيات تحت مسمى (الكفاية الإنتاجية) ليقدموه تحت اسم (متطلبات الجودة) ويتحدثون عن (الرؤية) و (الرسالة) وهم يعلمون ألا رؤية في بلادنا إلا لمن يطعمهم من جوع !! أفليس هذا فقراً في الفكر نجم عن فكر فقراً؟ انظر إلى قناتين تتنافسان هما دريم الثانية والمحور ، لتجدهما في صراع عجيب ، تقدم الأولى برنامجاً مرتبطاً في اسمه بالتوقيت هو "العاشرة مساءً" وينجح البرنامج فتستنسخه أختها منها حذوك النعل بالنعل كما يقول المثل العربي القديم فتنجح برنامجاً مرتبطاً في اسمه بالتوقيت هو " ٩٠ دقيقة " ولا مقارنة - للأمانة - بين منى الشاذلي بوطنيتها وذكائها وخفة ظلها وحرصها على العربية الفصحى ، والأخ معتز الدمرداش المولع بكلمة (COOL) والمفتون بها بحيث يريدها ستين مرة في كل حلقة بخفة ظل تضحك الثكالي !! ، وحين تقدم " دريم الثانية " برنامجاً مرتبطاً في اسمه بالصحافة اسمه (الطبعة الأولى ويقدمه صحفي لبق مثقف رائع هو أحمد المسلماني ، تسارع " المحور " فتقدم برنامجاً مرتبطاً في اسمه بالصحافة اسمه (الصفحة الأخيرة) يقدمه مواطن لم أفلح في

حفظ اسمه على مدى ربع القرن الأخير... وشتان!! الشاهد فيما سبق هو الاستنساخ الذي يدل على فقر في الفكر ومجانبة للإبداع، وتجااف عمدي عن بذل أي جهد وقتل مثل ذلك فيما تتفتق عنه أفكار وزراءنا المحرّسين، فحين تفاقمت مشكلة طواير الخبز، أفلتت من فم أحدهم عبارة (فصل الإنتاج عن التوزيع!!) ودخلت هذه العبارة البليغة الخالدة التاريخ من (أوسخ) أبوابه لتستقر مع أخواتها الهولك: " النفط مقابل الغذاء " - الأرض مقابل السلام - التي تطورت إلى " انسحاب كامل مقابل تطبيع شامل " .

واستمسك الكبار بتلك العبارة وغفلوا عما وراءها من خبث نية، ف" فصل الإنتاج عن التوزيع " فيه إحياء بأن الخبازين لصوص، وهو ما جاء حرفياً على لسان قاض جليل هو المستشار عدلي حسين محافظ القليوبية الذي نسبت إليه جريدة "المصري اليوم" بعددها رقم ١٤٢٧ الصادر يوم السبت الموافق العشر من مايو ٢٠٠٨ قوله: " لما ممكن يكسبوا ٢٠ جنيه بالحلال في الجوال الواحد، ويختاروا يكسبوا ٢٠٠ جنيه في الجوال الواحد ببيعه في السوق السوداء، يبقى أكيد همّ مستعدين يروحوا جهنم بجوار شجرة الزقوم!!" وأضاف الجريدة: " هكذا عبر المستشار عدلي حسين، محافظ القليوبية عن ضيقه الشديد من ممارسات بعض أصحاب المخايز، الذين وصفهم بـ « الحرامية » و« أصحاب الحيل الشيطانية ». ولم يكتف عدلي حسين عن التعبير عن غضبه، بل هدد في اجتماع مجلس محلي المحافظة، أصحاب المخايز المتلاعبين بإلغاء تراخيصهم كعقوبة أخيرة، لمواجهة ممارساتهم وحيلهم الشيطانية لسرقة الدقيق أو الخبز أو تغيير مواصفاته وتشغيل ٥٧ مخبزاً جديداً بدلاً منها.

وأضاف: « لن أترك المواطنين يذلون أنفسهم لأصحاب المخايز (الحرامية) والمحافظه تملك أكثر من ٥ مخايز اشترتها من حصيلة الغرامات التي بلغت ٢ مليون جنيه وتستطيع سد العجز في الخبز».

واتهم المحافظ أصحاب المخايز بالعمل علي إفتشال خطة الدولة بفصل الإنتاج عن التوزيع، ووقف تهريب الدقيق، كما دافع عن قراره تخفيض وزن الرغيف ٢٠ جراماً، لتوفير ٥.٢ مليون رغيف، موضحاً أن الرئيس مبارك فوض المحافظين في تحديد وزن ومواصفات الرغيف وقال إن عقد المخايز مع وزارة التضامن يسمح لهم بخصم ١٠ جرامات من وزن الرغيف وجرامين آخرين هدية من الوزارة، وباقى الـ ٢٠ جراماً هي من عجينة الرغيف بسبب عدم خبز، بالمواصفات المطلوبة.

وتراجع حسين عن قرار تعبئة الخبز في أكياس، لمواجهة مشكلة ارتفاع سعر السولار مشيراً إلي أن (التكييس) يكلف صاحب المخبز ٧ جنيهات، وتكلفة زيادة سعر السولار حوالي ٨٥.٣ جنيه، كما تراجع عن قرار خصم رغيفين، ليحصل المواطن علي الخبز كاملاً.

انتهى ما نشرته الجريدة وفي كلام معالي المحافظ عدة بوائق :

الأولى: وصف فريق من المصريين الذين يستثمرون أموالهم فيما ينفع الناس بإنشاء المخايز بأنهم لصوص !! أهكذا يصف الحكام المحكومين؟ أيعكس هذا الوصف ما استقر في وجدان الحكومة عن شعبها الصبور.؟

والثانية: قوله بالحرف " أن الرئيس مبارك فوض المحافظين في تحديد وزن ومواصفات الرغيف " والتفويض - كما يعلم أي دارس للقانون - فرع من أصل ، وتنازل عن اختصاص أصيل أنيط بصاحب سلطة ثم رأى بذله لمن هو أدنى منه درجة في سلم

الوظائف فهل يكون [تحديد وزن ومواصفات الرغيف] اختصاصاً أصيلاً لرئيس الدولة حتى يفوض فيه رجاله ؟ ما هكذا يكون العبث بمقام رئيس الدولة أيتها الحكومة ، لو قال هذه العبارة رجل لا صلة له بالقانون لقبناها وقلنا إنه يعني غير ما قال ، أما أن يقولها من يعرف حقيقة التفويض فتلك بائقة بلا شك .

والثالثة: التفكير في حل المشكلة بخلق مشكلة أخرى هي (تكييس الخبز) وهو من فرائد وغرائب إبداعات القليوبية ، وهو ليس من باب فقر الفكر ولا فكر الفقر ، ولكنه من باب لما تعرفه البشرية حتى الآن من أبواب العبقرية .

وقديماً كان أحد الأدباء قد ابتلي بكاتب يملي عليه فيكتب له بالأجر ، وكان ذلك الكاتب في عبقرية الأخ معتز فقال ذلك الشاعر فيه :

يعي غير ما قلنا ، ويكتب غير ما

يعيه ، ويقرأ غير ما هو كاتبٌ

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نردد :....." فلتحي مصر حرة .. خمسين ألف مرة " كما قال

أخونا الزعبلوي الدمياطي !!!

دروس من كتاب (التمجى) !!

الدرس الأول :

شريف تلميذ نشيط - شريف يصحو مبكراً ويشرب اللبن ويذهب إلى المدرسة - شريف يمشي على يمين الطريق ويعبر الشوارع من الأماكن المخصصة لعبور المشاة - مدرسة شريف (برغم أنها في قلب الواحات) ، مدرسة جميلة ونظيفة ومتطورة ومنتجة وصديقة للبيئة !! - ولهذا ظهرت عليها علامات الجودة والاعتماد !! - شريف مبسوط لأن مدرسته نالت جائزة التميز المدرسي

الدرس الثاني :

"زغلول أفندي" أمين مختبر بكلية حقوق العلوم الصيدلانية البيطرية التربوية بجامعة "الصبرطيب" بجمهورية همبستان والتي حصلت منذ عامين على المركز الأول من بين أسوأ ٥٠٠ جامعة على مستوى العالم - عميد الكلية رجل مهذب وعلى خلق رفيع ويتميز بالجودة والاعتماد، ومشهود له بالكفاءة في العمل بالمشروعات المشتركة ، وهو بالإضافة إلى ما سبق: جميل ونظيف ومتطور ومنتج وصديق للبيئة !! - السيد العميد عيّن زغلول أفندي مساعداً أول للسكرتير الثالث لسعادة مدير عام مكتب الأستاذ الدكتور/ النائب الثاني لمدير وحدة الجودة بالكلية - زغلول أفندي تفانى في أداء عمله فكان يقضي بالمكتب ست ساعات كل ليلة ليرضى عنه رؤساءه - وكلما طالبته زوجته بـ "الجودة" في أداء حقوقها الزوجية تعلل بأن إجهاد العمل أمر طارئ - ويأن ما ينتظره من مكافآت (في نهاية المشرع) سيخصص معظمه لعلاج الآثار (الجانبية) للإرهاق "والصبرطيب ومحمود العاقبة".

الدرس الثالث :

تم توزيع مكافآت المشرع [المخصص له نصف مليون جنيهه] على النحو التالي :

- معالي الوزير (راعي المشرع) ٢٥٠ ألف جنيهه.
- مدير عام مكتب معالي الوزير (مسؤول المتابعة للمشرع) ٥٠ ألف جنيهه.
- معالي رئيس الجامعة (المشرف العام على المشرع) ١٢٠ ألف جنيهه.
- نائب رئيس الجامعة (نائب المشرف العام على المشرع) ٨٠ ألف جنيهه.
- عميد الكلية (مدير المشرع) ٥٠ ألف جنيهه.
- وكيل الكلية (المدير التنفيذي للمشرع) ٣٠ ألف جنيهه.
- السادة الدكاترة (أعضاء المشرع) ١٨ دكتوراً ٢٤١٨ جنيهه لكل منهم.
- السيد أمين الكلية (المسؤول الإداري للمشرع) ١٥٥٦٩ جنيهه.
- السيد مدير مكتب رئيس الجامعة (المسؤول المالي للمشرع) ١٨٩٩٢ جنيهه.
- زغلول أفندي (الذي سهر ٢٥٠ ليلة ٦ x ساعات ، وكتب على الحاسوب ٨٦٥٤ صفحة ٤A وسافر تسع عشرة سفيرة من ماله الخاص واستهلك ٤٥٨ كارت محمول فئة ٥٠ جنيها) خصصت له مكافأة مجزية تقديراً لجهوده غير العادية بلغت ٨٩ جنيها .

الدرس الرابع :

زغلول أفندي يرقد في المستشفى الجامعي مصاباً بجلطة - المستشفى جميلة ونظيفة ومتطورة ومنتجة وصديقة للبيئة !! - رئيس الجامعة بتواضعه المعروف تولى الكشف الطبي بنفسه على زغلول أفندي [مع أن تخصص معاليه "محاسبة " ، لكنه .. تواضع العلماء الأجلاء !!] - التقرير الطبي لزغلول أفندي يشير إلى أنه يعاني من صعوبات

في النطق مصحوبة بإسهال عنيف ، وحالة من التهته ، ويردد عدة كلمات بشكل هستيري (الجودة - التميز - الاعتماد) - زوجة زغلول أفندي خلعتة بدعم كبير من المجلس القومي للمرأة بجمهورية همبكيستان - وقبل انتهاء عدتها تزوجها نائب رئيس الجامعة زواجاً عرفياً طمعاً في الحصول على المكافأة التي نالها زوجها السابق زغلول أفندي من المشروع !!

الدرس الخامس :

شريف بن زغلول أفندي سعيد لأن مدرسته دخلت مرحلة الاعتماد (على القروض) - زغلول أفندي بحاجة إلى علاج على نفقة الدولة - الدولة مشغولة " حبتين " عن زغلول أفندي بأحداث طارئة -

الدرس السادس :

شريف أنهى دراسته في المدرسة الابتدائية ثم الإعدادية ثم الثانوية ثم تخرج في كلية السياسة الطبية والاقتصاد الهندسي لعلوم البيئة بجامعة ١٨ يونيو الخاصة بمدينة ٢٤ أبريل التي تحولت إلى ولاية خاصة في التنظيم الجديد لهمبكيستان - شريف بحث عن عمل حكومي فلم يجد - فلم يضع وقته والتحق بفرقة موسيقية تصاحب راقصة رشيقة - الراقصة تتميز بجسد حساس جذاب أشد مرونة من قرارات يوسف بطرس غالي - شريف عمل طبالاً فأظهر مهارة فائقة أهّلته للترقي إلى رجل أعمال كبير.

الدرس السابع والستون بعد المائة التاسعة عشرة :

شريف بك تبنى مشروعاً قومياً لإدخال التكنولوجيا لكل مدارس الدولة بشرط أن تكون المدرسة قد قامت بواجباتها خير قيام حتى ظهرت عليها علامات الجودة والاعتماد !! فأصبحت مدرسة جميلة ونظيفة ومتطورة ومنتجة وصديقة للبيئة !!

=====

راجع :

كتاب التهجي (تعليم القراءة والكتابة) تأليف محسن حسان حسونة حسن
حسين البهلواني وآخرين ، الطبعة الثامنة والتسعون - القاهرة الجديدة - دار " تفتيح المخ
" للطباعة والنشر والتوزيع - ٢٢٢٥ ميلادية

=====

حمامة لكل مواطن ..!!

من فضائل شعبنا المصري المعروفة ، أنه شعب عاطفي ، ما أن تحدث كارثة أو تحل مصيبة حتى تتكاتف جماهيره ، وتتألف قلوبها ، وتتناسى آلامها ، وترتفع فوق أزماتها وتتغلب عليها بالصبر والتسليّة والتسرية ، وهذا ما يجعل الناس قادرة على الحياة برغم المحاولات المستميتة "الذكية" التي تستهدف هذه الروح المعنوية ، ويرغم انهيار المثات وجوئهم إلى الانتحار عجزاً عن الاستمرار ، ولو أن أولئك المنتحرين تحلوا بالصبر والمصابرة وجددوا تفكيرهم ، واستدروا نكاهم لألمتهم فطرتهم آفاقاً من الحلول لمشكلات الغلاء التي أخرجتهم من صوابهم ودفعتهم إلى الانسحاب قبل اكتمال المباراة .

فمثلاً : غلاء أسعار الحديد ، يئنّ منه ملايين لا صلة لهم بالبناء والتعمير ويستكثرون على مواطن شريف مكافح أن يحتكر الحديد ويوالي رفع أسعاره – كأنها لعبة أسبوعاً بعد أسبوع ، وتقل مثل هذا عن اللحم والدجاج والسّمك والأسمنت .

فما الذي يضر المواطن من رفع أسعار تلك السلع ؟ في الحقيقة أنا مندهش ومستغرب ومستنكر جداً لهذه المناحة التي ترفعها فوق رؤسنا يومياً منى الشاذلي ومحمود سعد وأمثالهما من مقدمي برامج (التنكيد) على هذا الشعب السعيد ..!!!

ما لأهلنا نحن وما للأسعار؟! فليرفعوا ما شاءوا، ومن لا يعجبه سعر سلعة فليقاطعها أو فليستبدل بها غيرها !!

فمثلاً : من لا يعجبه الخبز فليأكل بسكويتاً ، ومن لا يعجبه سعر الدجاج فليأكل لحم غزال ، ففي بلادنا – لمن لا يعلم – مئات المزارع المتخصصة في تربية الغزلان لأن لحومها (فيما يقال) أشهى وألذ ، فمن لم يجد ، فعليه بلحوم الحمام ، فمن لم يجد فليخرج للصيد والقنص ؟ هل منعه أحد من الصيد في الغابات ؟ هل احتكر أحد الغابات؟

ثم هؤلاء الذين ينوحون من ارتفاع أسعار اللحوم ، ماذا يريدون غير تعطيل (المسيرة) وتهديد (الإنجازات) وتشويه معدل النمو الذي وصل إلى ٧٪ وما زالوا لا يحسون به !! عليهم - لو كانوا مصريين وطنيين ديموقراطيين حقاً - التوقف عن التشكيك وعلى من لا يعجبه سعر اللحوم أن يتوقف عن أكلها ، دون لت وعجن وصراخ وعويل .. !!

قاطعها في صمت ، والجبأ - أخي المواطن - إلى الأسماك ، فإن لم تجد فعليك بالجمبري فإن لم تجد فعليك بالصوم فإنه صحة لك وعلاج أكيد لمشكلات السمنة والكبد والكلى . فإن لم تطق عن اللحوم ابتعادا ، فعليك بالمطاعم التي تقدم لحوم الحمير ، فمن ذا الذي أكل لحم حمار ثم تضرر منه ؟ من عشرات السنين وتلك المطاعم سادرة في غيها ، تقدم لحوم الحمير صنوفاً مختلفة ألوانها ، والناس يأكلون ويتجشأون ويحمدون ويشكرون ويخرجون ويدخلون وهم كالعفاريت صحة وقوة وذكاء وانطلاقاً وتفاؤلاً . فمالهم إذا حدث خلاف بين شريكين ولفقت لتلك المطاعم والفنادق قضية غش تجاري ، وناع وشاع أنها تطعم الناس حميراً هاج الإعلام وماج وطبل وزمرو وأوسع تلك المؤسسات الوطنية تشهيراً وتوبيخاً ، وكأن هذا يحدث لأول مرة .

ثم هؤلاء الذين ينوحون من ارتفاع أسعار الحديد ، هل كان بقية أهلهم مقاولين ؟ تعاقدوا عقوداً عجزوا عن تنفيذها ؟ أبداً ، أبداً ، إنما هي (شرذمة) من الكتاب والصحفيين والإعلاميين أدمنت العويل ، وتحسن صحتها بالنواح والصراخ واطم الخدود وشق الجيوب هل يريدون من الحكومة أن تحسب الحديد سلعة استراتجية فتقدمه بالرقم القومي : سيخاً لكل مواطن ، وما عسى أن يفعل هذا المواطن بالسيخ ؟ !! كيف سيتخذ منه (إن كان بلطجياً) مطواة قرن غزل ؟ وكيف سيبني به شقة إن كان مقدماً على الزواج ؟ فالسيخ لن يبني شقة ولا يصنع باباً ، لكن المصريين سيؤفون جمعيات أهلية

فيما بينهم ، فالأسرة المكونة من خمسة أفراد سيكون لها خمسة أسياخ مدعومة شهرياً فتتجمع عشر أسر من ذوات الأسياخ الخمسة فيتألف من ذلك نصف طن ، ونصف مع نصف يتكون سقف فسلم فعامود فتألف شقة فيتزوج عريس بمعدل عريس كل ثلاثة أشهر ، وكما قال الشاعر الحلمنتيشي رحمه الله :

وقرشُ على قرشٍ يصيران حنةً

بخمساءَ، في يومين تسمي عشرشرا

هل يريد أولئك الشكاؤون البكاؤون من حكومتنا أن تعلن هذا الشعار: [سيخ لكل

مواطن - سمكة لكل مواطن - ورك أو صدر لكل مواطن - حنة كبدة لكل مواطن - حمامة

لكل مواطن - كوب عصير لكل مواطن - علبه دخان لكل مواطن]

إن الذاهبين هذا المذهب من التفكير يغالون في الأحلام ، ويسيتئون الظن بطاقة

الحكومة الذكية ، التي منعت - بقرار مصيلحي عظيم صدر العام الماضي - نفسها من شراء

القمح من الفلاحين فباعوه للمستثمرين ، ثم ذهبت هي - بذكائها الخارق - لتشتريه ممن

اشتره من الفلاحين فوجدتهم قد احتكروه ورفعوا سعره وطحنوه وباعوه للمخابز التي

تصنع الخبز الفخم والحلويات ، فاشترته منهم بالسعر الذي فرضوه ، وتكبدت ملايين

الجنيهات زيادة ذهبت لجيوب المحتكرين ، فلما قامت القيامة ولم تجد المطاحن ما يكفي

لم تثب الحكومة لرشدها وتلغي قرارها الذي يضاعف دخول المحتكرين . ولم تقبل تلويث

يدها النظيفة بالشراء من (الرعا) الفلاحين مباشرة ، بل افتعلت معركة وهمية مع بضعة

أجولة تسرق هنا وهناك في بعض المخابز واخترعت مقولة (فصل البتاع عن البتاع) لتوهم

الناس أن الأزمة لا علاقة لها بعدم شراء القمح من الفلاح وتقديمه بسعر مدعوم للمطاحن

وإنما الأزمة كلها تكمن في تلك الأجولة المسروقة !! (شفت النباهة ؟)

ثم ما هذا الذي يريده هؤلاء المتشائمون؟ أتوزع الناس الأسيخ للناس حتى يرضوا عنها؟ أتدخل الحكومة بين المنتج والمستهلك؟ حاشا للاقتصاد الحر!! وكبير مقتاً عند أذناب الرأسماليين الجدد أن تحول الحكومة بين منتج ومستهلك، فالعلاقة بينهما قائمة على التفاهم والتراضي!! فإن أمن بعضهم بعضاً، أو سرق بعضهم بعضاً فما شأن الحكومة بذلك؟ أليست هذه هي آليات - لا مؤخدة - السوء؟ [بعضهم يخطئ فيكتبها " آليات السوق"] بصراحة، هذا إسراف من الناس في أحلام اليقظة، وسوء فهم لدور الحكومة وتحميل للبرلمانات فوق ما تحتمل، فعلى هذا الشعب - كما قال السادة رؤساء تحرير الأخبار والأهرام والجمهورية - أن يتحمل " مسؤلياته التاريخية " ممثلة في:

١- الحمد والشكر، والصبر- كما قال أحد الشيوخ إجابة عن سؤال حول الغلاء.

٢- الرضا بالقليل لأن ما قل وكفى خير مما كثر وأهلى.

٣- الخروج للصيد والقنص والتمتع بالطبيعة الساحرة.

٤- التمتع بفرن عادل إمام (الهادف) - بالدال - !!

٥- التمتع بالنظر إلى أزياء عجائز مذيعات القنوات الأولى والثانية - والعياذ بالله

٦- التمتع بتأمل كليبات المطربين الجدد الذين يغنون بكل أجسادهم ماعدا أصواتهم.

٧- العودة إلى الطبيعة (اتخاذ خيام بدلا من زحام بناء الشقق).

ما سبق كان تقريراً تفتق عنه ذهن أحد رواد مقهى (السعادة) واستحلفني برحمة أموات أهلي أن أطرحه على القراء الكرام وهأنذا قد فعلت، وأعد بأن أنقل للمقهى كل تعقيبات القراء بكل أمانة، تمهيداً لعقد جلسة مشتركة تجمع المعقبين ورواد المقهى للوصول إلى حلول مرضية لمشكلة هروب الحضري..!! لأن هذه المشكلة هي الأولى بالاهتمام وإن جهل الجاهلون..!!

هيئة [النشل] العام

تعودت أن أقضي ليلة الأربعاء من كل أسبوع على مقهى (السعادة) مع بعض أصدقائي الشعراء غير الحداثيين . ولقهي (السعادة) . المجاور لمحل كوارع وعجلاتي أمام محطة السكة الحديد نكهة خاصة . فزيائنه ثابتون . وقلما وفد إليه غرباء إلا من أولئك الذين تلقي بهم القطارات إلى محطتنا على سبيل السهو والخطأ والنوم أول للبحث عن نوبهم الممزقين في أعقاب حوادث القطارات الأسبوعية .

وفي ذلك المساء ، أرخيت أذني إلى رجلين يتحاوران في المقاعد المجاورة ، احتدم بينهما النقاش فرأيت الموضوع جذاباً فأعرتهما أذنيّ بينما كنت أتمايل طرباً - على سبيل النفاق - لقصيدة يلقيها أحد أصدقائنا الشعراء في جلستنا وكانت [للأمانة] قصيدة في غاية الرداءة ودليلاً لا يقبل الشك على سوء التربية (والتعليم بالمرّة) .

قال أحد الرجلين لصاحبه وهو يحاوره : لقد أصبحت أفكر جدياً في اعتزل مهنتنا بعد أن تسلل إليه الدخلاء من أولاد الحرام وصارت مهنة من لا مهنة له .
قال الآخر وهو يشد نفساً عميقاً من شيشته يدل على حكمة حشاش قديم : يا أخي دع الملك للمااااااالك ! .

قال الأول ضيق الصدر : في كل يوم يمسكون ببعض الصبية يمارسون المهنة دون تدريب وكفاءة مما يسيء إلى سمعتنا جميعاً .

قال صاحبه : وماذا يضيرنا نحن ؟ بالأمس شققت جيب أحد الأفندية وأخذت المحفظة وكان قلبي يتمزق مع قماش البدلة الجديدة . وكان منظر الأفندي مؤسفاً وهو يتأمل امرأة بدينة أمامه في نهم صارخ . . ولما عدت إلى البيت لم أجد في المحفظة إلا ريالاً ومسونة قصيدة شعر حداثي ، ولا أدري ما سر هذه (العنطرة) التي تجعل أفندياً كهذا يغرر بنا بحمل مثل هذه المحفظة الفخمة .

قال الآخر : إن مهنة النشل أصبحت في خطر . وما لم تتدخل الحكومة لتنظيمها سوف تنقرض على أيدي هؤلاء السفهاء الذي دخلوها بلا تاريخ .

قال صاحبه : وكيف تتدخل الحكومة أيها العبقري ؟

قال الرجل : عليها أن تقوم باستخراج تراخيص بمزولة المهنة - بعد امتحان عسير- ثم تقوم بعد إعلان النتائج وتكريم المتفوقين - بتوزيع النشالين الناجحين (المحترمين) ذوي الخبرة المشهود بها على خطوط المواصلات العامة وفقاً لـ (سركي) أو (خط سير) مثل الذي مع السواقين والكمسارية ، وإذا ضبط نشال ينشل في غير الخط المعين له يكون بذلك مخالفاً للقانون وتواجهه تهمة التريخ غير المشروع . ويمنع من ممارسة المهنة .

سحب زميله نفساً عميقاً من شيشته وأطرق إطرارق ناقد أدبي من أصحاب الحداثة حين يطرقون دون مبرر في وسط أحاديثهم ثم قال : وما الذي يمنع بعد ذلك من أن تنشأ لنا نقابة ترعى شؤون النشل ويكون لها (ميثاق شرف) يتضمن المبادئ الأخلاقية العامة للمهنة والتي من أهمها ألا ينشل نشالاً نشالاً ، وألا ينشل أحد إلا في منطقتة ، وألا ينشل نشال صبيلاً ولا كهلاً ولا أرملة ولا مريضاً ولا ضحية من ضحايا القطارات .

كنت قد استغرقت تماماً في الحوار حين فوجئت بجاري يلكنني منتظراً أن يسمع رأيي في القصيدة التي انتهى صاحبها من إلقائها منذ حين . فعقبت قائلاً : في الواقع أنا شعرت بأن شاعرنا خرج عن (الخط) الذي كانت تسير فيه القصيدة أصلاً إلى خط آخر كما أحسست أنه (اقتبس) صوراً من قصائد أخرى لشاعر لا انكر اسمه وعدت أرخي أدني لبقيّة الحوار القانوني اللذيذ الذي يذكرك بطعم الاستفتاءات من غير إشراف فضائي [بالفاء] ،،،،،

أهداف الجامعة الأمريكية – بالقاهرة (دراسة وثائقية منذ النشأة حتى عام ١٩٨٠م)

هذا كتاب خطير. يأتي في إطار محاولة للكشف عن الدور الثقافي للجامعة الأمريكية بالقاهرة. في دعم تبعية المجتمع المصري للمجتمعات الغربية، وبصفة خاصة أمريكا، وذلك عندما نقف على الأهداف المعلنة التي تبنتها الجامعة كأساس لعملها وكذلك الممارسات المرتبطة بتلك الأهداف من جانب ومدى علاقتها بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مر بها المجتمع المصري منذ نشأت الجامعة عام ١٩٢٠م وحتى عام ١٩٨٠م من جانب آخر. وعلى هذا فقد استهدف الكتاب محاولة الوصول إلى حقيقة الأهداف المعلنة للجامعة والأهداف غير المعلنة في المدة التاريخية السابق تحديدها.

والكتاب من القطع المتوسط ، وقد جاء في ٣١٠ صفحة مشتملاً على ثمانية فصول ، بخلاف المقدمة والخاتمة ، وقد صدر عن دار " فرحة " للنشر والتوزيع بالمنيا مؤخراً ومن الجدير بالذكر أن الكتاب قد أعد أساساً كرسالة ماجستير للدكتورة " سهير حسين البيلي " وهي مدرّسة بكلية التربية جامعة طنطا.

ترى المؤلفة في بداية الفصل الأول أن أية ظاهرة تحكمها مجموعة من العوامل المتفاعلة. بحيث لا يكون هناك عامل واحد مسئّولاً عن ظهورها، والظاهرة موضوع الدراسة هي انتشار التعليم الأجنبي في مصر. وهي ظاهرة تحكم نشأتها وتطورها عوامل داخلية وعوامل خارجية متفاعلة. وتركز المؤلفة في هذا الفصل اهتمامها الرئيسي على عدة عوامل .

أولها العوامل الداخلية؛

كالسياق الاجتماعي؛ فقد كان المجتمع المصري مهيباً داخلياً لتقبل الهيمنة الاستعمارية، والتي كان من مؤثراتها نمو التعليم الأجنبي في البلاد. ومن جملة الأوضاع الاجتماعية في مصر الانهيار الاقتصادي فلم يكن هدف محمد علي - في بداية مشروعه النهضوي - الأخذ بالأساليب العصرية وتنظيم الدولة فقط، وإنما كان يسعى إلى استقلال مصر في مواجهة الدول الأخرى وثاني هذه العوامل تقديم حكام مصر المساعدة للأجانب فلم يعارض محمد علي الوجود الأجنبي في البلاد فقد استعان بهم في بناء دولته الحديثة وبدأت البعثات الدينية التبشيرية تظهر في مصر مع سياسة محمد علي التي اتسمت بالتسامح الديني معهم لدرجة أنه أتاح لهم حرية الدعاية الدينية. ، ثم تلا ذلك عهد سعيد والذي شجع الإرساليات الأجنبية عن طريق المساعدات التي قدمها لها وكان ذلك عهد بداية التغلغل الأجنبي في البلاد ، ثم عهد إسماعيل الذي شجع الإرساليات في البلاد وذلك لإرضاء الدول الأوروبية التي كانت تمدّه بالقرروض وثالث هذه العوامل هو تغلغل الثقافة الأوروبية التي بدأت مع حملة نابليون ثم تبني محمد علي مشروع إنهاء مصر على أسس من النموذج الغربي ، والبعثات التي أرسلها محمد علي للخارج ثم ظهور الصحافة ومنها صحافة الجاليات الأجنبية والصالونات الأدبية ، وأخيراً مقاومة أقباط مصر نشاط الإرساليات .

وترى المؤلفة أن العوامل الداخلية سألقة الذكر قد هيأت مصر للخضوع للهيمنة الأجنبية.

وأن العوامل الخارجية

قد عجلت بتحقيقها ومنها : الامتيازات الأجنبية ، والتنافس الاستعماري على مصر، متمثلاً في الحملات العسكرية والتحالفات السياسية ، والهيمنة الاقتصادية ، ثم

تدفق الأجانب على مصر ثم الإرساليات التبشيرية، والاستشراق، والواقع أن مفهومي : التبشير والاستشراق يتضمنان نفس الأهداف ولكن التبشير تنحصر دعوته في حدود التأثير المباشر في عقول الناس من خلال التعليم المدرسي والعمل الاجتماعي في المستشفيات والملاجئ ، أما الاستشراق فقد اتخذ لنفسه صورة البحث وادعي لنفسه الطابع الأكاديمي. وآخر العوامل الخارجية هي رحلات "السان سيمونيين"، والرحالة الأوروبيين الذين وفدوا على مصر.

ونتيجة للعوامل الداخلية والخارجية السالفة تهيأت البلاد لبسط الهيمنة الأجنبية من خلال تغلغل التعليم فكثرت بذلك المدارس الأجنبية ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

أولاً: مدارس الطوائف غير الإسلامية . ويندرج تحتها مدارس الأقباط واليهود.

ثانياً : مدارس الجاليات الأجنبية . وتضم مدارس الأرمن ومدارس الجاليات الإيطالية واليونانية والألمانية .

ثالثاً: مدارس الإرساليات والفرق الدينية . وتضم الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية ومن المدارس الأخيرة الإرساليات الأمريكية.

ثم يأتي الفصل الثاني والذي تركز فيه المؤلفة الاهتمام على التعليم الأمريكي بصفة خاصة ، منذ بداية تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في البلدان العربية مع مطلع القرن التاسع عشر. وقد مثلت الإرسالية الأمريكية أول شكل من أشكال التغلغل الثقافي الأمريكي في البلدان العربية وفي مصر، وقد تناولت المؤلفة ذلك من خلال استعراضها لبدء تغلغل النفوذ الأمريكي ، في الوقت الذي كانت فيه مصر قبلة للإرساليات والبعثات الدينية والتبشيرية من كل الطوائف ، وكانت الولايات المتحدة مشغولة بأمورها

الداخلية . وحتى بداية القرن التاسع عشر لم يكن لها أية مصالح تجارية في مصر أو أي تمثيل قنصلي في الدولة العثمانية بأكملها وقد ظل هذا الوضع حتى عام ١٩٣٠م ، عندما عقدت الولايات المتحدة الأمريكية الاتفاق الودي التجاري أو " المعاهدة التجارية" مع السلطان العثماني . وفتت الإرسالية الأمريكية أنظار القناصل الأمريكيين إلى أهمية رسالتها المقدسة ، فأصبح من واجبهم مساعدة أعضاء الإرسالية وحمائهم في مهامهم التبشيرية .

وقد بدأ وجود الإرسالية في مصر مع بداية عام ١٨٥١م ، وكان غرض الإرسالية في البداية ، تحويل أقباط مصر إلى المذهب البروتستانتي ، وأيضاً التبشير بالسيحية بين المسلمين وتم تسخير التعليم لخدمة الغرض التبشيري ، ففي البداية استمر التوسع في مدارس الإرسالية على مستوى مرحلي التعليم الابتدائي والثانوي فقط . وأدرك المبشرون الأمريكيون أن التأثير في قادة الرأي العام في البلاد ، وفي الجيل الناشئ في الشرق ، لا يمكن أن يتحقق إذا لم يكن ثمة تعليم عال، وعلى هذا الأساس أوجد المبشرون الأمريكيون الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة ، وكان لهم وجهة نظر في إقامة الكليات في المراكز الإسلامية ، لذلك لم يكتفوا ببيروت وإنما أرادوا أن يكون لهم وجود في القاهرة بجوار الجامع الأزهر .

وفي الفصل الثالث يلقي الكتاب الضوء على نشأة الجامعة الأمريكية بالقاهرة والعوامل التي واكبت هذه النشأة، على النحو التالي :

أولاً: بداية التفكير في إنشاء الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وقد تشكلت لجنة من مبشري الإرسالية الأمريكية، والتي وصلت في تقريرها إلى أن مصر مؤهلة في هذا الوقت لإقامة هذا المشروع، وتشكلت لجنة ثانية عام ١٩١٢م قام أعضاؤها بفحص شامل للأنظمة التعليمية

وقد قررت اللجنة ضرورة إقامة جامعة مسيحية بمصر، بسبب سوء التعليم العالي بمصر متمثلاً في الأزهر أو الجامعة الأهلية الوليدة .

ثانياً: ظروف مهياة لنشأة الجامعة الأمريكية بالقاهرة بسبب أوضاع مصر الداخلية لكونها خاضعة للاحتلال البريطاني وكذلك استمرار التيار المسيحي العالمي في نشاطه.

ثالثاً: الخطوات العملية لنشأة الجامعة الأمريكية بالقاهرة: وقد تناولت المؤلفة جهود "تشارلز واطسون" لدعم مشروع الجامعة، واختيار القاهرة كأفضل مكان للجامعة من حيث كونها مركزاً فكرياً للعالم الإسلامي، أما عن الموقف البريطاني من فكرة إنشاء الجامعة فغير واضح من البداية حتى عام ١٩١٤م فقد قوبل الطلب الأمريكي بالرفض لأن تحديد مكان الإنشاء بالقرب من أهرام الجيزة غير مناسب لأنه يشوه الشكل الجمالي وكذلك الاعتراض على تسمية الجامعة باسم "الجامعة المسيحية"، ثم وقع أخيراً اختيار "تشارلز" على قصر "نيستور جانكليس" بشارع القصر العيني بجوار ميدان الإسماعيلية [التحرير حالياً] بالقاهرة، ولكن وقت الحرب العالمية الأولى حولت جميع المباني الحكومية إلى مستشفيات لصالح مصابي الحرب، وعقب انتهاء الحرب في محاولة للتوود للقوة الأمريكية الصاعدة وافقت بريطانيا على مشروع الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وسهلت لها الحصول على المبنى الذي كانت تشغله كمستشفى أثناء الحرب.

رابعاً: الجامعة الأمريكية بالقاهرة والمؤسسات المدنية والدينية وتناولت المؤلفة في هذا الجزء موقف السلطات البريطانية الذي تحسن عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وكذلك موقف السلطات المصرية المؤيد للجامعة لكونها تجربة جديدة في الحياة التعليمية في البلاد، وقد حدثت بعض المشاكل بين الإرسالية والجامعة لأن

الاعتمادات المالية توجه للجامعة مباشرة بعد أن كانت تذهب للإرسالية ومنها للجامعة وكذلك ارتفاع راتب مدرسي الجامعة مقارنة بمدرسي الإرسالية في حين ترى الإرسالية وجوب حدوث العكس لتشجيع المبشرين، فعقد مجلس الجامعة في عام ١٩٢٣م اجتماعاً وفيه تقرر استقلال الجامعة الكامل عن الإرسالية.

خامساً؛ تناول الكتاب التوجهات السياسية للجامعة، فقد اتضحت توجهات الجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ البداية، وذلك من خلال العرض التاريخي لنشأتها. وهذه التوجهات: هي التوجه الديني وقد أوضحت إحدى وثائق الجامعة أن الهدف هو ضمان الشخصية المسيحية للجامعة وتنمية الولاء المسيحي لدى المدرسين والطلاب وكذلك التوجه الاجتماعي والتوجه الأكاديمي، وقد تم اجتماع في ١١ يوليو ١٩١٩م "بواشنطن" أسفر عن إصدار بنود قوانين الجامعة الأمريكية بالقاهرة كما يلي:

أولاً الاسم: الجامعة الأمريكية بالقاهرة (The American University at Cairo).

ثانياً الهدف: "تقديم التربية المسيحية لشباب مصر والأراضي المجاورة لها، وذلك عن طريق إقامة معهد للتعليم على أعلى المستويات التربوية الفعالة، لتظهر للعالم الإسلامي السمات الخلقية للسيد المسيح، التي باستطاعتها وحدها تنشيط الحياة الفكرية وبعث ربح التجديد في المجتمع، وإصلاح حياة الفرد".

سادساً؛ أقسام الجامعة كالتالي: كلية الآداب والعلوم، ومدرسة الدراسات الشرقية وتسم الدراسات الممتدة، وكلية التربية، ومركز البحث الاجتماعي، ومعهد اللغة الإنجليزية. ويتجه اهتمام الفصل الرابع للوقوف على العلاقة بين الأهداف المعلنة للجامعة والممارسات الداخلية في المدة من ١٩٢٠م حتى عام ١٩٥٦م، حيث قد ظلت الوجهة التبشيرية خلال هذه المدة هي المحور الذي تدور حوله بقية الأهداف المعلنة من إعداد

النخبة، ونشر الثقافة الأمريكية، وخدمة المجتمع المصري وكانت الجامعة تسعى لتحقيق أهدافها من خلال أقسامها المختلفة.

وكان الهدف الديني أن تمثل الجامعة قمة الهرم التعليمي التبشيري في وادي النيل وأن تقوم بتقديم دروس لطلاب المرحلة الجامعية ودراسة مهنية لكل من المسلمين والمسيحيين في مصر والأراضي المجاورة. وكانت هذه الدروس تشمل تعليم الإنجيل وعلومه، وإعداد النخبة الحاكمة وفقاً للمبادئ المسيحية وقد طورت الجامعة على هذا الأساس ما تمارسه من وسائل لتحقيق أهدافها وذلك من خلال الاجتماع الديني، المحاضرات العامة، المناهج الدراسية اختيار أعضاء هيئة التدريس، وأنشطة الجامعة الأخرى. ويمكن القول بأن الجامعة قامت بدور خطير في كشف دقائق الأمور والمشكلات الاجتماعية في مصر ودول الشرق الأوسط، بحيث تستطيع أمريكا من خلاله بسط الهيمنة الثقافية على المجتمع المصري. ومما سبق نستطيع أن نلمس الأهداف الحقيقية للجامعة، وهي السعي لتنصير المجتمع المصري، وإيجاد تبعية ثقافية أيضاً وقد جاءت التبعية في إطار الجانب الديني.

واهتم الفصل الخامس برصد واقع المجتمع المصري، وتحليل أوضاعه في النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والوقوف على مدى ما أسهمت به تلك الأوضاع في إيجاد مناخ مهياً للجامعة مكنها من الاستمرار في تبني أهدافها، وقد تناول هذا الفصل الأوضاع الفكرية في الواقع المصري وركزت المؤفة على الفكر الليبرالي، والفكر الاشتراكي، والفكر الإسلامي التجديدي. ثم الأوضاع السياسية في الواقع المصري، ثم الأوضاع الاقتصادية في الواقع المصري وقد أظهر هذا الفصل أوضاع المجتمع المصري الفكرية وما أحدثته من تغيرات على الأصعدة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، كما تأثر المجتمع المصري أيضاً بالمتغيرات العالمية في تلك المرحلة من الصراع بين المعسكرين الغربي والشرقي

والتنافس بين الدول الكبرى على بسط نفوذها على العالم ، وقد انعكست كل هذه الأوضاع على الجامعة الأمريكية بالقاهرة وأهدافها، لذا نجد في أعقاب ثورة يوليو حتى عام ١٩٦٣م تغييراً في الأهداف المعلنة للجامعة الأمريكية لكي تتواءم مع النظام الجديد، كما نلمس نوعاً من الكياسة والحذر في الإفصاح عن المضامين الدينية التنصيرية وظهر ذلك أيضاً في ممارسات الجامعة الداخلية. وعام ١٩٦٣م له دلالة حيث لم يظهر التغيير في الأهداف المعلنة للجامعة إلا في هذا العام .

ويرغم كل الاحتياطات التي وضعتها الجامعة في تلك المرحلة، فإن دافع الجامعة للحفاظ على إعداد نخبة تعمل لصالح الغرب، والتركيز على التقرب من الحكومة والطبقة الحاكمة الجديدة في المجتمع، جعل الجامعة تستثني أبناء مجلس قيادة الثورة الجديدة، من شرط الحصول على مجموع الدرجات المطلوب للقبول.

وتناولت المؤلفة في الفصل السابع وضع الجامعة الأمريكية بالقاهرة في الستينيات والأهداف المعلنة للجامعة الأمريكية بالقاهرة في ظل التحول الاشتراكي، فقد انعكست الأوضاع والظروف في المجتمع المصري والعلاقات المصرية الأمريكية المضطربة خلال فترة التحول الاشتراكي في مصر على الأهداف المعلنة للجامعة الأمريكية. وتبنت الجامعة أهدافاً جديدة، لكي تتناسب مع الأوضاع المجتمعية والعالية المتغيرة، ولكي تحاول إثبات أنها تعمل لخدمة المجتمع المصري حتى تتمكن من الاستمرار في وقت كانت الاتجاهات العدائية تتعاظم نحو كل ما هو أمريكي. والممارسات والأنشطة المتعلقة بتحقيق الأهداف المعلنة والذي تمثل في صورة المسؤوليات التعليمية وخدمة المجتمع المصري ومواجهة تحديات التنمية والطباعة والنشر وأيضاً تعامل الجامعة مع النخبة.

ويلقى الفصل الأخير الضوء على وضع الجامعة الأمريكية مع بداية التوجه الجديد للنظام السياسي المصري - في عهد السادات - نحو إقامة علاقات وطيدة مع الغرب ومع أمريكا على وجه الخصوص والذي بدأت مؤثراته مع بداية السبعينات وتبلور بصورة واضحة عام ١٩٧٤م مع تبني مصر سياسة الانفتاح الاقتصادي . وقد سارت الأحداث بخطى سريعة لتدعيم مصالح الجامعة الأمريكية، فقد اعتمد الرئيس "السادات" البروتوكول الرسمي للجامعة في عام ١٩٧٦م، الذي تضمن أهداف الجامعة الأمريكية ونظام العمل فيها، وقد تناول هذا الفصل وضع الجامعة في السبعينيات، ثم بروتوكول عام ١٩٧٦م وتأكيد استقلالية الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وأخيراً الأهداف المعلنة والممارسات الداخلية التي تمثلت في المسؤوليات التعليمية والثقافية، وخدمة المجتمع المصري وإعداد الصفوة.

وفي النهاية نستطيع استشراف دور الجامعة الأمريكية (AUC) من خلال التوضيح الرائع الذي ظهر به هذا الكتاب المهم وما قام به أيضاً من تحليل لأهدافها الأولى وما طرأ عليها من تغيير وامتداداتها في الواقع الراهن ، وبمكنا القول أنه بفضل ما تقدمه من القيم والثقافة الأمريكية تمثل هذه الجامعة أحد آليات الهيمنة الأمريكية والتبعية وبخاصة في عصر العولمة التي تسعى فيه أمريكا للسيطرة على العالم وذلك لكون خريجي هذه المؤسسة رءادا لهذا المجتمع وطلبة هذا العصر بما يحملونه من قيم وثقافة الدولة المسيطرة عالمياً.

وهناك قيمة إضافية لهذا الكتاب الخطير تتمثل فيما حواه من وثائق سرية استطاعت المؤفة الحصول عليها لتوثيق رؤاها وتدعيم تحليلاتها . فتحية لها ولناشر على هذا الجهد المحمود .

جمعية البكاء بالعكس !!!

هذه الجمعية هي الوحيدة من نوعها على مستوى الوطن العربي من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر، لأنها لم تتألف بقرارات فوقية ولا تحتية، ولا شرقية ولا غربية، بل تألفت هكذا - كما تسقط الثمرة من الشجرة - وتهتم هذه الجمعية بتصنيف الشعراء وفقاً للعقود التي تنتمي إليها قصائدهم من وجهة نظر الأعضاء المؤسسين، فهذا من الستينات وهذا من السبعينات وهذا من الثمانينات وهذا من مدرسة التعلب فات، ولأن اللي فات مات . فالتعلب مات !.

والحادثة هي شعار هذه الجمعية ومن أهم مبادئها :

- ١ . الجمهور المستمع أو القارئ ليس طرفاً في عملية الإبداع الشعري . لأن الشعر أساساً فن أحادي التأثير - ينخعه الشاعر لنفسه فقط - أما إذا تفضل بإلقائه على الناس ولم يفهموه فهذا تواضع منه وجهل منهم . والجهل يعالج بمزيد من الجهل كما أن الديمقراطية تعالج بمزيد من الديمقراطية .
- ٢ . للجمهور الحق في رفض أي قصيدة والعكس .
- ٣ . الشاعر الحداثي كائن أسمي من النقد كما أن النقد أسمي من الشاعر الحداثي .
- ٤ . يجوز للشاعر الحداثي أن يكسر القواعد النحوية والعرضية ويحطم الأصول اللغوية ومع ذلك يظل له الحق في أن يوصف بأنه "شاعر" !!.
- ٥ . الشعر العمودي سمي بذلك نسبة إلى عامود كان منصوباً يربط فيه الشاعر إذا لم تعجب قصيدته الجمهور . ويربط فيها أيضاً إذا أعجبت قصيدته الجمهور . ومن

هنا يرفض أعضاء الجمعية الشعر العمودي شكلاً حتى ولو استشهدوا به ضمناً وبالعكس!!

٦. يشترط لقبول أي عضو جديد في الجمعية أن يعرب عن رغبته في عضويتها بصرف النظر عن موافقة الهيئة التأسيسية .

٧. المقر الدائم للجمعية هو مركز أهناسيا بمحافظة بني سويف ويجوز إقامة فروع أخرى لها في أي مكان آخر بدون أي شروط مسبقة .

٨. يمارس أعضاء الجمعية البكاء مرتين سنوياً على الأقل [بين يدي زرقاء اليمامة] أملاً في تطوير وتنوير وتنوير وتحوير وتدوير وتدوير أرض الشعر العربي الخصبية .

٩. يجتمع مجلس إدارة الجمعية أربع مرات سنوياً ، وتصدر القرارات النهائية في الاجتماع الرابع الذي يعقد في شهر بؤونة من كل عام . ويشترط لصدور القرارات النهائية أن يكون القرار قد نوقش في الاجتماعات الثلاثة السابقة دون أن يحظى بموافقة أي عضو .

١٠. والنقد الأدبي السليم – في رأي الجمعية – هو ما نادت ومازلت تنادي به المدرسة الزلزلية (وهي المحطة النقدية التالية مباشرة لمحطة المدرسة الدادية) ويقصد به أن يتم نقد العمل الأدبي قبل قراءته ضمناً لأكبر قدر ممكن من الموضوعية والحياد الإيجابي لأن قراءة العمل الأدبي قبل نقده قد يعرض الناقد للانحياز إلى العمل الأدبي والتأثر به أو العكس وبالتالي يفقد النقد مصداقيته .

وحوشٌ ..و "وحوش" !!

سأل التلميذ الفتى أستاذه الشيخ : من هو الدكتور يحيى المشد ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : الدكتور يحيى أمين المشد من مواليد

عام ١٩٣٢. قضى حياته في الإسكندرية، وتخرج في كلية الهندسة، جامعة الإسكندرية

عام ١٩٥٢، بُعث إلى الاتحاد السوفييتي لدراسة هندسة المفاعلات النووية عام ١٩٥٦، ثم

أسند إليه القيام ببعض الأبحاث في قسم المفاعلات النووية بهيئة الطاقة النووية في مصر

وسافر إلى النرويج عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤ لعمل بعض الدراسات، ثم انضم بعد ذلك للعمل

كأستاذ مساعد ، ثم كأستاذ بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية. وأشرف الدكتور المشد في

فترة تدريسه بالكلية على أكثر من ٣٠ رسالة دكتوراه، ونُشر باسمه خمسون بحثاً علمياً

تركزت معظمها على تصميم المفاعلات النووية ومجال التحكم في المعاملات النووية ، وفي

مطلع العام ١٩٧٥ كان صدام حسين نائب الرئيس العراقي وقتها يملك طموحات كبيرة

لامتلاك أسباب القوة، فوُتِّع في ١٨ نوفمبر عام ١٩٧٥ اتفاقاً مع فرنسا للتعاون النووي. من

هنا جاء عقد العمل للدكتور يحيى المشد العالم المصري، والذي يعد من القلائل البارزين في

مجال المشروعات النووية وقتها ووافق المشد على العرض العراقي لتوافر الإمكانيات

والأجهزة العلمية والإنفاق السخي على مشروعات البرنامج النووي العراقي، وفي الثالث

عشر من يونيو (حزيران) عام ١٩٨٠ وفي حجرة رقم ٩٤١ بفندق الميريديان بباريس عُثر على

الدكتور يحيى المشد جثة هامدة مهشمة الرأس وتُيِّدت القضية ضد مجهول !!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هي الدكتورة سميرة موسى ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هي عالمة مصرية في أبحاث الذرة وتلميذة

للدكتور على مصطفى مشرفة سافرت لأمريكا أواخر الخمسينيات، وكانت تنوى العودة

لمصري لكي تستفيد بلدها من أبحاثها حيث أنها كانت تستطيع إنتاج القنبلة الذرية بتكاليف رخيصة وقد تلقت عرضاً لكي تبقى في أمريكا لكنها رفضت بقولها: " ينتظرنني وطن غال يسمى مصر. وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية في ضواحي كاليفورنيا في ١٥ أغسطس ١٩٦٢. وفي طريق كاليفورنيا الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقي بها في وادي عميق. قفز سائق السيارة واختفى إلى الأبد، وأوضحت التحريات أنه كان يحمل اسماً مستعاراً، وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصحابها. وتيدت القضية ضد مجهول كالعادة . !!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور سمير نجيب ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : العالم سمير نجيب عالم الذرة المصري من طليعة الجيل الشاب من علماء الذرة العرب، فقد تخرج من كلية العلوم بجامعة القاهرة في سن مبكرة، وتابع أبحاثه العلمية في الذرة. وكفاءته العلمية المميزة تم ترشيحه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة، وعمل تحت إشراف أساتذة الطبيعة النووية والفيزياء وسنه لم تتجاوز الثالثة والثلاثين، وأظهر نبوغاً مميّزاً وعبقورية كبيرة خلال بحثه، فعرضت عليه إغراءات كثيرة بالبقاء في أمريكا ولكنه قرر العودة إلى مصر، وفي مدينة ديترويت كان الدكتور سمير يقود سيارته والأمال الكبيرة تدور في عقله ورأسه، يحلم بالعودة إلى وطنه لتقديم جهده وأبحاثه ودراساته على المسؤولين، ثم يرى عائلته بعد غياب طويل.

وفي الطريق العام فوجئ الدكتور سمير نجيب بسيارة نقل ضخمة، ظن في البداية أنها تسير في الطريق شأن باقي السيارات. حاول قطع الشك باليقين فانحرف إلى جانبي الطريق لكنه وجد أن السيارة تتعقبه. وفي لحظة مأساوية أسرع بسيارة النقل ثم ردت

من سرعتها وأصطدمت بسيارة الدكتور الذي تحطمت سيارته ولقي مصرعه على الفور، وانطلقت سيارة النقل بسائقها واختفت، وتُيّد الحادث ضد مجهول !!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور نبيل القليبي؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : قصة هذا العالم غاية في الغرابة، فقد اختفى منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن !!!! وكان هذا العالم قد أوفدته كلية العلوم في جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات في الذرة. وقد كشفت الأبحاث العلمية الذرية التي قام بها عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية. ثم حصل على الدكتوراه في الذرة من جامعة براغ. وفي صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٧٥/١/٢٧ دق جرس الهاتف في الشقة التي كان يقيم فيها الدكتور القليبي، وبعد المكالمة خرج الدكتور ولم يعد حتى الآن !!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور نبيل احمد فليفل ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : الدكتور نبيل أحمد فليفل عالم ذرة عربي شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية، وأصبح عالماً في الذرة وهو في الثلاثين من عمره، وعلى الرغم من أنه كان من مخيم "الأمعري" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التي انهالت عليه - وفي الخفاء وعن طريق الوسطاء - للعمل في الخارج، وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العلمية. وفجأة اختفى الدكتور نبيل، ثم في يوم السبت الموافق ١٩٨٤/٤/٢٨ عثر على جثته في منطقة "بيت عور"، ولم يتم التحقيق في شيء .

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور العلامة على مصطفى

مشرفة؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هو أحد أهم علماء مصر المعاصرين تولى عمادة كلية العلوم جامعة القاهرة أو أواخر الأربعينيات ، وقد تتلمذ على يد العالم الفيزيائي الكبير ألبرت اينشتاين وكان أهم مساعديه في الوصول للنظرية النسبية وأطلق عليه " اينشتاين العرب " وقد عثر - فيما يروى - على د. مصطفى مشرفة مقتولا في ١٦ يناير عام ١٩٥٠ بطريقة بدائية للغاية بالسّم.

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور جمال حمدان ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هو أهم جغرافي مصري، وصاحب كتاب "شخصية مصر". عمل مدرساً في قسم الجغرافيا في كلية الآداب في جامعة القاهرة، وأصدر عدة كتب إبان عمله الجامعي. تنبأ بسقوط الكتلة الشرقية قبل ٢٠ عاما من سقوطها، وألف كتاب "اليهود أنتزروا ووجيا" يثبت فيه أن اليهود الحاليين ليسوا أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين .

وفي سنة ١٩٩٣ عثر على جثته والنصف الأسفل منها محترق، واعتقد الجميع أن د. حمدان مات متأثراً بالحرق، ولكن د. يوسف الجندي مفتش الصحة بالجيزة أثبت في تقريره أن الفقيده لم يمته مختنقاً بالغان، كما أن الحرق ليست سبباً في وفاته، لأنها لم تصل لدرجة إحداث الوفاة، واكتشف المقربون من د. حمدان اختفاء مسودات بعض الكتب التي كان بصدده الانتهاء من تأليفها، وعلى رأسها كتابه "اليهودية والصهيونية"، مع العلم أن النار التي اندلعت في الشقة لم تصل لكتب وأوراق د. حمدان، مما يعني اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل. وحتى هذه اللحظة لم يعلم احد سبب الوفاة ولا أين اختفت مسودات الكتب التي كانت تتحدث عن اليهود .

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هي الدكتورة سلوى حبيب؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : د. سلوى حبيب كانت أستاذة بمعهد الدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة - وكان عنوان كتاب الدكتور سلوى حبيب الأخير "التغلغل الصهيوني في أفريقيا"، والذي كان قيد النشر، مبرراً كافياً للتخلص منها. فقد عُثر عليها مذبوحة في شقتها، وفشلت جهود رجال المباحث في الوصول لحقيقة مرتكبي الحادث ليظل لغز وفاتها محيراً، وبخاصة أنها بعيدة عن أي خصومات شخصية، وأيضاً لم يكن قتلها بهدف السرقة، ولكن إذا رجعنا لأرشيفها العلمي سنجد ما لا يقل عن ثلاثين دراسة لها عن التدخل الصهيوني في دول أفريقيا على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبشهادة الجميع كانت هذه النقطة من الدراسة ملعبها الذي لا يباريها أحد فيه.

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : فمن هو الدكتور سعيد سيد بدير ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إنه ابن الفنان الراحل سيد بدير وكان عالماً فذاً في هندسة الصواريخ، تخرج في الكلية الفنية العسكرية وعين ضابطاً في القوات المسلحة المصرية حتى وصل إلى رتبة مقدم وأحيل إلى التقاعد برتبة عقيد بناء على طلبه بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من إنجلترا، ثم عمل في أبحاث الأقمار الصناعية في جامعة الألمانية الغربية، وتعاقد معها لأجراء أبحاثه طوال عامين وهناك توصل المهندس الشاب من خلال أبحاثه إلى نتائج متقدمة جعلته يحتل المرتبة الثالثة على مستوى ١٣ عالماً فقط في حقل تخصصه النادر في الهندسة التكنولوجية الخاصة بالصواريخ. وقد رفض الجنسية الألمانية كما رفض كل من سبقوه ورفض البقاء، وقرر العودة فزادت التهديدات، فعاد إلى وطنه وطلب الحماية من السلطات بالإسكندرية حين شعر بالتهديد يصل معه إلى وطنه،

وهناك قتل، وقال إعلامنا وقتها إنه مات منتحراً بفتح أنبوية الغان وإمساك سلك كهربي عار، وشنق نفسه!! هكذا نشرت صحف ذلك العام أواخر الثمانينيات دون أدنى خجل!!!
وبنفس الطريق قتل العالم اللبناني رمال حسن رمال، أحد أهم علماء العصر في مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة لوبوان، التي قالت أيضاً إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمي في باريس السابع من بين مئة شخصية تصنع في فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادي والعشرين، وجاءت الوفاة في ظروف مريبة حيث حدثت في المختبر ووسط الأبحاث العلمية التي تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة عالم مسلم آخر هو الدكتور حسن كامل صباح.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : كفاك اليوم أسئلة فيني أراك اليوم ثقیل الظل؟

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ : ولم تراني ثقیل الظل اليوم يا شيخنا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : لأنك سألت عن هؤلاء، ولم تسألني عن الجمّوش والهلالوش والمصیلحوش والدررّوش والزّمزّوش. أفليس الحي أبقي من الميت ؟ يا نافورة الجهل؟

قال الراوي: " وما أن نطق الشيخ بأسماء هؤلاء الجن حتى طارت عمامته في

الهواء وتحول التلميذ الفتى إلى حية تسعى بين يدي الشيخ وتفوح منها رائحة كامب ديفيد!!"

الجمليزم والهلاليزم .. وبناء المستقبل !!

لن أوازن هنا بين مصر وإسرائيل ، فمصر – بتاعة الخمستلاف سنة حضارة سيادتك – بها الجمل والهلال اللذان يقودان نهضة تعليمية لا مثيل لها في التاريخ وليس في عالمنا المعاصر التعيس، ويكفي ما تفوه به أحدهما من أنهما يناقشان منفردين مشروعاً لتطوير التعليم وبناء مستقبل علمي زاهر لم يخطر على قلب بشر!!!، ولن يسمح لمجلس الشورى ولا مجلس الشعب بالإطلاع عليه حفاظاً على – لا مؤخدة – السرية!!! ويتجاهل الرمزن الجليلان ما هو سائد في كل دول العالم المحترمة من حرص على مجانية التعليم الجامعي، ويتسابق الرمزن في تكبير الأساتذة بالقيود، وتدجين الأحرار، واستئناس المشاغبيين، وترريض المتمردين، وتجاهل المتأبين على التريض، وبسط الأكف بالعطايا لضعاف النفوس ممن عانوا حرماناً قاسياً في نشأتهم، فانكبوا على المشروعات يمشعونها ذات اليمين وذات الشمال، وهم مدركون أنهم مخربون.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا حَنُّ مُصْلِحُونَ ﴿١١٢﴾) الآ
 إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (البقرة: ١١١-١١٢) لن أوازن بين هذا الهزل الذي يراد لنا أن نتجرعه على أنه الجد، وبين الجد حين يراد به الجد، ففي الأسبوع الماضي فجر هيكل مفاجأة قاسية حين قال بأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم المحمية علمياً وقانونياً من التجسس على مؤسساتها العلمية والعسكرية ، ودعونا نلق نظرة على بني العمومة من الصهاينة فقدما قال وايزمان: "إن العلم سلاح إسرائيل الجبار الذي يجب أن يستغل ببراعة ومهارة وبكل وسيلة متوفرة لنا" هذه الكلمات منسوبة لـ"حاييم وايزمان" أول رئيس لدولة إسرائيل وعالم الكيمياء، والبارز في ذات الوقت، والذي وضع الأسس الأولى لسياسات إسرائيل فيما يتعلق بالنظام الأكاديمي الإسرائيلي والبحث العلمي وقد

أنصبت جهود القيادات الإسرائيلية منذ قيام الدولة على إنشاء مؤسسات علمية متينة الركائز تحكمها قواعد علمية صارمة وكفلوا لها كل فرص النجاح اعتماداً على التقاليد العلمية الرصينة من جهة وعلى ما توفرت لهم من فرص الاحتكاك بالمجتمعات العلمية الغربية المتقدمة في أوروبا والولايات المتحدة ، وكذلك في الاتحاد السوفيتي السابقة، وساعدهم في النجاح في هذه المهمة استفادتهم من العلماء اليهود في الجامعات الأوروبية والأمريكية والسوفيتية الذين هاجروا إلى الدولة الصهيونية، حيث تشير بعض الدراسات الأكاديمية إلى أن نسبة العلماء المهاجرين إلى إسرائيل بلغت ٣٣٪ من إجمالي مجموع المهاجرين عام ١٩٦٨ وأن نسبة الكفاءات الأوروبية تساوي ٦٥٪ من أساتذة الجامعة العبرية وكان الاتحاد السوفيتي هو النموذج الصارخ لهجرة الكفاءات العلمية لإسرائيل وأمامي تقرير نشرته صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بتاريخ ٨/٥/٢٠٠٠ يذكر كاتبه أن عدد المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق والمعسكر الاشتراكي بعد انهيارهما إلى إسرائيل منذ نهاية الثمانينيات وحتى عام ٢٠٠٠. بلغ حوالي مليون يهودي، وتميزت هذه الموجة الجديدة من الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بأنها هجرة نوعية "تمثل قطاعات راقية التعليم متميزة الدراسة ذكر أن ربع مليون منهم على الأقل من حاملي الدرجات العلمية في الطب والهندسة والتكنولوجيا ومنهم عدد يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عالم حاصل على شهادة الدكتوراه، وطبقاً لتصريحات وزير الاستيعاب الإسرائيلي وصحيفة الحياة اللندنية ١٦/١/١٩٩٦م، فإن تأثير الهجرة لإسرائيل كان بمثابة المعجزة إذ اتاح لنا تشكيل رأس مال بشري خارق، وأضاف أنه.. من بين القادمين ٥٨ ألف مهندس و١٠ آلاف باحث علمي و١٤ ألف طبي وعلى الرغم من أن بعضهم أضطر إلى القبول بوظيفة تقل عن مؤهلاته بسبب عدم توافر وظائف في مجال اختصاصه. فإن المستوى العلمي لهؤلاء يفوق بكثير مستوى الإسرائيليين الأصلي".

ولم تكتف إسرائيل باعتصار ينبوع الهجرة من الاتحاد السوفيتي السابق فقط ، بل

اتجهت أنظارها نحو الولايات المتحدة وأوروبا لاجتذاب علمائها من الشباب ودفهم لترك بلدانهم والهجرة إليها بسيل من الإغراءات ووسائل الترغيب لجعلها " هجرة اختيار" لا "هجرة اضطرار".

وحسب كرم سعيد (مختارات إسرائيلية – أغسطس ٢٠٠٥) فإن إسرائيل تحتل المكانة الأولى في العالم من حيث العدد النسبي لحاملي الشهادات العليا في العلوم الطبيعية من مجموع السكان وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين إسرائيل والدول العربية فيما يختص بالبحث العلمي نجد أن نسبة العلماء والتقنيين في إسرائيل ٧٦٠ لكل ١٠٠٠٠٠٠ شخص عام ٢٠٠٠ مقابل ٤٥٠ لكل ١٠٠٠٠٠٠ شخص في مصر و ١٢٥ لكل ١٠٠٠٠٠٠ نسمة في تونس كما يصل حجم الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل ٢,٤ ٪ من إجمالي الناتج القومي مقابل ٢٪ في بريطانيا أما متوسط الإنفاق في الدول العربية – حسب تقرير منظمة العمل العربية لعام ٢٠٠٤) يصل إلى ٢ في الألف من الناتج المحلي . وباعتبار النشر العلمي واحداً من أهم المقاييس المستخدمة لتقدير مستوى الإنتاج العلمي لدولة ما واعتماداً على بيانات معهد ISI ومقره فيلاديلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تم فهرسة المجالات العلمية التي يبلغ تعدادها ٣٥٠٠ مطوعة مصنعة في ثمانية فروع وقد أتضح من تحليل هذه البيانات، أن النشر العلمي للباحثين والعلماء الإسرائيليين حقق ما نسبته ١٪ من البحوث المنشورة في العالم حيث بلغ (١٠٢٠٦) عشرة آلاف ومئتين وستة بحوث إسرائيلية منشورة عام ١٩٩٥ في حين بلغ إجمالي البحوث المنشورة للباحثين والعلماء العرب في العام نفسه ٦٦٥٢ بحثاً والغالبية العظمى من هذه الأبحاث العربية ليست على المستوى المرموق علمياً، هذا ما أكدته أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في الرياض في إبريل ١٩٩٩، ووفقاً لإحصاءات معهد ISI في عام

٢٠٠٣ فإنه وفق معيار عدد العلماء الذين ينشرون بحثاً مقارنة بعدد السكان فقد ظهر أن إسرائيل تتبوأ المكانة الأولى بنسبة ١١,٧ لكل ١٠.٠٠٠ وتسبق كلا من الولايات المتحدة ومعدلها ١٠ وإنجلترا ومعدلها ٤,٨٪.

وإذا راودنا الشك في مدى نزاهة الإحصاءات التي يصدرها معهد ISI الأمريكي فلننتقل إلى الدراسة التي أجرتها جامعة جياوتونج الصينية في العام ٢٠٠٥ والتي صنفت الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جميع دول العالم وفق خمسة معايير أكاديمية تعتمد بشكل رئيسي على الإنجازات العلمية والبحوث المنشورة في مجالات محكمة وعدد الاقتباسات المرجعية منها والجوائز العلمية ونوعية البرامج وغير ذلك من عناصر التعليم الجامعي والبحث العلمي ويتم ترتيب الجامعات وفق ما تسجله من نقاط في جدول يضم أرقى ٥٠٠ جامعة ومؤسسة تعليمية على مستوى العالم إضافة إلى تصنيفات إقليمية مثل أرقى ١٠٠ جامعة أوربية و١٠٠ جامعة آسيوية الخ. وأشارت الدراسة إلى ورود الجامعة العبرية بالقدس في الترتيب ٩٠ وجامعة تل أبيب رقم ١٠١ ومعهد وايزمان ١٠٥ وثلاث جامعات أخرى في المائتين الثالثة والرابعة واحتلت إسرائيل المرتبة ١٢ في الترتيب العالمي للدول، وفي الترتيب الآسيوي جاءت الجامعة العبرية في الترتيب السابع واحتلت جامعة تل أبيب الترتيب التاسع ومعهد وايزمان في الترتيب ١٨ وجامعة بارايلان ٣٨ ومعهد التخنيون ٢٢ وجامعة بن جوريون ٣٩ واحتلت إسرائيل المرتبة الثانية من بين الدول الآسيوية بعد اليابان أما الجامعات العربية التي يبلغ عددها ١٨٤ جامعة فلم يرد ذكرها على الإطلاق!

أما من حيث مصداقية ونزاهة التقييم فيكفي أن نتوقف عند الحقائق التالية:-

١. الجامعة الصينية التي قامت بالدراسة جاء ترتيبها في موقع متأخر من

- القائمة (٤٠٤) ولا تتضمن القائمة أي جامعة صينية في المائة الأولى منها.
٢. الصين كبلد جاء في الترتيب التاسع عشر من القائمة وما لا يتناسب مع امكاناته العلمية والبشرية.
٣. جامعة تايوان الوطنية جاء ترتيبها في المرتبة ١٥٣ مثل أي جامعة صينية والكل يعرف حساسية الصين دولة وشعباً تجاه تايوان.
- وبالنسبة لنا كعرب لا توجد مصلحة للجامعة الصينية في عدم ذكر أي جامعة عربية في القائمة، كما أنها ليست صاحبة مصلحة في تعظيم التفوق الإسرائيلي دون وجود ما يدعولذلك.
- ولا يخفى على القارئ الكريم ما كان يمكن أن تكون عليه النتائج لو أن هذا التقييم قامت به وزارة الداخلية المصرية، أو ما يسمونه - من باب الدلع - مركز المعلومات التابع لمجلس الأنس الكريم .
- إن الجيش الإسرائيلي كان هو الحاضن الأكبر [وكذلك المستفيد الأكبر] للطفرة العلمية في إسرائيل وربط قادة إسرائيل دوماً بين العلم والتكنولوجيا والتفوق العسكري الإسرائيلي على البلدان العربية، ويقول البروفيسور "جادي أريفا" أحد أساتذة جامعة تل أبيب في هذا الصدد: "إذا أردت أن تفهم صناعات التقنية العالية في إسرائيل ، عليك أن تبدأ بفهم الجيش". ومنذ عام ١٩٤٨ أنشئ في صفوف الجيش الإسرائيلي فرع باسم "سلاح العلوم" تحول بعد ذلك إلى "قسم البحث والتخطيط" التابع لوزارة الدفاع وهو ما يطلق عليه اسم "هيئة تطوير الوسائل القتالية" المعروف اختصاراً باسم "رفائيل" وقد تحددت مهمة "رفائيل" في تطوير وسائل قتالية جديدة عن طريق التكنولوجيا المتقدمة جداً وللعاملين بها صفة موظفي الحكومة وإن كانوا يتمتعون بامتيازات العاملين في حقول البحث العلمي

بمعاهد التعليم العالي، وفي عام ١٩٨٣ كان يعمل بها نحو ستة آلاف موظف معظمهم من الفنيين رفيعي المستوى وقد أدت هذه الوحدة دوراً بارزاً في تطوير الصواريخ "أرض- أرض" والصواريخ "أرض- جو" من طراز "شافيت" كذلك في تطوير نظم التوجيه ونظم الحرب الإلكترونية والصواريخ "جو- جو" وأجهزة الكمبيوتر المرتبطة بالتطبيقات العسكرية والقنابل الذكية، كما أدت "رفائيل" دوراً بارزاً في تطوير برنامج الصواريخ البحرية "غابربيل" سطح-سطح" ويكفي أن نعرف - وحسب الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية لعام ١٩٨٠ أن أكثر من ٧٦٪ من إجمالي الإنفاق القومي المخصص للبحث العلمي يوجه إلى الأبحاث العسكرية أو تلك المرتبطة بالأمن القومي، وهذه النسبة هي الأعلى في العالم فيما يتعلق بمعدلات الإنفاق على البحوث العسكرية إذا ما قورنت بدول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرى أحمد بهاء الدين شعبان (إسرائيل من الداخل - أعمال المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية - القاهرة ٢٨ - ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢) أن مجال الكمبيوتر وصناعة المعلومات من أكثر المجالات نجاحاً في إسرائيل ضمن حقول البحث العلمي المختلفة، وحسب مجلة "وايرد" الأمريكية المتخصصة في شؤون المعلوماتية وتقنيات الكمبيوتر فإن إسرائيل حازت المركز الرابع من حيث التأثير في صناعة المعلوماتية عالمياً كما يوجد في إسرائيل أكثر من نصف عدد وصلات الانترنت في منطقة الشرق الأوسط ، ونقلاً عن مجلة نيوزويك الأمريكية نائجة الصيت فإن "إسرائيل هي الجهة العالمية الوحيدة المؤهلة لمنافسة وادي السليكون" بكاليفورنيا في مجال صناعة أجهزة الكمبيوتر وتطور هذه الصناعة، وتصنف إسرائيل في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الشركات الجديدة ذات الصلة بالكمبيوتر، التي انتشرت في عقد التسعينيات الماضي".

ومثلت إسرائيل بما امتلكته من بنية أساسية جيدة وكوادر مهنية عالية التأهيل وبما طرحته من ميزات استثمارية مغرية منطقة جذب ضخمة لكبريات الشركات العاملة في مجال تكنولوجيا المعلومات ومن أبرزها:

- شركة **IBM**: التي أنشأت واحداً من أهم مراكزها (المحدودة) في الخارج بإسرائيل عام ١٩٧٤.
 - شركة **Microsoft**: عملاق شركات البرامج العالمية التي أنشأت فرعها Microsoft - Israel ١٩٨٩.
 - شركة **هيويت - باكاره H-P** أنشأت فرعاً لها في إسرائيل أيضاً وأواخر الثمانينيات من القرن الماضي.
 - شركة **Motorola**: التي يعد فرعها في إسرائيل من أقدم الفروع الأجنبية للشركة حيث تأسس عام ١٩٦٤ وصدر منذ ١٩٩٥ وحتى ١٩٩٩ بحوالي ٦٠٠ مليون دولار.
 - شركة **Intel**: ولها مصنع في إسرائيل يمثل أكبر مصانع الشركة خارج الولايات المتحدة وينتج فيه معالج "بنتيوم - ٤".
- فلعلنا ندرك الآن لماذا يصرتقرير اليونسكو "العلم في العالم" الصادر عام ١٩٩٦ على أن الجامعة العبرية بالقدس تتفوق على ما تنجزه الجامعات العربية مجتمعة فيما يتعلق بنشر الأبحاث العلمية.

سيبويه في ميدان طلعت حرب !!

كنت أشق طريقي بصعوبة في زحام وسط البلد متجهاً إلى شارع عبد العزيز، حين استوقفني رجل وسيم حسن وجهه مضيء محياه، باسم ثغره قائلاً :

أهلاً يا ابن رجب .. إلى أين المسير؟

تفرست في ملامح الرجل قليلاً بين مصدق ومكذب إنه بعينه، وأنفه، وأذنيه وصوته : عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد، الملقب بسيبويه ويكنى أبا بشر. [وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح].

• معقول؟ عم سيبويه ؟ كيف حالك يا أبا بشر؟ وكيف جئت إلى هنا؟ و... إلى أين المسير؟

• إلى شارع عبد العزيز، وصلت أمس من البصرة، وأقمت في "خان" يدعى (هيلتون) وشد ما انزعجت من اسمه لأنه ينتهي بالواو والنون ولكني لم أره مذكوراً عند شيخي الخليل بن أحمد ضمن الملحقات بجمع المذكر السالم.

• لا عليك. فإنه علم أعجمي. وما تبغي من شارع عبد العزيز؟

• جئت لأعير نجمات هاتفني المحمول، فقد ضاق صدري بنغمة (والله زمان يا سلاحي) فغيرتها بنغمة (بلادي بلادي بلادي) ففوجئت بابنتي "سوسو" تفرغ منها كلما رن الهاتف، فأنا أسعى في طلب نغمة (باحبك يا حمار) أو (المصريين أهمه)

• ولكنك فارسي يا أبا بشر؟ أليس كذلك؟

• بلى يا أبا مختار، ولكن هل غاب عنك قول المرقش الأوسط (أحمد فؤاد نجم):

"إيران يا مصر زينا

وعندهم ما عندنا

تمسك ودانك من هناك

تمسك ودانك من هنا

الخالق الناطق هناك

الناطق الخالق هنا"

- وما الذي جاء بك إلى مصر يا أبا بشر؟
- بالأمس سمعت كبير النظار الذي تسمونه "رئيس الوزراء" يقول - كما نشرت الصحف - " لن تسمح الحكومة لأحد بلوي دراعها " فأصابني هلع و احرنجمت أختبط تعاسيف اليربوع حتى اغسوسق المشق في غضايير الوشائر.

- ما شاء الله .. لهذه الدرجة غضبت؟
- كنت قد ارتحت في قبري سنين عددا، فجاء هذا الرجل فقلب علي مواجع قديمة
- وما هي؟

- لقد سمعت رئيس وزراء سابقاً يدعى عبد الرزق عبد المجيد يقول تحت القبة أواخر السبعينيات أو أوائل الثمانينيات (ورحمة أبويا الميزانية فيها فائض) أو (وشرف أبويا) أو (وحياة راس أبويا) أو كما قال . وبعدها سمعت عاطف صدقي يقول (إن الحكومة تسمع دبة النملة) وبعدها سمعت عاطف عبيد يقول عن المتفحمين في قطار تملكه حكومته (القتلى) ، وبعدها

سمعت أبا الغيط يقول إنه (هيكسر رجل اللي يعدي الحدود) وبعدها سمعت ابن بطرس غالي يقول لموظفي الضرائب (ما حدش يقدر يلوي دراعي)، وها هو ذا رئيسه يكرره بحرءفها..... فبعثت معجم العين و(الكتاب) لرجل يبيع فيهما طعمية في شرق البصرة، وجئت لأقيم هنا لأتعلم هذه اللغة المتحضرة (ولا أقول "الحضرية" حتى لا أذهب وراء الشمس) !!

- ولم ذاك؟ ألم تسمع قول المتنبي "الملافظ سعد!!"
- يا ابن رجب: الناس على دين حكوماتهم، فيجب أن نترك لغتنا القديمة المتحجرة لتكلم لغة أهل مصر المتحضرة (من الحضري) فهمت يا حمار؟
- ماذا تقول يا أبا بشر؟ هل تشتمني؟
- معاذ الله يا أبا مختار، كنت أقصد أن أقول لك: لعل المقصود بلغة (باحبك يا حمار) شيء آخر غير الحمير التي نعرف.

عند هذا الحد من الحوار وصلنا إلى ما ظنناه شارع عبد العزيز، فوجدنا باعة النعمات قد أغلقوا وغيروا أنشطتهم، فلما سألنا عنهم قيل لنا إنكم تسيرون في شارع مكرم عبيد في مدينة نصر!!! فعدنا أدراجنا نسأل عن شارع عبد العزيز، حوا له إزي من مدينة نصر!!

٩٠ دقيقة من (الفكاكة)

ليس في العنوان خطأ كتابي ، فأنا لا أقصد (الفكاهة) - وإن وردت ضمناً - ولا أقصد الفتاكة (فهي ليست فصحي) ولكنها في العامية تعني : ادعاء الذكاء ، أو محاولة الظهور بمظهر النبيه، ولكن (الفكاكة) في الوجدان الشعبي العام تدل على السخرية من المتذاكين ، أو من الأغبياء الذين تند عنهم تساؤلات تدل على عبقرية دفيئة ، مثل عمدة إحدى القرى المجاورة التي تفصل بين بلدنا وبلد أخينا العزيز الكاتب الصحفي سليم عزون الذي اشترى يوماً كمية كبيرة من الكتاكيت ثم وضعها في تليسة (شِوَال)، ووضع "التليسة" على البردعة على الحمارة وتربع فوقها وهو من أصحاب الوزن الثقيل ، وانطلق... !! ، فلما أب إلى قريته وفتح "التليسة" وجد الكتاكيت جميعاً قد ماتت، فاندھش جداً... واستغرب جداً... وتساءل في عبقرية فذة : [التليسة جديدة والحمارة شديدة .. أُمّال الخنقة جات لهم مزين ؟] تذكرت هذه الواقعة وأنا أتابع على شاشة قناة المحور الفضائية برنامجاً مسائياً اسمه " ٩٠ دقيقة " يقدمه مذيع ومذيعه ، لا يباريان - بضم الياء الأولى وفتح الباء - في خفة الظل والاستطراف، وحدة الذكاء، إن لم نقل : اتقاد الذكاء!!

وأنا أضطر أحياناً - لأسباب خاصة جداً لا يمكن الإفصاح عنها قبل عام ٢٠١١- لمشاهدة بضع دقائق يومياً من تلك الدقائق التسعين التي يمتحن الله تعالى بمشاهدتها بعض عباده ليبلو أخبارهم. ومنذ أسبوعين استضاف ذلك البرنامج الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي (أستاذ فلسفة إسلامية في تخصصه الدقيق والعميد الأسبق لكلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر) وأحد العشرة المعينين بقرار جمهوري بمجلس الشعب المصري) ومعه الأستاذة الدكتورة آمنة نصير (من نفس التخصص السابق وأظنها تولت

عمادة كلية من كليات البنات الأزهرية من قبل). وكانت مناسبة استضافتهما ما شاع أيامئذ من قضايا البول النبوي، وفتوى إرضاع الموظفة زميلها المضطرة للخلو، به في مكتب واحد من مكاتب الحكومة الذكية!!!

أما قصة البول النبوي فقد وردت في كتاب (الفتاوى العصرية) للدكتور علي جمعة في سياق (... أن الصحابة كانوا يتبركون بشرب بوله صلى الله عليه وسلم) [كما جاء في الصحف] وأما فتوى إرضاع الموظفة زميلها فقد أفتى بها أ.د. عزت علي عطية أستاذ ورئيس قسم الحديث الشريف بكلية أصول الدين بالقاهرة، ثم رجع عنها قبل بث تلك الحلقة من البرنامج (الريادي!!)

وقصة شرب بول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم ترد في كتب الحديث المعروفة بالكتب التسعة ولا في المعاجم الحديثية، ولا في كتب المسانيد، ولا حتى في الأجزاء الحديثية المعروفة، كما لم ترد في كتب السيرة النبوية المعتمدة مثل سيرة ابن هشام، وزاد المعاد، وسبل الهدى والرشاد، ابن كثير، والروض الأنف .. الخ، ولم أرها إلا في كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، الذي نسب هذا الصنيع للجارية الحبشية أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاضنته. ولعل سياق روايتها يدل على أن هذا الصنيع كان على سبيل الخطأ لا التبرك.

وأما قصة إرضاع الكبير التي وردت في السنة فلها فقهها الخاص الذي يرتبط بنزول حكم الحجاب بعد نزول حكم إلغاء التبني، فالحديث صحيح سنداً ومتناً كما قرر العلماء، لكنه ليس حجة لفقهاء جديد كما هو واضح من سياقه التاريخي.

ولئن رُتت قدم فقيه كبير كالشيخ علي جمعة [وهو بالمناسبة شافعي المذهب والشافعية خالفوا الجمهور في القول بطهارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ظاهراً

وباطناً!!!] ففهم من تلك الرؤية فهما خاصاً، أو غلط الشيخ عزت عطية فاستنبط حكماً فقهيّاً على غير ما تجيز قواعد الاستنباط [وهو بالمناسبة أستاذ للحديث وليس للفقهِ أو لأصول الفقهِ!!!] فإن تلك الزنة وأمثالها، وذلك الغلط وما يشابهه، ما كان لهما أن يتحوّلا إلى قضايا جماهيرية يشترك في مناقشتها ويخوض فيها من لا يحسنون الموضوع، بل ولا يعرفون كيف يتطهرون من أدراَنهم. ولكن الذي جنى تلك الجناية هو الإعلام.

نعم، فميثاق الشرف الإعلامي معطل، وحل محله ميثاق (القرف) الإعلامي فرأينا صحفيين مؤتمنين على حقوق الناس وقضاياهم يذهبون بما لديهم من مستندات إلى (ال كبار) من رجال الأعمال أو ذوي السلطان ممن تمسهم تلك المستندات فيلوحون بالنشر فتنهال عليهم العطايا والهبات : نقداً أو إعلانات، فيتحوّلون إلى شياطين خرس ورأينا بعض المصاحفين [الذين يكتبون للصحف وهم خارج المؤسسات الصحفية] يبيعون أقلامهم لمن يدفع أكثر وتستكتبهم الصحف لإثارة الزباج التي تحقق للصحف رواجاً فيطلقونهم كالكلاب المدربة على هذا (الموضوع) أو ذلك (الشخص)، أو تلك (القيمة) فيقيمون "المنادب" وتفرّقع عناوينهم المثيرة بما يضمن لهم (غدوة) أو (عشوة) أثيرة، أو سهرة مع (....) مثيرة!!

وقد انتصب مولد القضيتين اللتين تحدثت عنهما، وطبل المطلبون وزمر المزمرون ورقص الراقصون ثم انصرفوا - صرف الله قلوبهم - وهدأ السامر!! ..

ومرت أيام وإيال ثم فوجئت ببرنامج ٩٠ دقيقة يستضيف الشيخين اللذين ذكرت آنفاً (د. بيومي ود. أمانة) ليعيد اللت والعجن في تلك المسألتين من جديد!! وقد أجب الضيفان الكرمان إجابات علمية رصينة موثقة مختصرة تدل على حسن إدراكهما لرسالة الإعلام ووجه الدكتور بيومي لوماً مهذباً عفيفاً لوسائل الإعلام، ورجاها أن تعرض

عن نشر أمثال تلك القضايا التي تثير الرأي العام ، ولكن المذيع .. الناصح .. النبيه .. الفطن .. الألمي .. اللودعي .. وجدها فرصة لمزيد من (ابتزُّن) التسهيلات الفقهية - لأن الضيفين بدوا متساهلين ووديين في الإجابة عن بعض الأسئلة السريعة - وكأنه أمام (اوكازيون = تنزيلات) فسأل ضيفيه - في خفة ظل تضحك مذيع (الجزيرة) جميل عازر !!! - قائلاً - " لا فض فوه.. وهلك شانئوه.. وخاب منتقوه" : - طيب إيه حكم الشرع (بأه) في الغناء في الحمام؟ - وأضاف مفسراً سر هذا السؤال العميق - : أصلي أنا لما يكون في الحمام باحب أغني!!!!!! "

وللأمانة لا أذكر حكماً للشرع قاله الضيفان لكني أذكر بوضوح خيبة الأمل والصدمة والانبهار الذي ظهر على وجهيهما من شدة وقع هذا السؤال / الفاجعة!!
 تخيل - عزيزي القارئ - ما كان يمكن أن يحدث لو تورط أحد الضيفين في تحريم أو تحليل الغناء في دورة المياه، ثم تلقفت صحف البار والمبتز والمبوز وكاترة الختان والبخارة من دخلاء الصحافة هذه الفتوى وصنعت منها موسماً جديداً للغناء والرقص!!؟
 هذا المذيع الذي انفجرت - لا مؤخذة - قريحته فجأة بهذا السؤال العبقري، كان قد بدأ برنامجه بتوجيه (النصح والإرشاد السامي !!) للضيفين العالمين الجليلين قائلاً: " ليه يا (جماعة) احنا نحب دايماً إثارة مشاكل جديدة تافهة بعيدة عن واقعنا ؟ "
 وهذه القناة (المحور) معروفة التوجه، وقد ساعدت مشاهديها ليلة الجمعة ٨ يونيو ٢٠٠٨ على إحياء تلك الليلة المباركة بفلم أجنبي ساقط شاهدت منه دقائق فوجدته يدافع عن السحاقيات!! وألاحظ كثيراً أن مقدمي برنامج ٩٠ دقيقة حين يستضيفون أحد ملاك قناة المحور، أو يهاتفهما متداخلاً مع ضيف يكونان في غاية الأدب والنصوص والبلاغة والمحفوظات!!! لكن مع العلماء يكونان في منتهى الإبداع والتألق و... "الفكاكة!!!!!! "

" أستاذ دكتور " .. بربع جنيه !!

العلوة الدورية السنوية لمن يشغل درجة (مساعد أستاذ) هي ستة جنيهات مصرية لا غير، فإذا جد واجتهد، وقام وقعد، وأمضى خمس سنوات في عناء وكبد، وتقدم للترقي لدرجة أستاذ – وهي نهاية درجات الترتي العلمية – قفزت علوته السنوية الدورية من ستة جنيهات إلى ستة وربع، وهذا الوضع سائد في مصر من نصف قرن تقريباً توالى فيه الحكومات، وتعددت فيه الطرقات، وتغيرت أسعار العملات، وتأخرت المعارف وتطاولت النكرات، ولم يخطر ببال أحد أن يلتفت إلى هؤلاء البائسين الذين تلعفوا بالاستعفاف ونفراً من الاستجداء، ورفضوا الابتزّز طوال خمسين عاماً، وهم على الفقر صابرون وبالعفة مستمسكون .

وليت الحكومات المتعاقبة اكتفت بتجاهلهم، وإهمالهم، وببذهم عمداً خلافاً لكل فئات المجتمع التي يحق لها اختيار من يقودها ويمثلها إلا أساتذة الجامعات لأنهم قاصرون فإن الحكومة وهي (الرشيدة !!) وصية عليهم في شرعها وليس في شرع الله، فهي تختار لهم قياداتهم في مناصب الجامعة جميعها، حتى لا يسيئوا الاختيار لأنهم قاصرون عابثون لا يفرقون بين الألف وكوز البوظة!!

وهي لا تتدخل في شؤونهم بتعيين قياداتهم فقط، ولكنها تبت عيونها بينهم إذا قاموا وإذا قعدوا وإذا هموا بما لم ينالوا، وتبت عيونها بين الناشطين منهم خاصة، لكي تحول بينهم وبين أنفسهم إذا أرادوا بأنفسهم شراً وهم لا يشعرون .

وهي لا تكتفي بالتدخل في شؤونهم بتعيين قياداتهم، وبت عيونها بينهم، ولكنها تنتقي منهم أزملاً وأصناماً تربيههم في زرائبها، وتصنعهم على عينها، ممن لهم سابقة في الخبص والفساد والإيقاع والإبلاغ، فتتخذ منهم قادة للقمع، وسادة للردع، وعمداء للصفع (كما حدث في علوم طنطا أخيراً) وكريشاً للبلع، وباسم تطوير القدرات، وتنمية المهارات وتفتيح المستفتحات، وتغليق المستغلقات، يمكن القول بأن الثعلب – والله أعلم – فات!!!

وقد نشرت الصحف المستقلة عن الحكومة يوم الخميس ٢٢/١١/٢٠٠٧ نبأ وقوف نحو ثمانمائة أستاذ تخطوا السبعين في نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة وقفة احتجاجية تقلصت مطالبهم فيها بتحسين أحوالهم المعيشية ومنحهم أجر خمسين يوماً مكافأة!! وإشراكهم (والعياذ بالله من الشرك والإشراك) في التدريس. تلك هي مطالب صفوة الصفوة ونخبة النخبة، لم يخطر ببالهم أن ينددوا بتزوير أية انتخابات طلابية لأن منهم - وليسوا جميعاً - الذين سنوا التزوير حين كانوا في مواقعهم ومارسوه، سنين عدداً ولم يخطر ببالهم أن يدافعوا عن الفقراء الذين تنكل الحكومة بهم وبآبائهم برفع المصروفات الجامعية إلى حد التعجيز الحقيقي عن مواصلة التعليم، في الوقت الذي تعفي فيه معظم الجامعات العربية والعالمية طلابها من الرسوم إعفاء تاماً أو جزئياً. ولم يخطر ببالهم أن ينددوا بتزوير أية انتخابات نيابية أو غير نيابية، لأن أكثرهم عاشوا يلمون بيوم ترضى فيه الحكومة عنهم فتتخذ منهم وزراء وسفراء ورؤساء هيئات، فرضخوا ونخوا ورضوا بأن يكونوا مع الخولاف فأذاقهم الله لباس الذل والجوع والخوف والخنوع.

ولم يخطر ببالهم أن ينددوا بأي عدوان على الأراضي العربية التي سرقت طوال أعمارهم السبعين، فشهدوا إسرائيل وهي تخطف قطعة مصرية عزيزة من الزعيم الملهم جمال عبد الناصر وهي (أم الرشراش) فتسميها إيلات، وتصبح هي منفذها الوحيد على البحر الأحمر الذي كان بحيرة عربية خالصة فشاركنا فيه وصارت هي سيدة باب المندب عند اللزوم، وصدرت التعليمات للإعلام ألا يفتح سيرة أم الرشراش ولا أم الخلول ولا أم اربعة وأربعين حرصاً على مشاعر الزعيم!! وشهدوا تركيا وهي تسرق ميناء الإسكندرونة السوري ويصبح أرضاً تركية، وشهدوا إيران الشاه وهي تسرق جزر الإمارات الثلاث، وشهدوا أسبانيا وهي تسرق مدينتي سبتة ومليلية جهاراً نهاراً.

كل ذلك شهدوه، ولم يحرك منهم ساكناً ولعل أحداً منهم لم يفكر فيه قط، ولعل أحداً منهم لم يعلم طلابه كيف يجب عليهم أن يثوروا ويثوراً لتلك الأراضي المنهوبة، ولعل

بعضهم علم طلابه أن يخوروا! لا أن يثوروا! فهياً لهم من الرحلات الماجنة والسهرات الآمنة ما تقر بهم أعينهم، وتسكن به "ثوراتهم!!"، ليطلبوا العلم بعدها وهم هادئون!!

لست - ولم أكن يوماً - متعاطفاً مع أولئك السبعينيين الذين يثورون وهم في سن اليأس على أوضاعهم صنعوها وشاركوا فيها بالفعل أو بالصمت. فليقفوا احتجاجاً إن شاؤوا، أو فليقعوا انتظاراً إن شاؤوا، فلن يسمع بوقوفهم ولا بقعودهم أحد، ولن تجبرهم حكومة بلتهم فأحسنّت بلاءهم، وعلمت منهم من وافقها ومن نافقها ومن "رافقها" وستتخذ من أولئك الرفاق القدامى سيوفاً تقطع بهم رقاب إخوانهم ممن يشاركونهم (الآن!!) الوقوف فهذه سياستها، وذلك دينها، وتلك شنشنتها التي اصطنعتها مع القضاة، فقربت منهم بعض السبعينيين فيما أسمته لجان التصالح ومحاكم الأسرة: لتضرب بهم المتشددين من إخوانهم.

ولست - ولم أكن يوماً - متعاطفاً مع أولئك السبعينيين الذين يثورون وهم في سن اليأس بعد أن رأيت بعضهم يسكتون على سرقات علمية ورأيت بعضهم يبيعون الدرجات العلمية بيعاً ورأيت بعضهم يبيعون الترقيات بيعاً ورأيت بعضهم يرى نفسه إلهاً صغيراً فيعز ويذل من طلابه ويخفض ويرفع من مرؤسيه، حتى إذا خلت به الحكومة أو خلا بها رأيناه يسقط ويركع، ويسجد ويذل، ويعطر بأحذية صغار المخبرين والمرشدين وجهه الوقور، ورأيت بعضهم يسرق رسالة طالب فقير فيهدئها لرجة رئيسه فيرتقي حتى يصبح نجماً يلمع لحظات ثم يخور ويحور فيأفل فيسقط في منزلة التاريخ مخلفاً وراءه كل ما اجترح من سيئات وكل ما اقترف من آثام، وتاركاً لتلاميذه أسوة عفنة وقدوة تننة.

قفوا يا أساتذتنا أو اقعوا فقد ذبحتم أنفسكم حين سكتم عن علاوة ربح الجنيه

نصف قرن!!

" تذكير " الجامعات بانها " مؤنثة " ...!!

على مقهى "السعادة" المجاور لعجلاتي " الهنا " غربي محطة السكة الحديدية التأممت جلستنا الأربعائية المسائية على عاداتها، أقبل الأخ موهوب متمائلاً في أقصى حالات التجلي، والانبساط، جلس مبحلقاً وقد اتسعت حدقتاه، ودارتا في محجريهما بسرعة شديدة، كان يلهث ويسعل وتخرج أصوات مبهمه من فتحات وجهه كافة، أدركنا أنه – كالعادة – تعاطى حشيشاً مغشوشاً، فلم نعجل عليه بطلب المشاركة في الحوار، و لكنه قال بعد أن شد من شيشته نفساً طويلاً:

- عليّ الطلاق حكومتنا دي عشرة على عشرة.
- لماذا يا هذا ؟ سأله برعي ابن خالتي مندهشاً.

فقال شارحاً:

انظروا إلى جامعاتنا المصرية وهي تعيش حالة من الفرح والبهجة والسعادة لم تعرفها في حياتها، فمنذ ظهر في سمائها قادة عظام أمثال مفيد شهاب وهاني هلال، والأمور تسير من حسن إلى حسن بشرطة، وقد ازادت العملية حسناً وبهاءً وجمالاً بالعمدة الكبير أحمد نظيف!!

قال له المعلم خليفة وشهرته أبوضيف:

- عليّ الطلاق من " كايداهم " هذا الرجل " فلتة " في تاريخ مصر الحديث. يا أخي كفاية ملافظه التي "تشر" منها الحكمة والبلاغة والإيجاز والإعجاز و"النصاحة" والعبقرية، فقد تفو؛ هذا "الفلنة" بأقوال مأثورة منها:

- " لولم تندخل في انتخابات ٢٠٠٥ لفاز الإخوان المسلمون بمقاعد ثلث المجلس
النيابي " (قالها في أمريكا)
- " شعب غير ناضج سياسياً..!! " (قالها في أمريكا واصفاً الشعب المصري)
- " ما حدش يقدر يلوي دراع الحكومة "
- " لن نسمح بإضرابات، فالإضرابات مخالفة للقوانين "

بدا الشيخ بطيخ متمملاً، فهو مصاب بحالة من الزغطة منذ عامين، ولم يستطع أطباء الصعيد معالجته، فمن يوم قال أبو الغيط إن مصر لن تسمح بإقامة أي منشآت نووية في الشرق الأوسط والشيخ بطيخ مكتئب محسور مصاب بهذه الزغطة اللعينة، فقد كان يعتزم بيع حماره وإنشاء حطة مفاعل نووي - على قد الحال - في أولاد شلول من نواحي المنشأة فقال معقباً:

- أضيف إلى هذه [الدرر] ما يتفوه به وزراؤه "الناضجون سياسياً" أمثال
المصيلحي وهلال وأبو الغيط من درر أخرى من عينة "لن نسمح" ولن.. ولن ..
أدركنا معنى وحقيقة هذا النضج السياسي الذي يفهمه نظيف.

قال المعلم خليفة وشهرته أبو ضيف:

- الأسلوب الذي تعامل به هذا "الناضج" سياسياً، وتابعه هلال مع أساتذة
الجامعة الغاضبين من تدني رؤيتهم، كان أسلوباً مسرفاً في التخلف، ممعناً
في الكيد، مغرقاً في النتن، فقد استهدف هذا الأسلوب:
- شق صفوف الأساتذة باستدراج بعض مرؤوسيه من رؤساء الجامعات،
وبعض مشاييعه من رؤساء الأندية إلى هذا الاجتماع لتأليبهم ضد زملائهم.

- الخلط المتعمد بين "الرياتب" وما أسموه بـ"الدخول"، في محاولة يائسة فاشلة مكشوفة للتضليل النفسي والإعلامي. فالأزمة كما جاءت في مطالبات أندية أعضاء هيئات التدريس هي أزمة "رياتب" عفنة بالية لم تعد تناسب أحداً، ولكنها في لغة هلال ونظيف تسمى (دخل) عضو هيئة التدريس، في محاولة للإيحاء بأن ما يحصل عليه هذا العضو متعدد المصادر والصور، وهذا – مع الأسف – ما يفهمه أولئك "المتبزنسون" ممن يلون أمورنا، من صنائع الأمريكان ومواليهم، الذين يرون في كل شيء "صفقة"، ولا يفهمون أن التعليم (الجامعي وغير الجامعي) هو بالدرجة الأولى: رسالة وليس صفقة!!
- محاولة إلقاء الأساتذة عن إضرابهم المزمع تنفيذه يوم ٢٣/٣/٢٠٠٨.
- إشعار الأساتذة بأنهم (غير ناضجين) مهنياً، ففكرة ربط زيادة الأجور بزيادة الالتزام تعني ضرورة تسليم الأساتذة سلفاً بأنهم متسيبون، مهملون متجاوزون، لا يعرفون واجباتهم كما أنه يعني – ضمناً – أن أعضاء بقية الفئات التي تكال لها المزيا المادية كالقضاة وضباط الشرطة والصحفيين (ولا نتحدث عن الفنانين والرياضيين) يعرفون واجباتهم وملتزمون و(ناضجون) مهنياً، فلم يحدث أن اشترط رئيس وزراء مصر على أي فئة – حتى الزبالين – أن تقبل رفع رواتبها مشروطاً.
- إن هذا الأسلوب استمرار لسياسة اتبعتها ثورة يوليو منذ قيامها تستهدف إقصاء الجامعات، بل "إخضاعها" بحيث أصبحت الجامعات مؤسسات ضعيفة "للسبوبة" والنفاق والتسلق، في ظل غياب الشفافية، وسيطرة الأمن واختيار قياداتها بالتعيين لا بالانتخاب وإشاعة سياسة "جوع كلبك يتبعك"

عن طريق ما يسمى بالمشروعات الممولة دولياً بالقرض والمنح، والتي يتهافت عليها صغار الكبار كما تتهافت الفراشات على النور، ولا أقول كما يتهافت الذباب على قطع فئات الحلوى الساقطة حول مؤائد... الكبار!

قال برعي وقد نحى الشيشة جانبا:

• إن تاريخ الجامعات المصرية ليقشعر خجلاً وهو يوازن بين خريجين وعلماء وسياسيين حفرؤ! أسماءهم بكل جلال وتقدير وهيبة على سطور تاريخ مصر المشرق من أمثال: طه حسين، وعلي مصطفى مشرفة، وكامل مرسي، وأحمد أمين، وأمين الخولي، وبنيت الشاطي، وعز الدين إسماعيل، وعطية عبد السلام عاشور، وسعيد عبد الفتاح عاشور، وسيدة الكاشف، ومن الباقيين: عبد الوهاب المسيري، وسعيد إسماعيل علي، وقاسم عبده قاسم، ومحمد أبو الغار، وعمر السباخي، وأحمد درّاج، ومحمد شرف، وسعيد سلامة، وغيرهم مئات. من جهة، وبين أمثال عاطف صدقي وعاطف عبيد وأحمد نظيف من جهة ثانية، هذه مصر، وتلك مصر أخرى، لا يعرفها إلا من اغتصبوها وأرهقوها وامتهنوها وباعوها في سوق النخاسة، وتاجرؤ! بعرضها وشرفها وكرامتها وتاريخها المجيد، لا لشيء إلا لأنهم يجهلون هذا التاريخ، وليسوا ولم يكونوا ولن يكونوا من صنّاعه أبداً مهما تطل بهم سكرة النشوة، وسطوة الصبوة، وعريدة القوة.

غير أن الحقيقة تقتضينا أن نشهد بأن جامعاتنا من يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ - يوم أرسل مجلس جامعة الإسكندرية برقية تأييد للضباط الأعداء - وهي توالي انتكاساتها وخضوعها وتذللها، وتخلع في كل ليلة قطعة أخرى من ملابسها، حتى أصبحت أكثر إغراء وإغواء لكل من يريد أن "يضرب المربوط ليخاف السائب"، فهذا الذي حدث في الاجتماع الأخير من اشتراط تحسين الدخل بشرطين:

• عدم تغيير جداول المرتبات.

• تحسين الأداء وقبول الصرف لفئة دون فئة.

هو آخر مسمار يدق في نعش كيان كبير كان اسمه يوماً (الجامعة) المصرية، كيان استطاع طلابه عام ١٩٣٥ إجبار الأحزاب الورقية على أن تلم شملها وتوحد صفوفها وتفوض النحاس لتوقيع معاهدة استقلال مصر ١٩٣٦.

واستطاع طلابها عام ١٩٤٦ إذلال المحتل الإنجليزي الغاصب وتركيعه، واستطاع طلابها في ١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٧ إعادة الصواب إلى عقول فقده من أمثال القيسوني وممدوح سالم والدموي إسماعيل وغيرهم.

قلت معقباً على هذا الحوار الديموقراطي :

• اخصوها وأريحونا، وخصصوها وييعونا، وأثثوها وشحّتونا، لكنكم أبداً لن تستطيعوا مهما يصنع صغار عملائكم - أن تزيّفوا تاريخنا، ولا تاريخ جامعاتنا، ولا تاريخ وطننا فأنتم - معشر المماليك الجدد - سحابة صيف عمّا قريب ستنقشع ولو كرّ المنتفعون.

الأدعية الشعبية، البنية والدلالة

تعتبر الأدعية الشعبية عن الشخصية والبيئة خير تعبير، أما تعبيرها عن الشخصية فيظهر فيما تفيض به تلك الأدعية من عواطف تكشف التكوين النفسي للمتفوه بها، من حب أو بغض أو تقدير أو احتقار أو تعجب أو استنكار تجاه فرد أو أكثر، وتجاه سلوك أو أكثر من سلوكيات الآخرين.

وأما تعبيرها عن البيئة فواضح من خلال ما يتميز به البناء اللغوي للدعاء من تشبيهات واستعارات يصنع الصورة الفنية الجميلة الدعائية ملتبسة بمكوناتها البيئية القريبة من صور ولغة.

وقد حظيت المأثورات الشعبية من المواويل والأغاني والسير، باهتمام الباحثين في الدراسات الشعبية والأدب الشعبي، وبقيت مجالات: النكتة والأحاجي والألغاز بعيدة نسبياً عن اهتمام الباحثين لقلة النتاج، وصعوبة الرصد والجمع والتحقيق والتدوين وتعدد اللهجات. ولكنها - مع ذلك - حظيت ببعض المقالات وإن تكن محدودة.

وأما الأدعية الشعبية، فلم تحظ - فيما أعلم - بأدنى اهتمام، فلم يصادفني بحث علمي واحد أو مقال يتناولها بالبحث والدرس. لذلك رأيت أن أمهد لفتح باب دراسة هذه الناحية المهملة من موروثنا الشفاهي الذي يتميز بتجدد الإبداع فيه عصاراً بعد عصر، ومن بيئة إلى أخرى.

مفهوم الأدعية الشعبية:

يمكننا تعريف الأدعية الشعبية بأنها "تلك العبارات التي يتفوه بها الإنسان تعبيراً عما يجيش بصدرة من مشاعر تجاه الآخرين حاملة رغباته إنءهم، أيأ ما كانت هذه

الرجبات: خيراً أو شراً. وغالباً ما تكون الدعوات مرتبطة بمواقف يبدو فيه الداعي ممتناً للآخرين فيدعو لهم بالخير والسعادة والتوفيق، أو مواقف مغايرة يبدو فيها ناقماً عليهم نتيجة أذى ناله منهم أو مبعضاً لهم لسوء سيرتهم أو لموقف معين بدر منهم.

وكبار السن من الآباء والأمهات والأجداد والجدا، هم الأكثر لجوءاً للدعاء، وربما

يعود هذا إلى أسباب تدور جميعها حول التقدم في السن منها:

١. الاقتراب الفطري من النهاية يجعل الإنسان أكثر رغبة في استمرار تأثيره،

وهو يرى في استجابة الدعاء بقاءً لأثره في غيره؛ فيما لو عاجلته المنية.

٢. تقدم السن مؤذن - بطبيعته - بالضعف الجسماني، وتضائل أو (انعدام)

القدرة على النفع أو الإضرار بالقوة الجسمانية، وهنا يكون اللجوء إلى الدعاء

بوصفه قوة معنوية.

٣. يرتبط التقدم في السن عادة بالتوبة والندم على ما فات، ومن ثم يسرع

الإنسان - ذكراً كان أم أنثى - بالعودة إلى رحاب الله، والانتظام في

العبادات وعمل الطاعات لاستدراك ما فات، والمداومة على العبادة تتضمن

الاستغفار والإكثار من الدعاء، مما ينسحب على سلوك الفرد المسن، ولغته

خارج أوقات العبادة. فهو يتخذ الدعاء سلاحاً في كل موقف.

٤. من اللوازم الصحية المصاحبة لكبر السن: ضيق الصدر، وارتفاع الضغط،

وزيادة التوتر العصبي، وكثرة القلق، وكل ذلك يؤثر في سلوك المسن وفي

لغتهم، فيكونون أعجل إلى الدعاء منهم إلى المحاجة والجدل والإقناع.

البناء اللغوي للدعاء:

مع أن الدعاء باب من أبواب الأسلوب الإنشائي، فإن بنيته اللغوية – في المأثور الشعبي الشفاهي – تتنوع بين الأسلوبين: الخبري والإنشائي، كما هو الحال في نصوص الفصحى الأصيلة، وهو في حالة وروده على الأسلوب الخبري يكون أقوى دلاليًا لكونه يُشعر بالتحقق وحتمية الاستجابة، ويظهر من بنيته اللغوية ذات الشكل الخبري، ما يوحي باليقين من أن الداعي واثق بأن ما يدعو به واقع لا محالة. كما سنرى في الأمثلة التالية بعد قليل.

وحين يرد الدعاء طبقاً لصورته الأصلية (أعني بوصفه نوعاً من الأساليب الإنشائية التي لا تحتمل الصدق أو الكذب لذاتها) يتخذ عدة صور منها:

١. سؤال الله مباشرة مثل:

(يا رب تنجح) وهو دعاء مباشر مقرن بياء النداء.

٢. حذف المنادى وتحويله إلى مبتدأ مثل:

(ربنا ينجح مقاصدك) وهو دعاء غير مباشر حذفته منه أداة النداء، فتحول المنادى إلى مبتدأ.

٣. حذف المنادى وأداة النداء معاً مثل:

(يوقف لك أولاد الحلال) وهو دعاء غير مباشر محذوف الأداة والمنادى معاً.

٤. اقترن الدعاء بفعل يفيد الرجاء مثل:

- (يجعل لك في كل خطوة سلامة) في الخير.

- (جاتك داهية) – جاتك داهية- في الشر.

٥- استخدام النفي، مثل:

(اللي وراك ما يحصّلك، واللي قدامك ما يفوتك)

وهذا دعاء في الخير المقصود منه أن يكون المدعوله بارزاً، ناجحاً، متفوقاً على غيره، محرزاً لكل ما يبتغي من الخيرات، محصلاً لكل ما يسعى إليه من نجاح.

ومن أمثلة استخدام النفي في الدعاء بالشر:

(تشرّق ما تلقى، تعرّب ما تلقى!!)

فالداعي هنا يسأل الله تعالى أن يضيق رزق المدعوعليه، بحيث تفوته أي فرصة لتحقيق ما يسعى إليه فتضيق عليه الأرض بما رحبت، فلا هو يجد خيراً في المشرق، ولا هو يجد خيراً في المغرب، وذكرهاتين الجهتين في تلك الدعوة ليس للحصر، ولكن للاكتفاء بهما عن ذكر بقية الاتجاهات الجغرافية، وفي المذكور اكتفاء به عن المحذوف، والأصل (وتبحّر ما تلقى وتقبّل ما تلقى) أي أن الداعي يتمنى للمدعو عليه الفقر المدقع أينما يولّ وجهه.

٦- استخدام العطف، وتكرار العطف:

ومن أمثله في دعوات الخير:

(من اللبن تكرّع، ومن الوؤد تفرّع)

أي أن الداعي يسأل الله تعالى للمدعوله الرزق الحسن (المعبّر عنه باللبن) والذرية الكثيرة. وفي بناء هذه الدعوة ما يسميه البلاغيون: "المساواة"، بمعنى تساوي جملي التعبير في البناء اللغوي، فكل جزء من الدعوة جملة اسمية خبرها شبه جملة متقدم، واسمها جملة فعلية متأخر وجوباً لتقدم شبه الجملة عليه. و(الوؤد) - بكسر الواو وتسكين اللام- جمع وؤد (بفتحها) في العامية المصرية بعامّة، وفي عامية الصعيد بنحو خاص.

والفعل (تكرع) بتشديد الراء المكسورة، أصله (كرع) ثلاثي فصيح، ولكن دلالته في العامية الصعيدية تكاد تساوي دلالة الفعل (يعب) في الفصحى القديمة: أي يشرب بنهم وعجلة. والفعل (تفرع) بتشديد الراء المكسورة مساوٍ لمثيله الفصيح بناءً ودلالة. ومن أمثلة العطف في أدعية الشر:

(لا كَسَّبَكَ، ولا رَشَّدَكَ، ولا عَطَاكَ عَدَل)

لا كَسَّبَكَ: بتشديد السين، أي: لا رزقك الله كسباً من أي نوع. وهو مساوٍ لمثيله الفصيح. لا رَشَّدَكَ: أي لا رزقك الله الرُّشْدَ حيثما ذهبت.

لا عَطَاكَ: أصله، لا أعطاك، والعامية المصرية تحذف همزة التعدية، فيسمون أبناءهم (عبد العاطي) والمقصود (عبد المعطي).

عَدَل: العدل (بفتح الدال) أي الصواب والخير والمعنى: لا أعطاك الله خيراً، ولا هداك إلى صواب.

ونلاحظ في هذه الدعوة تكرار العطف: لا، ولا، ولا...

٧- استخدام فعل مساعد:

يشيع في لغة الدعوات الشعبية استخدام فعل مساعد لا أثر له في بناء الدعوة مثل قولهم في الخير: (رُوح) = فعل أمر بمعنى اذهب محفوظاً. ومثل قولهم في الشر: (غُور) = فعل أمر بمعنى اذهب محفوظاً بالمهالك. ومثل قولهم في حالتي الخير والشر: (جاك كذا) ومن أمثلته في دعوات الخير:

(روح يا شيخ .. ربنا يوتق حز'ك، ويمشِّي كلامك)

يوتَّق = التاء فيه مبدلة من التاء، والتوثيق بمعنى التأكيد، فالدعاء بتوثيق الحز'م كناية عن الدعاء بالتمكن في الرزق أو الوظيفة.

ويمشي كلامك = أي لا يُرد لك رأي، ولا تُصدر لك رغبة، ولا يصيبك إحباط أو قهر أو كبت.

ومن أمثله في الشر:

(غُور جاتك غارة)

أي: اذهب عني، دهتك الدواهي، وربما الله بكل شر.

أبعاد الدلالة في بناء الدعوات الشعبية:

تفيض مفردات البناء اللغوي للأدعية الشعبية بدلالات تتخذ أبعاداً نفسية واجتماعية وثقافية ودينية من جهة المضمون، وتتخذ أبعاداً فردية وتركيبية من جهة الشكل، والسبب في الثراء الدلالي للدعوات الشعبية التغير الإستمولوجي الذي يعكس الموروث الثقافي المجتمعي بما تتضمنه من تراكمات حضارية متنوعة الجذور، فضلاً عن التنوع المعرفي الذي يتكون منه المجتمع الذي يحتفظ كل فصيل منه بموروث هامشي من الوعي التاريخي بأصل الفصيل وتوجهاته، رغم ما يحاول الجميع -تحت وطأة التعقيد الذي ران على التركيب الطبقي للمجتمع- من إبداء صور الوحدة والتجانس الثقافي. فالموروث الثقافي، هو المحرك الحقيقي للسلوك، تختلف في الإسكندرية والمدن الساحلية - حديثه التكوين- عنه في كثير من مدن وقرى الصعيد الذي ما زال متمسكاً بأصوله القبلية والعشائرية، كما تختلف عنه في مدن صناعية سريعة التغير والتبدل، ديموجرافياً وإسكانياً مثل القاهرة وطنطا والمنصورة وأسيوط، ويختلف عنه أيضاً في قرى ومدن الشمال في دلتا مصر.

ففي مقارنة دعوات شعبية شفاهية مدونة من تلك المدن التي ذكرناها، تظهر بوضوح الأبعاد الاجتماعية والثقافية، في مستوى المضمون، وتظهر الأبعاد الإفرادية والتركيبية في مستوى الباء التعبيري للجملة.

كما تتنوع الأبعاد الدلالية للدعوات الشعبية من حيث بلاغة التعبير، فتشمل أنماطاً مكررة من الكناية والاستعارة والتشبيه البليغ والحذف والقصر والمجاز المرسل، كما تتنوع فيها الفنون البديعية من جناس وطباق وتورية .. إلخ.

وفيما يلي نموذج للبعد الدلالي النفسي في الدعوات الشعبية:

يتمثل البعد الدلالي النفسي في الدعوة الشعبية في تلك النماذج التي تعكس مشاعر الحب والإيثار في الجانب الخير من الدعوات مثل قول الأم حين تدعو لابنها أو ابنتها، أو لأحد أقاربها فتقول:

(الحلوة في طريقك، تكون من نصيبك)

فهي تتمنى للمدعوله أن يستأثر بكل خير يلقاه في طريقه، أو يسعى إليه. كما تظهر في قولهم:

(يحبب فيك البعيد والقريب ..)

واللي ماشي في الطريق ...

والنصراني أبو صليب)

كما يتمثل البعد الدلالي النفسي، في تلك النماذج التي يظهر فيها المدعوله في صورة مبهجة محاملة بالاحترام والتوقير والهيبة كما في دعواتهم:

(تهيب ما تتهاب)

أي: اسأل الله تعالى أن يجعلك مهيباً، وأن يرنقك الشجاعة بحيث لا تهاب شيئاً ولا أحداً. والفعل (تتهاب) في العامية يساوي (تهاب) في الفصحى .

ومثل قواهم:

(ربنا يغلّض عِمَّتَكَ، ويمشّي كلمتك)

يغلّض: أي يغلط، وعِلْظ العِمّة (العمامة) وكبرها كناية عن المهابة وارتفاع المكانة الاجتماعية.

وأما في الشر، فيظهر البعد النفسي الدلالي، في رغبة الداعي في زوال المدعو عليه وانقطاع أثره، ومحوه من الوجود محوً كاملاً، كما في قواهم حين يدعون على الطفل المشاغب:

(لا تطلع ولا تُجرّد): فهو دعاء عليه بالموت.

وكما في قواهم:

(يا رب ما تترب ولا تدري)

وفيه تورية، فليس المقصود هنا التراب، ولا ذرية الحبوب، وهما ما يفهم في العامية من ظاهر الفعلين (ترب- تدري) ولكن المعنى البعيد مأخوذ من [التريب= بمعنى الأصول والفرع من الآباء والأبناء] والذرية [وهي الذرية بالفصحى].

والبعد الدلالي النفسي في دعوات الشر أكثر وضوحاً منه في دعوات الخير، ذلك أن دعوات الشر تتصل مباشرة بالغرأز النفسية، وتعبّر عما يكمن في اللاشعور من رغبات مكبوتة في التخلص من مصادر الإيذاء (الآخرين) جذرياً. فتأتي بعض الأدعية معبرة عن رغبة الداعي في إيقاع أشد البلاء بالمؤذنين من المدعو عليهم. كقواهم:

(جاك العمى وطولة العمر)

لأن الأعمى كما يراه العامة يشقى كثيراً إذا لم يكن هناك من يساعده، وكلما طال عمره زُِدَ شقاؤه وتعاسته.

وكما في دعائهم:

(العيا الشديد اللي ما تلقى له طبيب)

وقد تظهر نوازع سادية في الداعي تتمثل في استخدامه لدعوات حادة تظهر فيها الرغبة الجارفة في تعذيب المدعو عليه وتبني أسوأ النهايات كما في قولهم :

(جاتك شِنعة في ضُهر جِمعة)

والمعنى: أن الداعي يتمنى للمدعو عليه أن يموت ميتة شنيعة وقت صلاة الجمعة حيث يكون الوقت طيباً والدعاء مستجاباً. وأكثر العامة يكسرون حرف الجيم من كلمة (جمعة) مما يجعلها تصنع جناساً صوتياً مع كلمة (شِنعة) مكسورة الشين.

وكما في قولهم: (الحكيم يُنخّ، والسقّاء يُبَخّ)

والحكيم = (الطبيب) المقصود هنا الطبيب الشرعي الذي يؤتى به في أعقاب الحوادث المؤسفة لتشريح الجثث، والدعاء بأن (ينخ) الطبيب (والنخّ هو وضع الجسم المتهيّ للجلوس حين يكون أقرب إلى الأرض) فيه دلالة على سوء حالة الجثة وتشوهها بحيث يحتاج الطبيب إلى التحرك لأعلى وأسفل حتى يتمكن من عمله، وأما وجود السقّاء في الدعوة ففيه دلالة على أن يكون الحادث المؤسف في يوم قيظ شديد، ومن المعروف أن أهل الصعيد خاصة يستعينون على تلطيف الجو الحار برش المياه على الأراضي الترابية فإذا تبخرت المياه لطّفت الجو والفعل (يَبَخّ) معناه يرش الماء من قريته. وبين (ينخ) للحكيم، و(يبخ) للسقّاء جناس واضح.

نموذج مما يجهله الشيخان التنويريان ..!!

عندما أشاهد الدكتور مراد بن وهبة أو جابر بن عصفور تصيبنني حالة غريبة جداً هي مزيج من السعادة والإشفاق، وبينهما شيء من الدهشة للمساء!! [لأن الدهشة الخشنة لا تحضرني إلا عندما أقرأ مقالات ممتاز القط وكاريكاتير عمر فهمي كل سبت في أخبار اليوم.] أما السعادة فلأنني سأستمتع بفصل رائع من الكوميديا، فهذان أستاذان شيخان شائخان أفنيا عمريهما في دراسة أكاديمية لا صلة لها بالدين، وانتهيا إلى التحدث في الدين وحده!!

والدكتور وهبة لا يكل ولا يبيل من النعي على ما يسميه "ثقافة الذاكرة" والدعوة إلى "العلم"!!! باسم الله ما شاء الله على "الفتوح"!! وكأن العلم "طقتة نخلة" (وهذا تعبير صعيدي معناه بلغة البحارة: مقطوع من شجرة = أي لا أصل له) مع أن العلم - أي علم لولم يعتمد على التطور لأصبح عبثاً ولم يعد علماً، لكن الرجل (النمس) يقصد بثقافة الذاكرة التراث الإسلامي وحده لا غيره.

والدكتور عصفور عنده عقدة قديمة - لا أعرف سرها!!!!!! - من "الظلام" فهو دائم التخويف من الظلاميين التوربيين الذين يريدون بالبلد وأهله ما لا يصح ذكره، والرجل يبتغي من وراء ذلك ما لا يخفى، فهو ولفيف غيره، عيونهم على الوزرة وقد طال عهدهم بالشوق إليها وهي تتأبى عليهم.

وأذكر أنني كتبت مقالا عنوانه "كيف تصبح وزيراً في مصر؟" وردت به بعض أسماء المشتاقين وحيلهم المكشوفة، وسلمته للصديق العزيز محمد جبريل لينشر ضمن سلسلة مقالات كانت تنشر لي في جريدة "المساء" وكان ذلك قبل تسعة عشر عاماً تقريبا

فاتصل بي الرجل معتذراً وقال: "هذا مقال لا نستطيع نشره؛ ولن تستطيع حتى الأهالي ولا الشعب نشره. ثم أضاف: أنت عاوز تودينا في داهية؟"

وفي السطور القادمة – التي أهديها لمراد وهبة وجابر عصفور بمناسبة عيد ميلادهما التسعين – سأوضح جانباً من الفكر "الظلامي" (عصفورياً) الإرهابي الحنبلي التيموي (وهوبياً). فلعل الرجلين يستعينان بما أزودهما به من معلومات في معركتهما المقدسة من أجل التنوير.

سيدي الكريمين....

لا خلاف بين علماء القانون على أن كثيراً من مبادئ القانون الدولي المعاصر تعود إلى الحضارة الإسلامية في عصورها الزهية وبصفة خاصة تلك المبادئ التي تنظم الحرب والسلام والمعاهدات والاتفاقات وتبادل الأسرى وغير ذلك.

ومن طرائف تلك البواكير الأولى للقانون الدولي ما يسمى اليوم في علوم السياسة والقانون الدولي بـ(الحصانة الدبلوماسية) ويقصد بها حقوق الأجانب المكلفين بمهام في غير دولهم، وواجباتهم.

ومن العجيب أن هناك كتاباً كاملاً في هذا المضمار مؤلف يدعي "ابن الفراء الأندلسي" يتناول فيه الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها السفير ومعاونوه، وعنوان ذلك الكتاب هو "رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة"، وقد أشار إلى هذا الكتاب وعلق عليه المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد المدير الأسبق لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في كتابه "الدبلوماسية في الإسلام" الذي صدر بالإنجليزية والفرنسية.

نماذج تطبيقية:

وقد ابتكر العرب قبل غيرهم نظام الحصانة الدبلوماسية للسفراء والمبعوثين وهناك نماذج تطبيقية كثيرة في هذا الصدد منها ما ورد في المعاهدة التي عقدت بين ملك الروم والسلطان قلاوون عام ٦٩٠ هـ فقد جاء فيها:

"وعلى الرسل والمتريدين من الجهتين أن يكونوا آمنين مطمئنين في سفرهم ومقامهم براً وبحراً، محترمين، مرعيين، هم، وكل من معهم من ممالك وجوار وأموال وغير ذلك..."

يقول الدكتور/ صلاح الدين المنجد تعليقا على هذا النص:

"وهكذا نرى أن أمر الحصانة والإعفاء الجمركي، وهما من مميزات الدبلوماسية الحديثة، قد عرفهما العرب منذ فجر تاريخهم واتصالهم بالدول المحيطة بهم من روم فرنجة على اختلافها.

ولكن هناك أمراً مهماً فطن إليه العرب أيضاً، وطبقوه قبل العرب، فقد شرطوا قاعدة المقابلة بالمثل، يعني أن العرب إذا أعطوا الأمان، للسفير فلا بد أن يقابل الفرنجة العرب بمثل ذلك، وكذلك في الإعفاء من الرسوم والعكس.

وقاعدة المقابلة بالمثل يجرى عليها اليوم كثير من الدول، في كثير من أمورها، بل أصبحت تتصل كثيراً بسيادة الدول نفسها.

وثمة أمر آخر يتعلق بالامتيازات التي تمنح للسفراء عند العرب، هو حرية القيادة فالسفير النصراني كان يستطيع أن يؤدي شعائره الدينية بحرية لا يمنع منها، وقد نص الفقهاء الذين بحثوا في القانون الدولي الإسلامي، أن الذمي الرسول إذا أراد أن يتخذ لنفسه خاصة موضع عبادة فلا يمنع من ذلك.

آراء الفقهاء في الحصانة الدبلوماسية:

وقد تناول الفقهاء هذا الموضوع في كتبهم تحت عناوين مختلفة تدور كلها حول الأمان وحقوق المستأمن، ويقصد بالمستأمن الشخص الذي يدخل بلاد المسلمين بدون نية الإقامة الدائمة، فهو يدخل بموجب عقد يسمى "عقد الأمان" وهذا العقد عرفي نابع من قيم الإسلام السمحة، ولا يشترط أن يكون مكتوباً وكتابته تشبه ما يعرف في عصرنا بأختام الجوازات (تأشيرات الدخول = visa) التي ينص فيها على مدة الإقامة والغرض منها.

وقد توسع الفقهاء في عرض موضوع عقد الأمان فذكروا أنه يشمل كل من دخل بلاد المسلمين:

- سفيراً.
- أو مرافقاً لبعثة دبلوماسية.
- أو تاجراً.
- أو سائحاً.
- أو صاحب حاجة.

وكل من هؤلاء له حقوق مالية ومعنوية محفوظة يكفلها له الإسلام. قال صاحب

كتاب المغني في الفقه الحنبلي:

"إذا دخل حرابي دار الإسلام بأمان، فأودع ماله مسلماً أو ذمياً، أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب، نظرنا، فإن دخل تاجراً أو رسولاً أو متنزهاً أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانه في نفسه وماله، لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام، فأشبهه الذمي لذلك.

مقارنة بين الحصانة الدبلوماسية الحالية والإسلامية:

يقول الشيخ الإمام محمد أبو زهيرة في كتابه العلاقات الدولية في الإسلام موضحاً

الفرق بين الحصانة الدبلوماسية المعاصرة والإسلامية:

"الممثلون السياسيون هم الذين يقومون بتمثيل دولهم ورعاية حقوق رعاياهم التي تقيم في دولة غير دولتهم، وقد يعبر عنهم في لغة الإسلام الأولى بأنهم رسل دولة عند المسلمين وأن هؤلاء يعطون منذ القدم مزايا ليطمئئوا رسالتهم التي بعثوا بها، سواء أكانت رسائل مستمرة أم رسائل محدودة.

وقد أعطاهم القانون الدولي في العصر الحاضر حصانة في أمور ثلاثة:

أولها: الحصانة الشخصية لشخص الممثل فلا يتعرض له ولا يعتدي عليه، حتى يستطيع أداء عمله السياسي من غير حرج، ولا يتعرض لسكنه أو أمتعته الشخصية.

ثانيها: حصانة تتعلق بالمال، فيعفى من الضرائب والرسوم في حدود معينة.

ثالثها: الحصانة القضائية ومن شأنها حماية البعث السياسية من الملاحقات

الجنائية، ومن الملاحقات المدنية الخاصة بعمله الرسمي.

ولاشك أن الأمور الثلاثة ليست سواء بالنسبة للتشريعة، فالأمران الأولان لا يوجد من أحكام التشريعة ما يعارضهما ما دام الأساس هو المعاملة بالمثل. أما الثالث فهو موضع نظر..".

ويقصد الإمام محمد أبو زهرة أن الأمر الثالث (الحصانة القضائية) موضع نظر

لأنه يخضع في الدولة الإسلامية لاعتبارات شرعية لا للعرف الدولي وذلك فيما يتعلق بالحدود والقصاص وما شابه ذلك. أما التقاضي فيما عدا ذلك من وصايا وميراث وأوقاف وما شابهها من التصرفات المالية الشخصية فإن الدولة الإسلامية تعطي رعاياها من غير أبنائها حق التقاضي وفقاً لدياناتهم. ولعل الفقيه الحنفي الكبير محمد ابن الحسن

الشيواني تلميذ الإمام أبي حنيفة هو أول من تكلم من فقهاء المسلمين في موضوع الحصانة الدبلوماسية، ففي كتابه (السير الكبير) ذكر بعض قواعد القانون الدولي ومنها: "أن سفير أي ملك مرسل إلى ملك العرب يكون آمناً هو ومن معه وما معه ما دام قائماً برسالته في دار الإسلام".

وورد في كتاب "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" للسرخسي وهو من أهم مصادر الفقه الحنفي [١١ / ٤٧٩] ما يدل على جواز الاتجار لمن سمح له بالإقامة في ديار المسلمين فقد قال السرخسي: "وَأَوْ دَخَلَ حَرْبِي دَارَ الْإِسْلَامِ بِأَمَانٍ وَمَعَهُ عَبْدَانِ صَغِيرَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا صَغِيرٌ وَالْآخَرُ كَبِيرٌ وَهُمَا ذَوَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ أَوْ اشْتَرَاهُمَا فِي دَارِ الْإِسْلَامِ مِنْ صَاحِبِهِ الَّذِي دَخَلَ مَعَهُ بِأَمَانٍ فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ أَحَدَهُمَا فَلَا بَأْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَرِيَهُ ، وَأَوْ اشْتَرَاهُمَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ أَوْ ذِمِّيٍّ أَوْ حَرْبِيٍّ دَخَلَ بِأَمَانٍ مِنْ وَايَةِ أُخْرَى لَأَنْ مِنْ وَايَتِهِ يُكْرَهُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَرِيَ أَحَدَهُمَا "

وجاء في كتاب "روضة الطالبين" [٤ / ٣٣] للنووي وهو من أمهات كتب المذهب الشافعي ما يدل على أنه إذا دخل كافر دار الإسلام بأمان أو ذمة كان ما معه من المال والأولاد في أمان، وعن صاحب الحاوي أنه إن قيل له: "لك الأمان" ثبت الأمان في ذريته وماله وإن قيل له فقط: "لك الأمان في نفسك" لم يثبت في الذرية والمال.

ويوجد عند الشافعية رأى أكثر تحضراً من القانون الدولي المعاصر فقد ذهبوا إلى أن للكافر الذي له مال في بلاد المسلمين أن يدخل دار الإسلام من غير تجديد أمان لتحصيل ذلك المال والدخول له يؤمنه كالدخول لتوصيل رسالة، أو لسماع كلام الله تعالى ولكن ينبغي أن يعجل في تحصيل غرضه ولا يعرج على غيره، وكذا لا يكرر العود لأخذ قطعة من المال في كل مرة فإن خالف تعرض للقتل والأسر.

دين دريم // !!

التأم مجلسنا اليومي على مقهى (السعادة) المجاور لمحل كوارع "العروبة" بجوار محطة السكك الحديدية، وقبل أن تدور أكواب الزنجبيل، نفخ بطيخ أفندي نفساً عميقاً وقال في حسرة بالغة:

"رضي الله عنك يا عمر بن عبد العزيز، فكم من الجرائم ترتكب استغلالاً لهذا اللقب الكريم الذي أراد به مؤرخوك وكتاب سيرتك العطرة أن يرفعوك به عن حمأة بعض أسلافك الأمويين، ويلحقوك بجدك الأعلى والأعدل عمر بن الخطاب، بعد انقضاء سنوات على انتهاء حكم الراشدين الأربعة رضي الله عنهم، وكأن صفة "الرشد" كانت في إجازة ثم عادت للحاكم المسلم بمجيتك، وسرعان ما عادت إلى غيابها الاضطراري بغيابك السريع .

ورحمك الله يا ابن عبد العزيز فإني لا أشك في أنك لو علمت ما سيلحق هذا اللقب من هوان بعد ذلك، ما ارتضيت أن يلتصق بك أو تلتصق به" سأل الأستاذ موهوب مستنكراً في بلاهته المعهودة: هل ورد اسمه ضمن المحظورين يا شيخ بطيخ ولا إليه؟

لكن أبوالذهب موهوباً وقال: حبذا لو "نقطتنا" بسكوتك في هذا المنعطف التاريخي الذي تمر به أمتنا العربية الناهضة، بدل أن "تنقطنا" بأسئلتك الصاروخية. ولكن موهوباً لم يمتثل وثار وفار و"ثقل العيار" وأصر على معرفة سر تآؤه بطيخ مصحوباً بذكر خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنه، فقال أبوالذهب موضحاً:

"بعد وفاتك بألف وأربعمئة وبضع عشرة سنة، حكم ولاية مصر حاكم صالح أعداءها الألداء، الذين قتلوا الأسرى، واستبقوا لأنفسهم قطعة عزيزة من جسم الوطن

اسمها "أم رشرش" غيرؤها إلى إيلات، ولم تدخل في المفاوضات ولكنها كانت في التصريحات العنترية "الشبرية" "الذرية" التي تنفي التنازل عن أي (شبر) أو عن أي (ذرة) من تراب الوطن!! ولكن أم رشرش أو أم الرشراش ليست شبراً ولا ذرة ولكنها جزء كبير وفي أخطر موقع يصل العدو بالبحر الأحمر.

هذا الحاكم وقف بين مجلس أنسه الموقر، فقال له أحدهم: "لو أن الأمر بيدي لرفعتك إلى مقام ألا تسأل عما تفعل [بضم التاء في أول الفعلين]!!

وقال له الثاني: "لو أن الأمر بيدي لباعتك رئيساً مدى الحياة" - وكان ذلك بمناسبة تعديل مدد الرئاسة في الدستور-

وقال الثالث - وقيل إنه عديله- "أرجو أن يوافق الحضور الكرام وأن توافق يا سيدنا على منحكم لقب "سادس الخلفاء الراشدين"!! فابتسم الرجل مظهراً تواضعاً جماً لا يتقنه إلا ممثل بارع، وقال في تخشع لطيف: أنا أحذو حذو عمر!!، أو كما قال (الله يرحمه!!)

قال الرواة: وكان من أمره ما كان حتى جيء بشيخ ضرير عرف بسلطة لسانه في خطبه ودرسه، ومعن السلطنة هنا - كما كانوا يفسرونها - هي الجرأة في الحق لا أكثر ولا أقل، وتذكير الكبار بما يحبون أن ينسوه وينساه الناس من سيئات أعمالهم. جيء بهذا الشيخ الضرير العاجز المسن المريض أمام محقق شاب فسأله كما يسأل كل متهم عن اسمه وسنه وعمله، فقال له: اسمي فلان وعمري كذا، قال فما صناعتك؟ فقال الشيخ تائراً ساخراً: "طيار!!" فلما استنكر الشاب المحقق الجواب قال له الشيخ موبخاً: يا أخي أنت عديم النظر؟ "رجل أعمى وعلى رأسه عمامة ومقبوض عليه في مسجد... وتسأله عن صناعته؟!!!"

فقال المحقق: فما قولك فيما هو منسوب إليك من أنك تؤذي مشاعر العمدة حين تنكر صلته بعمر رضي الله عنه؟ فضحك الشيخ وقال: الحقيقة أن الفرق بينهما طفيف جداً ودقيق جداً ولعله خفي علي فأنا كما ترى رجل أعمى. فتهلل المحقق الشاب وقال: حسنا وضع لنا من فضلك هذا الفرق الدقيق الرقيق الذي يفرق بين الرجلين.

فقال الشيخ: أما عمر بن عبد العزيز فهو إمام عادل، وأما العمدة فهو عادل إمام!! فلما انتهى أبو الذهب من حديثه كان الأستاذ موهوب قد راح في نوم عميق وخرجت من أنفه أنغام شخير على لحن "المصريين أهمه"!!

وقد تذكرت هذا كله - يقول بطيخ - وأنا أتابع برنامجاً ما في قناة دريم //، فلما انتهى البرنامج وجدت نفسي أتابع إعلاناً يقدمه مقدم برنامج "عم يتساءلون" (وهو برنامج جيد في عمومه) ولكن الإعلان دعا الناس إلى أن يسارعوا بالاتصال بأرقام معينة ليحيبوا سؤالاً يؤهلهم للعمرة وهو: (من هو خامس الراشدين؟ هل هو عمر بن عبد العزيز أو أبو بكر الصديق أو عثمان بن عفان؟).

أرأيتم كيف يتم ابتزاز الناس في برنامج ديني؟ أرأيتم كيف يستحل السحت والمال الحرام في برنامج معني ببيان الحلال والحرام؟ أرأيتم كيف تهيأ مناسك العمرة للناس عن طريق الاستقسام بالأزلام؟ وكيف يسكت علماء كبار يحاورهم هذا المذيع وهم يرونه يعلن أمامهم عن تلك المسابقة ذات الأسئلة (الصعبة!!!) لامتناسص أموالهم لتضاف إلى رصيد الحكومة ورجال الأعمال؟

لا يخفى على أحد أن وضع سؤال بهذه السذاجة لا يهدف إلا إلى استدراج أكثر السذج للاتصال طمعاً في أداء عمرة مردودة سلفاً.

وبعد البرنامج جاء إعلان في القناة نفسها عن برنامج ديني آخر، يظهر في فقرته الإعلانية (التترت) شيخ من الدكاترة اسمه محمد هداية وهو يقول: "من عرف الله..." يكسر الرء كسراً فاحشاً جلياً ممقوتاً بغيضاً.

فإذا كان فضيلته لا يحسن الرجوع إلى معاجم اللغة ليعرف ضبط الفعل ضبطاً صحيحاً، أفلا يحفظ من القرآن - وهو الداعية الشهير قوله تعالى:

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾)

(يوسف: ٥٨)

فكيف ينطق مولانا كلمة (فعرفهم) ؟

إنني أريد من أهل الفتوى أن يجيبوا الناس عما عسى أن يسببه هذا المقال من (بلبله). وأريد من أهل اللغة العربية - ومن ظرفائهم بنحو خاص - أن يقولوا لنا في وضوح إن كانت تلك الأسئلة تدخل في باب "ال نصب"

أم هي إلى باب "الفتح والرفع" أقرب ؟ أقصد فتح الجيوب وتفتيح المخوخ، ورفع

الخرج عن عم فرج بتاع إسكندرية!!!

=====

هكذا يكون التطوير يا قوم..!!!

كنت ذات يوم عضواً – لا مؤخذاً – في لجنة من لجان التطوير، وفي أول اجتماع حضرته وجدت أمام اللجنة كتباً علينا أن نراجعها، وما كدنا نهم بتصفحها حتى نُهينا عن ذلك، ودُعينا إلى تناول البسكويت والشاي. لمدة ساعة، فلما عدنا فتحنا الكتب مرة ثانية وما كدنا نهم بتصفحها، حتى دُعينا للاجتماع بمعالي الوزير الذي تحدث كثيراً عن أن "التعليم قضية أمن قومي" وأن التطوير شغل معاليه الشاغل ليل نهار، وقد بلغ من ولعه بالتطوير أنه جعله شرطاً من شروط صحة غشيان الزوج لزوجته، ولو أن الأمر بيده – كما قال – لجعله شرطاً من شروط دخول الحمامات، بحيث يحرم دخولها ما لم تكن متطورة.

فيما كانت عينا معاليه تدوران في محجريهما وتتقلبان تقلباً سريعاً وهو يلاحق أفكاره التطويرية بفرسية نادرة كنت منشغلاً بمتابعة حال سيدة أجلسوها أمام من يجاورني، لا أشك في أنها عملت تحت رئاسة النحاس باشا أواخر العشرينيات، فهي – باسم الله ما شاء الله!! – بيضاء الشعر مجعدته، مكرمشة الوجه مغضّنته، محنية الظهر إلى حد الركوع الخاشع الشديد الخشوع!! وكنت أتابعها متسائلاً في قرارة نفسي: لماذا جاؤوا بها وما علاقة مثل هذه (الكائنات) بالتطوير؟ فلما أسررت بهوا جسي هذه إلى جاري، ضغط على يدي في قسوة هامساً: "اسكت من فضلك. لا تعرضنا من البلاء لما لا نطبق. وسأنبئك بأخبارها بعد الاجتماع".

عدت إلى معاليه، وكان قد دعا أحد المحتكرين "للمداخلة!!" فتدخل المحتكر معلنا أنه سيقوم بتعيين كل حملة الثانوية العامة في شركاته فور حصولهم عليها بروتب "تندق" لها أعناق أساتذة الجامعات، بشرطين:

أولهما: أن تخلو الثانوية العامة التي سيحصلون عليها من دراسة اللغة العربية والتاريخ والجغرافية وأن يستبدل بهذه المقررات مقررات عصرية تتعلق بالحاسوب واستخداماته. وثانيهما: أن يتم تدريس بقية المقررات باللغة الإنجليزية.

تهلل وجه صاحب المعالي، و"زقطط" و"انفشخ" فم معاليه عن ضحكة عرضها القاعة بأكملها، وأتبعها أتباعه وصبياناه بضحكات متقطعة متعالية متقاطعة كهربت جو القاعة فهل من هلل وصفق من صفق، ولحنا وسط معاليه يتحرك يمناً ويسرة كأنه يرقص جالساً من شدة الطرب والانسجام من وجهة ما قال المحتر الشاذ.

عدنا إلى اجتماعات اللجنة في جلستها المسائية، وكلنا حماس للتطوير، وفتحنا الكتب وما كدنا نهم بتصفحها، حتى دُعينا إلى اجتماع مع مقرر اللجنة في قاعة مجاورة فسعينا إليه ولَبَّينا وجلسنا نستمع إلى "سعادته" يكرر حرفياً ما قاله معاليه ظهيرة اليوم دون زيادة أو نقصان، فلما انتهى صرفونا وببدا كل منا ظرف من منتفخ به ألمان من الجنيهاً. وطلبوا منا الحضور غداً عند العاشرة صباحاً.

فلما حضرنا تناولنا إفطارنا ثم عدنا إلى اجتماعات اللجنة في جلستها الصباحية وكلنا حماس للتطوير، وفتحنا الكتب وما كدنا نهم بتصفحها، حتى دُعينا إلى اجتماع مع مدير مكتب معاليه في قاعة مجاورة، فسعينا ولَبَّينا ولَبَّينا ساعة ونصف ساعة محبوسين حتى أطل علينا بـ(صلعته) البهية، فاتخذ مكانه على المنصة شاكرًا لنا ما بذلناه من جهد طيلة الجلسات الثلاث الشاقة التي قضيناها أمس واليوم، وأكد لنا أن معالي الوزير ممتنٌ أشد الامتنان لنا فرداً فرداً، وأن معاليه متأثر غاية التأثير لأن ما سنحصل عليه – بعد قليل – من مكافآت لا يساوي شيئاً بالقياس إلى ما أُرهِقونا به من عمل متصل

عنيف، وأقسم لنا مدير مكتب الوزير – بالطلاق – أنه ترك معاليه يبكي بالدموع في مكتبه من شدة تأثره، مما بذلنا من جهود مضية من أجل التطوير..!!

حانت مني التفاتة إلى مكتب معاليه المجاور للقاعة وأرهفت سمعي لعلني أسمع نحيب معاليه، فلم أسمع شيئاً ولكني رأيت فتاة صغيرة تخرج من مكتب معاليه تسوي شعرها بيديها، وتمسح وجناتها ووجهها شديد الاحمرار، فأشرت لجاري فلما نظر إليها امتقع وجهه بشدة وضغط على يدي في قسوة هامسا: "اسكت من فضلك. لا تعرضنا من البلاء لما لا نطيق. وسأنبئك بأخبارها بعد الاجتماع".

كان مدير المكتب ما يزال مسترسلاً في حكاياته، فيما كان مساعده يمررن علينا بين الصفوف يسلمون كلاً منا تقريراً به ملامح خطة التطوير التي أقرناها في اجتماعاتنا وعلى كل منا أن يوقعها بيمناه، بينما يدس الموظف الذي يمسك بها في اليد اليسرى – على استحياء – ظرفاً به ألفان من الجنيهات.

وقعت وقبضت المبلغ وخرجت أنتظر جاري لينبئني ما لا أعلم عن السيدة العجوز وعن المحتر الشاذ وعن الفتاة الخجول، فجاءني بعد طول انتظار وانطلقنا إلى مقهى السعادة لأعلم منه ما لم أكن أعلم..!!

وفيما هو يقص علي من أنباء ما قد سبق، شعرت بسخونة شديدة جداً في رأسي، سخونة تكاد تفتك برأسي، فانتفضت، فإذا أنا نائم في أحد اجتماعات التطوير!!

لسان همبستان ..!!

عن مؤسسة دار المعالف في جمهورية همبستان الشقيقة صدرت هذا الشهر الطبعة الأولى من أحدث معجم لغوي عربي معاصر، أسماه مؤفوه، (لسان همبستان) على غرار أشهر معجم عربي وهو (لسان العرب)، وقد أتيت لي الإطلاع على هذه الطبعة خلال رحلتي الأخيرة، فقد تكرم صديق كريم هناك بإهدائي نسخة مجانية، ومنها أقتطف للقراء الباقية التالية ومن يرد نسخة كاملة من المعجم فعليه الدفع مقدماً وثن الكتاب قرش صاغ واحد.

ثُلث:

بفتح الثاءين يعني: قسّم الشيء أثلاثاً كالأضحية، والثلث بضم الثاء الأولى جزء الشيء ومنه (المثلث) وهو الرسم الهندسي - أو الجسم - ذو الأضلاع الثلاثة. أما ما كان يسمى (المثلث العاكس) فقد ابتدعته عقول تمرست بفنون الجباية أيام "أبو طولون" وكانوا يفرضون استعماله على كل دابة بثمن مبالغ فيه، ويزعمون أن في استعماله وقاية من حوادث السير، ومن أمراض الصدر والبلغم، ووجع القلب، وكانوا يفرضون على صاحب كل دابة أن يشتريه من متعهد بعينة في وكالة تسمى "دوخيني يا لمونة". وزعم بعض من لا خلاق لهم من العوام أن تركيبه على الدابة يزيد من قوة الباه.

قال الأعشى :

فَرَضُوا (المثلث) و(الحرَمَ) ليجمعوا

مال الجميع، ويشبع الثَّجَّارُ

مررتمو عيشَ البلادِ، وأنتمو

أصلُ البلادِ، أيها الفَجَّارُ

طون:

الطور بفتح الطاء: المرحلة أو الدرجة، والطور بضم الطاء من نطق العامة الذين يخلطون بين التاء والطاء لاتحادهما في المخرج، فيقولون: الطراب.. للتراب، والطور "للنور" وهو الثور لكنهم أبدلوا التاء تاءً، وطوّر الوزير جامعاته أي رقاها وارتقى بها، أو حاول أن يجعل من يعملون فيها أطواراً (جمع طور!!) وطوّر الوزير مدارسه أي جعلها تعمل طوراً بعد طور بحيث تصبح كل المدارس ثلاث فترات في اليوم، لإنعاش الدريس الخصوصية ويقال إن بشار بن برد كان يعمل في برامج التطوير ليلاً، فجاءته امرأة جميلة نظيفة متطورة منتجة خضراء، ممن عُرفن بالجودة والاعتماد، وعمت سيرتها البلاد والعباد وقيل في بعض المراجع: إنها جاءت بشاراً ليلاً تبتغي عنده التطوير، فأبى وقال:

اخسئي يا مرّة!!

واخرجي بريرة!!

إنني راجلٌ

أكره المسخرة!!

إن تطويرنا

كله فشخرة!!

الذيلة:

نبات أسود اللون يستخدم في صيغ الملابس كان معروفاً عند الفراعنة القدماء، أما الفراعنة الجدد فإنهم يستخدمون اللفظ استخداماً مجازياً، فيقولون لمن يريد أن يدخل كلية الشرطة أو الحربية من أبناء الغلابة (اتنيل على عينك) بمعنى: كُف عن أحلام اليقظة، لأن الناس درجات عند ربهم، وتنيل الرجل: أي سمع من زوجته ما يُستقبح ذكره،

فخرج من بيته هائماً على وجهه حتى وصل طابور الخبز. والنيل: نهر شهير بأرض يقال لها مصر من بلاد أفريقية مما يلي جيبوتي، عُرف أهلها بحبهم لهذا النهر حباً جماً حتى قال فيهم أبو الطيب المتنبي:

مَنْ حَبَّ أَرْضَ النَّيْلِ فَهُوَ مُنِيْلٌ

ويعيش طول العُمُر وهو يعاني

ويصف العامة قسوة الحياة فيقولون (العيشة بقت نيلة): أي سوناء. ويقصدون بهذا التعبير أنهم لا يجدون مفراً ولا مهرباً من برنامج ٩٠ دقيقة وبرنامج البيت بيتك. ونال الرجل جائزته: أي تم تعيينه رئيساً لتحرير (تكية) قومية بعد ربع قرن من الرقص الشرقي المليح، وفي هذا يقول أبو نواس:

أبشر إذا ما كنت همّانُ

وارقص إذا ما كنت لمانُ

فغداً (ننال) رئاسة كبرى

وتصير بين القوم ممتازُ

ولنصير الدين الطوسي كتاب طريف اسمه (القول الجلي في سيرة محمد علي) راجعه الدكتور نصار بن عبد الله المصري السيوطي الشافعي وحلّل فيه مواقف من حياة محمد علي باشا في اليونان قبل (نواله) حكم الجمهورية المصرية وحصوله على الرضا السامي من السلطان العثماني.
تفانين:

الفنان هو الحمار في لسان العرب وليس الوزير كما هو في لسان أسافل الناس الذين يسيئون الظن بالرجل، والفعل: افتنّ، وتفتنّ: أي اخترع أشكالاً من النصب لم تكن

تخطر على بال الشيطان نفسه، كما فعل المغول بعد تدمير بغداد حين أُجبروا كل طالب في الثانوية العامة أن يقتني خط محمول ليعرف نتيجته ويتقدم به للتنسيق، وكما فعل الصليبيون بعد اجتياح الشام حين فرضوا معرفة نتيجة الثانوية من خلال الهواتف الأرضية المنزلية وحدها وليس من خلال وصلات DSL وذلك التفنين – فيما يقول البلاذري وابن فلسان – مرثؤه إلى شره، هؤلاء إلى انتهاز كل فرصة لجمع أكبر قدر ممكن من قرئش الجوعى والمرضى والهلكى والغرقى والهدمى من أهالي البلاد استغلالا لعواطف الأبوة فيهم للاطمئنان على أبنائهم.

وفي هذا يقول الفرزدق:

لحاهمو الله صغار النفوس

تفتنوا في جمع شتى المكوس

مدارس خابت، فلم نستطع

إلا تعاطي ما يسمى (الدررس)

وإلى حلقة أخرى مع هذا المعجم النادر.

=====

تفضلوا بزيارة مدونة دولة همبكيستان على الرابط التالي :

www.hambakistan.blogspot.com

لغة – لا مؤاخذة – العلم !!

تتحكم في سادتنا وكبرائنا العرب – من المحيط إلى الخليج – عقدة يسمونها دائماً (عقدة الخواجة) عبّر عنها ابن خلدون قديماً بعبارة عربية فصيحة تقول (إن المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب). والأسباب متعددة وكلها تدور حول معاني الإحساس بالدونية، والقهر، والضعف النفسي الناشئ عن هذا الإحساس.

وصور هذا الهوان في سياساتنا التعليمية واضحة وضوح ابتسامة أولمرت وهو يتأبط فخامة (الرئيس) محمود عباس. فمن هذه الصور الواضحة أن الجمل والهلال اتفقا وتعاقدا وتعاهدا وتواطأ على محاربة اللغة العربية لا لأنهما لا يجيدانها، ولا لأنهما يكرهان كل ما تذكرهما به تلك اللغة، ولا لأنهما يؤمران فيطيعان، ولا لأنهما (رمزن) للسيطرة والقمع والتزييف والتضليل، يظهران في كل انتخاب، ولا لأنهما لا يُحبان العربية وسيرتها. ما أظن ذلك كله من دوافعهما للحطّ من شأن لغة العرب، بل أغلب الظن أنهما اتفقا وتعاقدا وتعاهدا وتواطأ [أرجو ألا يصحها لي القراء بالمد هكذا: توواطأ] على محاربة اللغة العربية لأن داخل كل منهما ولعاً بتقليد من غلبهما من سادتهما الأنجلوسكسونيين الذين احتضنوهما سنين عدداً وأغدقوا عليهما من الحرية والمال والوجاهة ما أهلهما لامتطاء كبريات المناصب في بلادهما المغلوبة المقهورة.

فالجامعات الهلالية تشترط على من يريدون الحصول على الدكتوراة منها أن يجتازوا امتحاناً في لغة السادة الأنجلوسكسونيين يسمونه [التويفل] ولا يشترطون عليهم اجتياز امتحان مماثل في لغة آبائهم وأجدادهم، لأن آباءهم وأجدادهم وأعمامهم وأخوالهم وأبناءهم وإخوانهم وحفدتهم جميعاً ماتوا حقيقةً أو هم ميتون حكماً، أما السادة الأنجلوسكسونيون فأحياء يرزقون.

وامرء القيس قال (الحيّ أبقى من الميت)!! أفصح أن نرعى لغة الأموات ونذر لغة الأحياء؟ والحاصل الآن أن كل جامعة من الجامعات الهلالية اتخذت لنفسها من هذا الامتحان مورد رزق متجدداً، يأتيه الطلاب وهم له كارهون، فيدفعون مئة جنيه أو مئتين أو ثلاث مئآت توزع أثلاثاً توزيع الأضحيات على ذوي الهيئات من القائمين على تلك المضحكات المبكيات.

وتشترك الجامعات في منح تلك الإجازات مع مركز الشرق الأوسط لتعليم الإنجليزية بالقاهرة [الأميد إيست]، ومع الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وأعجب العجب فيما رأى ابن رجب أن كل جامعة من الجامعات الهلالية لا تعترف بإجازة غيرها للطلاب، جامعات ست عشرة يحكمها قانون واحد في دولة واحدة يحكمها دستور واحد: يتنكر بعضها لبعض وتنكر كل منها شهادة (التويفل) التي تمنحها أختها الشقيقة!! وتقبل تلك التي تمنحها أختها من الرضاعة!! فكل منها تقبل - صاغرةً - شهادة (التويفل) التي تمنحها الجامعة الأمريكية بالقاهرة أو تلك التي يحصل عليها الطلاب من [الأميد إيست]، وترفض (بإباءٍ عربيٍّ وشممٍ أمويٍّ) ما تمنحه جامعة مصرية أخرى ربما كانت أعرق منها وأقدم!!

ثم ما بال الجامعات الهلالية تتشدد في لغة القوم وتشتراط إتقانها على كل خريجها سواء أكان لتخصصاتهم صلة بتلك اللغة أم لم يكن؟ وما بالها لا تعامل الأسبانية والألمانية والفرنسية والروسية نفس المعاملة؟ بل ما بالها لا تشتراط إتقان العربية وقانونها ينص نصاً صريحاً على أن العربية هي لغة البحث ولغة التدريس؟

هل هناك سبب آخر غير الدونية حين تسكن النفوس؟ وهل هناك سبب آخر غير الصغار حين يغشى الأرواح؟ وهل هناك سبب آخر غير الشعور بالضعف والهوان والتقزم حين يركب القلوب الضعيفة الهشة الخائرة ركوباً لا رحمة فيه؟

وما أضعها أمةً تلك التي يتحكم في تسييس تعليمها وتسيير علمائها نفرٌ ضعافٌ جهلة زئجة أبصارهم، عليلة بصائرهم، لا يجدون في ثقافتهم ولا في أنفسهم عزةً، ولا يعرفون في حياتهم غير الخنوع والخضوع ومدّ الأيدي الجائعة المرتعشة إلى المال الحرام يعلمون به أولادهم في بلاد الحضارة والنور!!! ويمتّعون به حلائلهم في الأندية الوطنية وحلائلهم في الرحلات الخارجية!!

فإذا تركنا العزب الهلالية إلى العزب الجميلية، وجدناها تتباهى بأنها تعلم الناس الرياضيات والعلوم باللغة الانجليزية، وتنسى أن إسرائيل تعلم هذين العلمين باللغة العبرية التي لا تبلغ مفرداتها ثلث المليون من الكلمات [فيما تبلغ مفردات العربية ما يزيد على أربعة ملايين] والتي كانت في سبيلها للاندثار لولا قيام الكيان الصهيوني قبل ستين عاماً فأحياها من جديد، والكيان الصهيوني شديد الاعتداد بلغته، فيها - وحدها - يكتبون أدب الأطفال ويمنعون ترجمته لغيرها، حتى لا تنكشف القيم العدوانية التي يعولون على هذا الأدب في غرسها في نفوس الناشئة، وبها وحدها يعلمون الرياضيات والعلوم. وبها

وصلوا إلى إطلاق ثلاثة أقمار صناعية (ونحن من نصف قرن نغني: "يا أمه القمر- الصناعي - ع الباب!!")

وبها وصلوا إلى إنتاج مئتي رأس نووي أو تزيد. ونحن الذين نتفاخر باستخدام الإنجليزية لأنها - اسم الله على مقام معاليه!!- [...] لغة العلم!!!] ما زنا لا نعرف الفرق بين رؤوس الفجل ورؤوس القلقاس لماذا ضمرت هذه وانتفخت تلك؟

والدانمرك - ذات الملايين الخمسة - لا يتكلم لغتها إلا أهلها ومع ذلك فهي لا تدرك ما أدركه سادتنا من أن الإنجليزية هي لغة العلم، وتصرب بتخلفها وجهلها وغبائها على تعليم الرياضيات والعلوم بالدانمركية التي لا يتكلمها إلا سكانها. وهذا هو الحال نفسه في النرويج ذات الملايين الثلاثة وتصرب بتخلفها وجهلها وغبائها على تعليم الرياضيات والعلوم بالنرويجية التي لا يتكلمها إلا سكانها، وهذا هو الحال نفسه في كوريا التي تصرب بتخلفها وجهلها وغبائها على تعليم الرياضيات والعلوم بالكورية التي لا يتكلمها إلا سكانها، وكلها [في نظر الواقع المصري] بلاد متخلفة نووية (نسبة لنوى البلح الأمهات!!) وليست في مكانة وعبقريّة وتقدم مصر!!

والمؤسف أن الرمزين يتباريان الآن في التنكر للقانون الذي يحكمهما، لأنه قانون غبيّ ينص نصاً صريحاً على أن العربية هي لغة البحث ولغة التدريس؟ ولو كان واضعو هذا القانون أوتوا نصيباً من الحكمة الهلالية أو أوتوا نصيباً من الفطنة الجميلة لنصّوا في القانون على أن العربية هي لغة العلم وليس لغة البحث والتدريس كما جاء بالقانون، فلما غفل واضعو ذلك القانون عن (العلم) قيّض الله تعالى للأمة على الرأس (النووي) للقرن العشرين من يجدد لها أمر تعليمها العام ولو كان جملاً، ومن يجدد لها أمر تعليمها العالي ولو كان هلالاً. وشاءت إرادته - سبحانه - أن يلتقي الرمزان في عصر الحكومة الذكية

النظيفة التي لا تعترف بغير (العلم) طريقاً للتقدم والتي ترى في إسرائيل والدانمرك والنرويج وكوريا بلاداً متخلفة متعصبة للغاتها غير الإنجليزية!!

ورحم الله أيام أن كنا في المكتب أوائل القرن التاسع عشر وكان لنا زميل اسمه الشيخ الزعلابي كان يقلقه امتحان اللغة الإنجليزية فيفزع من نومه قلقاً أرقاً ليستذكر دروسه ويترنم بما نظمه من كلمات تلك اللغة كقوله:

القطُّ كاتٌ cat، والفأراتُ rat

والنهر يُدعى - هناك - رِفْرُ river

إثباتٌ شَيْءٌ يُقال: ولٌ will

ونفيٌ شَيْءٌ يُقال: نِفْرُ never

ف(طظ) فيكم، و(طظ) فينا

و(طظ) فيهم إذا استمروا !!!

ثم ما يلبث أن تتلبسه العفرتة كلما خانتته الذاكرة، ويصرخ في الهواء بملء صوته:

يا إنجليزي يا ابن الحافي

صحّيتني من تحت لحافي

على (جود مورننج) good morning: صباح الخير؟

و(جود افترنون) good after noon يعني: عوافي؟

مما تجمله الخفافيش..!!

قرأت لغلام يدعى مجدي خليل - من زعماء من يسمون أنفسهم أقباط المهجر - على موقع "إيلاف" السعودي كلاماً على صورة المقال عنوانه "وهم الديموقراطية الإسلامية" يوم السبت ٢٠٠٧/٧/٧ وكان هذا الغلام قد نشر بعضاً من هذا الخرف في "المصريون" بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٥ تحت عنوان (من أسلمة الحداثة...) تهجم فيه ببجاجة فاجرة على الإسلام وعلى المملكة العربية السعودية.

ولست - ولم أكن - ممن يهدرون وقتهم في قراءة ما تجود به تلك الوطاويط من سوانح أفكارها المريضة، لولا أن نبهني إلى ما نشر في (إيلاف) الأخ الأكبر العلامة الدكتور محمود محمد سفر وزير الحج السابق في رسالة على بريدي الإلكتروني الخاص مشكوراً فلما قرأته تذكرت المثل العربي القديم (شيشنة أعرفها من أخزم) فهؤلاء الأغيلة أمثال مجدي خليل ومايكل منير وغيرهما لم يعرف الناس لهم اسماً ولا فعلاً ولا صفة ولا حالاً ولا تاريخاً إلا من بعد سقوط بغداد الثاني ربيع 2003 وتبجح الخارجية الأمريكية وإعلانها على لسان "كولن باول" خططاً لتغيير تركيبة المنطقة العربية جغرافياً وتغيير مناهجها إعلاماً وتعليمياً، فظهرت تلك الفقاقيع كالطفح العفن على جلد بعض الصحف والفضائيات العربية مستترة العمالة وراحت تبوح وتنوح، وتملاً الفضاء صياحاً ونباحاً ونياحاً على ما أسمته (اضطهاد الأقباط) تارة، وما أسمته (الإرهاب الإسلامي) تارة أخرى.

وأي متابع لما تتقيأ تلك الوطاويط تأخذ الشفقة بهم حتى لو كان قلبه من الحجارة أو أشد قسوة، فهؤلاء يجتهدون في أداء ما كلفوه من مهام اجتهاداً متصلاً،

وما أريد أن أعمم القول ولا أن أشق على الخفافيش لكني سأضرب مثالا وأسأل سؤالاً، أما المثال فهو (الاقتصاد الإسلامي) وهو ليس مجال تخصصي، ولكنني أختاره لأن (الاقتصاد) هو الإله الجديد الذي يعبده الغرب وأذنابه من دون الله. فالفتى فيما نشر في (إيلاف) ينكر أشد الإنكار ما يسمى بالاقتصاد الإسلامي أو الإعلام الإسلامي... الخ ولعله يتفق معي في أن هناك مدرستين معروفتين في الاقتصاد هما: الرأسمالية والشيوعية.

أما الرأسمالية التي تسود الغرب فهي - كما لا بد أن يعلم الغلام - تقوم على غل يد الدولة عن النشاط الاقتصادي، حتى تنطلق طاقات الأفراد فتحقق الرفاهية وتكتفي الدولة بالحفاظ على الأمن، وقد أصبح واقع التطبيق في أمريكا - أم الرأسمالية - يشير إلى انقسام المجتمع إلى طبقة كبار الأغنياء غنى فاحشاً، وطبقة الجياع الذين لا يجدون قوت يومهم مما أدى لانتشار الجريمة، وتفشي القتل والاتجار بالأجساد: زناً أولواطاً أو بيع أعضاء، وظهرت الشركات الاحتكارية التي قمعت ربح المنافسة الشريفة، وأدت سيادة المصلحة الخاصة إلى ظهور أنشطة وصناعات غير أخلاقية أضرت بالبيئة اجتماعياً واقتصادياً، ونظراً لتفشي الجرائم والفساد الاجتماعي لم تعد سجون بريطانيا (العظمى!!) تتحمل أعداد المطلوب سجنهم، هذا على الصعيد الاجتماعي.

وعلى الصعيد الاقتصادي نفسه لم تعد الرأسمالية الغربية - منزوعة الأخلاق - قادرة على منافسة اليابان وتايوان وسنغافورة وماليزيا بل وحتى كوريا الجنوبية فمنتجات تلك الدول وتغلغلها في الغرب قتل الإبداع الغربي (وهو بالأساس قائم على عقول مهاجرة من العالم الثالث) فانتشرت الاحتكارات والتضخم والبطالة.

والاقتصاد الشيوعي لم يكن أفضل من الرأسمالي، فقد بلغ النمو الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي ١٠ بالمائة في الخمسينيات تناقص إلى ٧ بالمائة في الستينيات ثم إلى ٥ في السبعينيات وبلغ الحضيض (٢٪) في الثمانينيات بسبب تدخل الدولة في كل شيء وهبوط الدافعية للإنتاج لدى عمال القطاع العام وإتباع سياسة تجميد الأسعار. أما ما يسمى (واحد بالك ياله؟ !!) بالاقتصاد الإسلامي فهو يقوم على ثلاثة أسس: الأخذ بالملكية المزدوجة (العامة والخاصة).

ضمان الحرية الاقتصادية في ظل ضوابط شرعية وأخلاقية وإستراتيجية.

١- تحقيق عدالة توزيع الموارد.

وحين ننظر في تطبيق نموذج للاقتصاد الإسلامي على المستوى الفردي فنسلمس انعدام الغش في البيع والشراء وحتى في الإعلان عن السلع المنتجة، لأن هناك ضوابط أخلاقية /شرعية للسلوك الاقتصادي للمسلم.

وشيء كثير يمكن أن يقال لأولئك الأعيمة عن كل العلوم التي يراد أسلمتها، لكنني لا أريد أن أنزق إلى جدل مع غلمان يخورين حواراً لا يبتغون من ورائه حواراً، ولا يتوخون منه الوصول إلى وجه الحق، وإنما يرضون - بما يتقيأون من سطور - إرضاء سادتهم الذين منوا عليهم بالجنسية فاستنقذوهم من معيشة آباءهم التي أعرفها ويعرفونها وكفلوا لهم رغد العيش وفرص الظهور.

وأما السؤال الذي أريد أن أسأله لأولئك الأعيمة: هل أنتم جاهزين للدفاع عن ممارسات سادتكم؟ وعن عقائدهم؟ وسؤال آخر لكل دارس للفلسفة في العالم العربي: هل قرأت (شيئاً) في الفلسفة لأستاذ الفلسفة مراد وهبة تزارع إبداعات زكي نجيب

محمود ويحيى هويدي وتوفيق الطويل وعبد الرحمن بدوي؟ أم أنك - مثلي - لم تقرأ لهذا
الشيخ الفاني الذي ناهز التسعين سوى الهجوم (طوال عمره) على الإسلام والمسلمين؟
ورحم الله شاعرنا القديم الذي قال:
هل يضر البحر - أمسى زُخراً - أن رمى فيه غلام بحجر؟؟

=====

الأكاديميون واللات والعزى والعم سام !!!

[ملحوظة مبدئية :الحديث في السطور القادمة عن (بعض) وليس عن (كل)

العائدين من الولايات المتحدة. فليتنبه لأنني لم أعمم.]

قال تعالى : (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ) [يونس / ١٠٦]

قال المفسرون إن هذه الآية نزلت في قوم أقرؤا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان، قاله الحسن، ومجاهد وعامر الشعبي وأكثر المفسرين. وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هولك تملكه وما ملك. وقيل: نزلت في المنافقين، المعنى: "وما يؤمن أكثرهم بالله" أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه؛ ذكره الماوردي عن الحسن أيضاً، قال القرطبي: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونرى في هذه الأيام طوائف من الأكاديميين العرب، شاءت لهم أقدارهم أن يتلقوا العلم في البلدان الأمريكية، فهالهم ما رأوا فيها من حرية علمية، ودعم مالي مفتوح وتسهيلات جامعية في الخدمات البحثية، كما انبهروا بما عايشوا من يسر في المعاملات خارج أسوار الجامعات، فوسائل الاتصالات ميسورة، ووسائل النقل منضبطة ومتاحة، وحرية التعبير مكفولة بلا حدود ولا قيود.

كل ذلك جعل هؤلاء النفر الخارجين من بلاد القهر والتزييف والكذب العلي اليومي في الإعلام وعلى أسنة المسؤولين، بين نارين: نار التضحية بالوطن، والتنعيم بما في

بلاد العم سام من نعيم ونعم، ونار العودة إلى جحيم الكذب والتزوير وخنق الحريات والتضييق على الجامعات، وتدني الأجور، وانعدام التقدير الاجتماعي، مقابل الإفراط في هذا التقدير للفنانين ولاعبى الكرة، والراقصين والراقصات!!

أما من اختاروا البقاء في نعيم الغرب، فلم ينجوا من تأنيب الضمير الكامن، فهم يطلون علينا من على الشاشات بوجوه شاحبة، وأفكار مهتزة، وعقول مضطربة، تنظر إلى عيونهم فترها تدور في محاجرها كأنها في سباق محموم مع كلماتهم المعجونة بالكذب والتزوير الفج الذي يشبه ما يكون على وجه القرىيات الريفيات الساذجات حين يستعملن الماكياج لأول مرة!! وهن في طريقهن للبندر لأول مرة أيضا.

ويصطنع هؤلاء الراقلون في نعيم العم سام الحكمة حين يتحدثون بأطراف أنوفهم ناصحين الأمة العربية أن تثور وتفور وتغير أثواب التخلف والعبودية وتركض لتلحق بهم في جنات تجري من تحتها خطوط مترى الأنفاق!!

وأما الذين عادوا واختاروا العمل في أوطانهم فهم أشد حيرة واضطرابا، فمنهم من يحدثك عما كان تركه من جنات وعيون، وزرع ومقام أمين، وتكنولوجيا كان فيها من المتمتعين، وهاهو ذا قد عاد فلم يأنس من القوم تقديرا لما قام به من تضحية، ولم يجد في جامعته وكليته وقسمه العلمي ما كان يحلم به من رعاية واهتمام .

على أنك تعاني الأمرين إذا قدر لك أن تحاور أيا من الفريقين، فكلاهما لا يرى فيما تقول إلا تخلفاً وجهلاً، ولا يرى في البحث العلمي في الجامعات العربية إلا تدنياً وانحطاطاً فإن حدثته عن بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا، وكان لك ببحوثها ودورياتها معرفة واتصال أطرق إطرقة العجز عن الحوار، وسكت سكوت المرأة التي خرجت تطلب ثأر أبيها فرجعت حبلى!! وذلك لأنه لا يستطيع أن يقول في تلك الدول الثلاث ما يسوغ له

أن يقوله في بلاد العرب، ولا يحب أن يعترف أن تلك الدول الثلاث أغرق من جنته المزعومة، وأشد التزُّ ما بالمبادئ والأخلاقيات الإنسانية الرفيعة، وأرق نفوساً وقلوباً وأنظف عقولاً من سادته.

ولو أنك سبرت ما في عقول أولئك المنبهرين من علم حقيقي، لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً، فالقوم على ما يتظاهرون به من تعال وغطرسة، وعلى ما في عباراتهم من تأفف وحذقة، وعلى ما في حركات أيديهم من رعشة وعصبية، لا طاقة لهم بحوار، ولا قدرة لهم على طويل نقاش، ولا دربة لديهم على المحاجة، ومدافعة الرأي بالرأي، ذلك أنهم ليسوا على شيء البتة، فغاية ما تعلموه هو تسفيه غير الموالين لهم، والتشدد بما لديهم من مظاهر التقنيات الحديثة، وبعض آليات البحث الممكنة، ولو جردت أحدهم من جهازه المحمول لألقى إليك السلم توا، ولا أثر أن ينسحب من أي حوار، لأن الرئيس فارغة، والعقول الالكترونية حلت محل العقول البشرية إلى أجل غير مسمى!!

وعبدت العم سام يتخلقون بأخلاقه، فلا يعرفون إلا لغة المكسب والخسارة، ويعبدون المال عبادة العابد المتيم بمعبوده، وتفوح البرجماتية من سلوكياتهم وأحاديثهم فتغطي كل ما يقولون وما يفعلون، وتلون كل ما يكتبون وما يرسمون، والبرجماتية النفعية الوصلية الانتهازية هي عندهم أم الفلسفات، وغاية الغايات، والحق المبين الذي لا يدانيه حق والمنطق الصائب الذي لا يعتور شك، ولا يلحقه اعوجاج، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا من يمينه ولا من شماله.

واسأل أن يسأل: فيم يختلف عبدة العم سام، الطوافون ليل نهار حول بيته الأبيض عن أسلافهم من عبدة اللات والعزى ومناة الثالثة، ويعوث ويعوق ونسر؟

نعم . هناك خلاف فبعض عبدة العم سام يشهدون ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولكن شهادتهم هذه ليست من الشهادات المعتمدة من جامعات العم سام، لذلك فهم يخافتون بها، ويتعاملون معها على أنها نوع من "الفولكلور" لأن النافع والضار والمعطي والمانع والمبدئ والمعيد والقوي والقادر - في نظرهم المنهجي الأكاديمي!!! - هو العم سام وحده لا شريك له.

فهم، وإن حملوا أسماء إسلامية أو مسيحية، منبتوا الصلة بما سافروا به من عقيدة ومنبتوا الإيمان بما ينطقون به من شهادات، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

=====

جلسة " في السليم " !!!

اجتمع على قهوة المعلم "حنفي شكل" [وهي تقع غربي محطة أسيوط الشرقية بمسافة ألف وثلاثمائة وتسعة وثمانين متراً وثمانية عشر سنتيمتراً وأربعة ملليمترات وثمان ملليمتر بالضبط!] مجموعة من كبار المثقفين الحشاشين القدامى، الذين يندر أن يتجمعوا معاً بمثل هذا الترتيب، إلا في الملمات القومية الكبرى، كالسيول والزلازل، وانتخابات البرلمان الاستفتاءية، والاستفتاءات الانتخابية غير المتبرلة، واحتراق القطارات بفعل بوابير الجاز، وغرق العبارات منتهية الصلاحية، بسبب جهل ركابها، وكان موضوع الحوار شائكاً ولكنه شائق، وكان المتحاورين ضيقي الصدور بالحوار ولكنهم متحمسون له، فقد نشرت الصحف ضحى ذلك اليوم، أن الحكومة تيسر بكل السبل الترخيص لمقاهي الانترنت ما وسعها التيسير، لأنها تزيد للشباب العاطل أن ينهل من "المعلومات" حتى يكتظ!!

قال برعي لصاحبه مرعي وهو يحاوره:

ابتسمت الأقدار للأمة العربية بعد طول عبوس، واستطاع الإنسان العربي أن يتخلص من الخيل والبغال والحمير، ويستبدل بها أفخم السيارات، وأحدث الطائرات وارتفعت القصور والعمارات والأبراج.. وأصبح الناظر إلى سماء أي أرض عربية وأجوائها لا يعرف إن كانت هذه مدينة أسيوط أم مدينة بكين، هل هي جبال تهامة أم فراديس تكساس.

ولكن التطور الأهم والأخطر في حياة الإنسان العربي، ليس هو التطاول في البنيان، ولا التسابق بالترحال، ولا التنافس في التملك، ولا التفاخر بأحدث السيارات. وإنما هو في

رأيي [رأي برعي] هذا السباق المجنون المحموم نحو العولة ممثلة فيما يسمى بـ"تكنولوجيا المعلومات"، فقد هرع الإنسان العربي إلى المعلومات عبر شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، وسرعان ما انتشرت مقاهي الإنترنت في ربوع الوطن العربي الكبير من "المحيط الهادر إلى الخليج الثائر" - كما كانت تقول الأغنية القومية القديمة- وانغمس فيها الشباب العربي بهمة لا تكل، وعزيمة لا تمل، وحماس لا يفتر، وتنبسط أساريرك حين تمر على شارع من تلك الشوارع المتاخمة للتجمعات الطلابية أو الجامعات والمعاهد، فترى تلك الشوارع مكتظة بالشباب الذي ينتظر دوره في دخول الإنترنت، فإذا قدرك أن تلج مقهى من تلك المقاهي، ازداد سرورك ونضح بالبشر وجهك، وانشرح صدرك، وأنت ترى شباب الأمة منكباً على أجهزة الحاسوب مقبلاً عليها بكل كيانه، لا يكاد يحس بما يدور حوله، فتأخذك الفرحة التي لا حدود لها وتسرح نفسك في غدٍ أجمل ستصنعه سواعد أولئك الرجال الذين مهرت أيديهم وعقولهم فيما مهر فيه الغربيون الذين سبقونا بالإيمان بهذه التكنولوجيا.

قال مرعي مشتمئزاً ضيق الصدر:

- لشد ما أسهبت في الوصف يا صديقي، ولشد ما أسرفنت في الأمل وأخشى أن أجابهك بالحقيقة فيضيق صدرك ولا ينطلق لسانك بعدها، وتصاب بالصدمة أو ما يشبه الصدمة!!
- ماذا تقول؟.. ألم تر إلى هؤلاء الشباب منكبين على أجهزتهم وعيونهم وآذانهم مشدودة إلى الأجهزة لا يكادون يبدون حراكاً، أليسوا منغمسين في "المعلومات" المهمة [يتكلمونها] ويعربونها ويطورونها حتى يمنحوها الجنسية العربية؟!
- قال برعي وهو يصطنع ابتسامة حسيرة:

- ليت الأمر كما تظن أيها المتفائل الغر الأبله الحسن الظن؟!
 - قال مرعي بفتور: ويحك؟ ما تقول؟
 - قال مرعي وكلماته تتخطى ابتسامه حيرى: فإن هؤلاء الشباب لا يعرفون شيئاً عن العلم ولا عن المعلومات، إلا ما يتصل بتشغيل تلك الأجهزة أو صيانتها إذا ما أصابها العطل والخراب. أما ما تحويه شبكة المعلومات الدولية من معلومات حقيقية، وعلوم حديثة، وتطورات تكنولوجية، فكل ذلك بعيد عن أذهانهم خارج عن اهتمامهم، ولا يطوف حتى بخيالاتهم.
 - قال برعي مستغرباً:
 - فقيم إذن كل هذا الانهماك؟ وعلام كل هذا الانكباب؟ ولم تراهم في تلك الحالة من الذهول والاندماج؟ إنني كدت أشك - من فرط ما أرى من انهماكهم - في أنها حرب عوان بيننا وبين الغرب، وأنهم يجاهدون حق الجهاد.
 - قال مرعي وقد أخذت العبرة بمجامع صوته فتهدج:
 - لقد شطح بك الخيال يا صاحبي فما أولئك الشباب من "المتنكلجين" ولا من المجاهدين في العلوم، بل هم متعجرون متهيفون!!
 - قال برعي منكرًا على صاحبه لغته تلك الغريبة: مالي أراك قد لعبت بلسانك العجمة؟ ما معنى التعجروم والتهيف يا ابن أخي؟
 - قال: إنهم يتابعون "كليات" نانسي عجرم وهيفاء وهبي!! وهما من صواحب الفكر الجديد الوايد السعيد!!
 - قال مرعي متوجسًا: أمسك عليك لسانك يا صاح، فإن لكل زمن رجاله، ولكل تكنولوجيا معلومات مسالكها، وتقديماً قال سيدنا امرؤ القيس "مفيش فايده"!!!

ما هذه "الذكاوة" الفائقة ؟

منذ دأب الإعلام على وصف حكومتنا بأنها حكومة "ذكية"، تسكن في قرية رومانسية أسموها القرية "الذكية"، وبرعي ابن خالتي متشائم جداً لأن وعيه تفتح مبكراً على مقولة لرمسيس أفندي كاتب المجلس كان يردها على المقهى كما لو كانت من تراث آبائه وملكه الشخصي، إذ كان دائماً يردد [إذا زِد الشيء عن حده انقلب إلى ضده]، وعلى الرغم من أن برعي ابن خالتي لا يعرف القراءة والكتابة، وتعلم - على كبر - كيف يوتّع قراراً من حمل (ختم) ثقيل، فإنه يمارس السياسة، ويتعاطى الثقافة، وأحياناً يرتكب الإفتاء في الشؤون العامة، فيبدو كما لو كان متعلماً، وبخاصة أنه - أحياناً - يتقمص شخصيات معروفة مثل مصطفى الفقي، وحسن صقر، ومحمد على إبراهيم، وسعد الحريري، كانت جلستنا الأسبوعية على مقهى السعادة مخصصة هذا الأسبوع لمناقشة تقرير لجنة تقصي حقائق أَلَّفناها من يوم صدور قرار العلاوة لبحث الآثار الجانبية للعلوة على رؤاد المقهى، وفيما نحن نهمّ بالاستماع لتقرير اللجنة الذي سيلقيه الأستاذ عبد الرحمن على مسامعنا قبل أن يلقيه في التربة المجاورة، فاجأنا برعي - وفي يده عدد جريدة «المصري اليوم» الصادر يوم ٢٢/٥/٢٠٠٨ بأنه - أي برعي - يرى أن الحكومة في خطر!!

لماذا يا عم برعي؟

فنظر إلينا في استغراب ودهشة كما لو كنا قطعاً من أغنامه، وقال: اقرأوا المنشور اليوم يا أفندية آخر زمن!! قرأ بطيخ المنشور: [علمت «المصري اليوم» أن الحكومة تدرس توزيع الخبز علي البطاقات التموينية عقب إصدار بطاقات جديدة للمواطنين، الذين لا يمتلكون بطاقات في المرحلة الحالية.

- ١- إصدار بطاقات جديدة للمواطنين.
 - ٢- إضافة خانة جديدة في البطاقة يطلق عليها « الخبز».
 - ٣- كويونات يحصل عليها المواطنون من تاجر التموين شهرياً.
 - ٤- يتم توزيعها طبقاً لعدد الأفراد المسجلين بالبطاقة.
 - ٥- المطابع الأميرية هي الجهة المعنية بطبع الكويونات.
 - ٦- حتى يصعب تزويرها أو تعديلها.
 - ٧- يكون مدوناً بها اليوم والشهر والسنة.
 - ٨- لا يجوز صرفها إلا في الأيام المحددة لها.
 - ٩- الكويونات سيتم تحصيلها من أصحاب المخابز.
 - ١٠- علي أن تعتمد الإدارات التموينية ومديريات التموين في المحافظات.
 - ١١- نصيب الفرد من رغيف الخبز ٣ أرغفة.
 - ١٢- نظام الكويونات سيقضي علي بيع الدقيق وطوابير الخبز.
- ما هذه (الذكاوة)؟ ما هذه القسوة؟ ما هذا الإذلال؟ تصايح مستمعو ما نشر بالجريدة قائلين:
- الحكومة لم تخصص كويوناً برغيف زيادة لأب يزور بيت ابنته المتزوجة بعيداً عن منطقة سكنه؟
- الحكومة لم تخصص كويوناً برغيف زيادة لأخ يزور أخته؟
- الحكومة لم تخصص كويوناً برغيف زيادة لضيف طارئ!!
- الحكومة لم تخصص كويوناً برغيف زيادة للتصدق به على سائل يسأل بطرق الأبواب لأن أبوابهم هم لا يجروء على المرور حواها - فضلاً عن طرقها - الجن الأزرق نفسه!!

- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة لإنسان سمين لا يشبعه رغيف واحد!!
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة يعوّض سوء استهلاك الصببية للخبز.
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة لأم عجوز أرملة يكفلها ابن لها أو بنت لها وهي غير مسجلة في بطاقته أو بطاقتها، ولا لأب عجوز أرمل يعوله ابن له أو بنت.
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة تحوطاً من مجيء بعض الخبز تالفاً أو معطوباً.
- الحكومة لم تخصص كوبوناً برغيف زيادة تعويضاً لرغيف قد يسرقه لص في الطريق مما خصص للأسرة. طلب أبو الذهب من الجميع الإنصات طوعاً أو كرهاً ليضيف بهدوء شديد: والحكومة - فوق هذا - تتنكر لما تنادي به من آليات السوق، وحرية الاقتصاد، فهي تفرض طبع كوبوناتها على المطابع الأميرية ولا تطرحها في مناقصة، وتبرر هذا التصرف الأهوج - الذي سيعطل المطابع الأميرية عن طبع كتب المدارس - بأنه [حتى يصعب تزويرها أو تعديلها] وكأن بقية مطابع مصر (وأغلبها أفخم وأحدث من المطابع الأميرية) لصوص متخصصون في التزوير والتعديل!!!! ومن أجل ماذا؟ من أجل رغيف خبز؟

وهذه (الدراما) كلها: إضافة الخانات - وتغيير البطاقات - وطبع الكوبونات - ومراجعة البيانات - وتحديد مواقيت الصرف - وجمع الكوبونات بعد ذلك.... إلخ. كل هذه الدراما كم ستتكلف من ملايين الجنيهات؟ وكم سيؤف لها من مجالس عليا، ومجالس وسطى، ومجالس إقليمية، ومجالس دنيا؟ وكم سيؤف لها من لجان تجتمع وتنفض، ولجان تنبثق من لجان، ولجان تتابع اللجان؟ وكم سينفق على الطبع والنشر والتأليف والإخراج والتنفيذ من ملايين؟ قال موهوب أفندي وقد ألقى بشيسته بعنف ففقأت عين زبون طارئ تبين فيما بعد أنه مخبر تحت التدريب: "الن نطلب من الحكومة الذكية أن

تعامل الناس كبشر لا كفيران تجارب تجرب فيهم عبقريتها وذكاوتها، ولا نطلب منها أن تراعي ما تطنطن به دونما وعي بحقيقة معناه وهو (البعد الاجتماعي) - أكاد أحلف طلاق ثلاثة أن الحكومة فاكرة البعد الاجتماعي ده مضاد حيوي!!! - ولا تعرف حقيقته، لأن البعد الاجتماعي هو: كبار السن المعولون بلا بطاقات، الضيوف، السائلون، إلى آخر ما سبق ذكره، ولكننا نطلب من الله تعالى إما أن يأخذنا نحن، حتى تستريح الحكومة من صداعنا، أو أن يأخذ بيد الحكومة فيلقي بها في قاع المحيط قريبا من سمك القرش حتى تعيش في جو أشد هدوءاً فيتجدد لها عقلها وتسترد ذكائها لأن مقولة برعي [إذا زد الشيء عن حده انقلب إلى ضده] تحققت فعلاً في هذه "الحكومة" ... (بلغة إخواننا أهل السودان)!!

=====

لجان الإقطاع الجديدة!!!

تسرب من كواليس التكية الهاليلية أن التكية بصدد تأليف لجان القطاعات الجامعية بما يحقق سيادة الجامعات الأربع الأقدم (القاهرة - الإسكندرية - عين شمس - أسيوط) على بقية الخوانق والزوايا والربط (بضم الراء المشددة وضم الباء: جمع رباط) التي تسمى جامعات من باب الفكاهة والتدليل لا أكثر، وذكرني ما تسرب بموقف لي مع رئيس سابق لجامعة القاهرة وقف يقول أمام الوزير مفيد شهاب إنه لا يرى جامعات في مصر سوى جامعتي القاهرة وعين شمس، ومن أسف أن محمد عبد الله رئيس جامعة الإسكندرية كان موجوداً ولم يرد، فرددت يومها عليه رداً عنيفاً تدخل بعده مفيد شهاب لتلطيف الجو والمهم في هذا السياق أن بعض كبار القوم موهومون، أو أنهم يفرطون في الاستعباط ، حين ينفون ما يجهلون، فكيف تتألف لجان القطاعات من أربعة أشخاص يمثلون الجامعات الأربع الأقدم ثم يختار المجلس الأعلى - اسم الله عليه!! - ثلاثة أفراد من بقية الجامعات الخمس عشرة!!!

ما هذا يا قوم؟ بالله عليكم إن لم تكن هذه أفكار سكارى فكيف نقبلها؟ كيف سيختار مجلس مؤلف من رؤساء الجامعات الثلاثة (أنفار) من بين اثنتي عشرة جامعة ليكون الثلاثة مع الأربعة الذين يمثلون الجامعات الكبرى سبعة يمثلون قطاع الكيمياء أو الجراحة أو القانون الدولي أو التربية أو الاجتماع أو الاقتصاد في مصر بحالها؟ مالكم؟ كيف تحكمون؟ كيف تفكرون؟ إن الجماعة لا يرون إلا صفيين من اللؤؤؤ - على رأي العاشق إياه - هما القاهرة وعين شمس، ولا يعرفون أن د. محمد غنيم الذي رفض الوزارة مرات مازل في المنصورة، وأن د. عبد الحميد بهجت - أحد أساطين الإدارة - مازل في الزقازيق بعد انتقاله من سوهاج إليها، وأن شيخ المؤرخين د. عاصم الدسوقي مازل في

حلوان بعد انتقاله من سوهاج إليها أيضاً، وغيرهم وغيرهم مئات من القمم العلمية والهجمات الشامخة لم يتركوا جامعاتهم التي احتضنتهم صغاراً وعينتهم معيدين، فظلوا بها كباراً ووفوا لها، وكان الجماعة أكثر توفيقاً لو أنهم حققوا ونشروا على الناس ما حدث في كلية الألسن جامعة عين شمس من تزوير وسرقات علمية في عهد د. علي العبد رئيسها الأسبق، وما حدث في الإسكندرية من تجاوزات في التعيينات في كليتي الحقوق والتربية النوعية وغيرهما مجاملة لوزير رحل ووزير قادم!!

فيأياها الملاً كفوا أيديكم عن لجان القطاعات وذروها بتشكيلها القديم بحيث يضم كل قطاع عمداء الكليات المتناظرة، فهم أعلم بشؤون كلياتهم منكم، واتركوا اللجان العلمية (النائمة) بتشكيلها القديم، وابتحوا لكم عن لعبة أخرى تتلهون بها، إن كانت مشكلتكم هي وقت الفراغ!!

لقد عانينا كثيراً - في مرحلة سابقة - من قيادات جامعية لم تكن تهتم إلا بالسلب والسلب، والفساد والتدليس، والنهب المنهج لأموال الجامعات، وتجمعت لدي كمية لا بأس بها من المستندات والوثائق جعلتني أشعر في تأليف كتاب يضمها جميعاً ليكون بمثابة (الكتاب الأسود) للجامعات، وأرجو من قرائي الكرام أن يرسلوا لي ما قد يكون لديهم من قصص أو وثائق فساد أو وقائع ظلم وتكيل واستبداد في أي جامعة من جامعات المحرسة، ففضح اللصوص والجهلة والعملاء والمرضى النفسيين وأذئابهم أمر لم يعد ترفاً، بل أصبح ضرورة. والله المستعان.

قبسات من لسان بني همبكة

أشرت في مقال سابق إلى الطبعة الأولى التي صدرت حديثاً من معجم (لسان همبستان) ونقلت شذرات منه للقراء الأعزء، ونظراً لعدم توفر ذلك المعجم في المكتبات العربية لأن مجمع البحوث أصدر قراراً بمصادرته، فقد تلقيت عدداً كبيراً من الرسائل الإلكترونية على يريدي تطلب الكشف في ذلك المعجم عن كلمات بعينها، وسأخصص ثلاثة مقالات متتالية - فقط - للكشف لقرائي الأعزء مجاناً، وبعدها سيكون الكشف في ذلك المعجم بالواسطة أو بدفع إتاوات ورشاوى للعاملين في المؤسسة العامة للكشف في المعجم التي تم إشهارها مؤخراً وهي تابعة للمجلس الأعلى للجامعات [وهو غير المجلس الأعلى للجامعات] فهو يضم كل ضحايا المجلس المشابه ممن يبكين على مستقبل أولادهم وممن يبكين أبناءهم المنتحرين.

وهذه أولى حلقات الكشف المجاني عما وصل على البريد من استفسارات:

١- تمغة:

ليس للثلاثي (تمغ) أصل في لسان العرب، ولكن في لسان همبستان توجد كلمة بهذا البناء اللغوي، تضاف لها تاء تأنيث، لأن تأنيث كل شيء هو أساس الحكم هناك، حتى إنهم من كراهية "التذكير" والمذكر والذكورة، اتخذوا وزاء غاية في النعومة والرقّة ولهم على الشاشات طرق أنثوية غريبة في التعبير عن أفكارهم وطروحاتهم، فهم يطوحن رؤوسهم ذات اليمين وذات الشمال تقليداً لمنى، ويمررون أكفهم الرقيقة على وجناتهم من حين إلى حين، أو على رؤوسهم تقليداً للميس، وبلغ من ولعهم بتأنيث كل البلاد والعباد أن تركوا استعمال لفظ (الشعب) لأنه مذكر، ويستخدمون بدلاً منه لفظ (الجماهير) لإلفهم كل ما هو مؤنث، والتمغة ختم تختم به الدوائر الحكومية في همبستان معاملاتها، أو

طوابع تلصق على أوراقها الرسمية تؤول أثمانها إلى بيت المال، لثنفق - فيما بعد - على علاج الراقصات والراقصين خارج البلاد إذا أصيبوا بالزكام. قال ابن خلكان: "وأظن أهل همبستان لجأوا إلى جعل (التمغ) بالتاء فراراً من جعلها بالبدال (دمغ - دمغة) لأن دمغ في لسان العرب تدل على القهر كما قال صاحب المحيط في اللغة - (ج ١ / ص ٤٠٤) الدَّمْعُ: كَسْرٌ هُوَ: الْقَهْرُ. وَالْأَخْذُ مِنْ فَوْقِ. وَفِي الصَّحاحِ (ج ١ / ص ٢١٣): دَمَعَهُ دَمْعًا: شَجَّهَهُ حَتَّى بَلَغْتَ الشَّجَّةَ الدِّمَاغَ. وَهُوَ نَفْسٌ تَأْتِيرُ التَّمْغَةَ عَلَى الْمَوَاطِنِ فِيهَا مَعْنَى الْقَهْرِ وَالْأَخْذُ مِنْ فَوْقِ وَشَجَّ الرَّأْسَ. قَالَ ابْنُ الْفَارِضِ حِينَ قَدِمَ طَلَبًا لِلْحَصُولِ عَلَى شَقَّةٍ فِي بَرْنَامِجِ إِسْكَانِ الشَّبَابِ:

دفعنا لتسيير الأمور غرامَةً

سكِرْنَا بها من قبل أن يُخْلَقَ الْكُرْمُ

لها (الدمغ) إِسْمٌ وَهِيَ خَتْمٌ يُدِيرُهُ

هَلَالٌ وَدُرُوشٌ وَبِطْرُسٌ وَالْبُكْمُ

على نفسه فليَبْكِكِ مَنْ ضَاعَ عَمْرُهُ

وليسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ

والأدمغة جمع دماغ، وهو رأس الرجل إذا كان عضواً في لجان التطوير إياها، ويقول المراهقون في تلك البلاد: "فلان عامل دماغ"، ويعنون بهذا أنه ينأى بنفسه عن الهزل العام السائد.

٢- ريشنة:

الريشن: عَلَى وَرْنِ كَوْتَرٍ هُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْجِدَارِ مِنَ الْجُدُوعِ يُوسَّعُ بِهِ الْمَنْزِلُ

أَوْ يُجْعَلُ مَمَرًا يَمُرُّ عَلَيْهِ وَأَصْلُهُ فَارِسِيٌّ. أما "الريشنة" فهي من لغة المراهقين يعنون بها الخرج على المؤلف، قال ابن بقة: والريشنة في لغة طسم وجديس هي الإفراط في تطوير

الجامعات وتنمية القدرات وتسريع المشروعات، وقال ابن بطوطة في رحلته الشهيرة: رأيت في الديار المصرية قوماً يطورون جامعاتهم بنظام الروشنة، فيقف أحدهم متلوياً محنياً كاللهال وقد علت وجهه صُفرة الجوع والنهم إلى مشرع، فيتلو على الأساتذة كلاماً غامضاً كالذي يتلى عند استحضر الجان وفتح البخت وصرف العفاريت، وزعم الجبرتي أنه رأى دكتوراً في بلاد النيل قضى نصف قرن في درجة مدرس، وقد تكأكأ عليه عشرون بروفيسيراً يُنمُون قدراته ليل نهار!!، وهو مستسلم لهم، تنظر في عينيه فتظنه بقية من قوم ثمود وأصحاب الأيكة، ويرتدي بدلته الصيفية الوحيدة التي لا لون لها، وإن زعم بعض المعمّرين أنه رآها وهي خضراء يوم حلف عبد الناصر أن يبني السد ثم رآها بنية اللون يوم اتخذ السادات العلم والإيمان شعاراً لعصره، وقال بعضهم: رأيت صاحبنا يرتديها ليلة التعديل الدستوري وكان لونها "بمي"!! وبرغم ما أنفقتة دول الاتحاد الأوروبي - ضمن مشروعاتها الكريمة - على تنمية قدرات هذا الثمودي العتيد والذي تجاوز تسعين ساعة معتمدة قبضها الأساتذة العشرون فإن عائد تنمية قدرات المدرس إياه لم تنم ولم تتطوّر، وكل التغيير الذي تحقق عنده أن بنطلونه الذي كان به رقعتان فقط صار يضم خمس رقع، حوّلتها عمليات الصبغ المتوالية على مدى أربعين سنة إلى ما يشبه خطة الإصلاح الاقتصادي، وفيه يقول ابن نباتة:

تطورنا... ما أحسنه

على نظام الروشنة

نقلب (العضو) على

جنبه ..حتى يتقنه !!

تنمية القدرات فيها

لذة... و جدعة..!!

ومن يذقها يعترف

بأنها .. مقننة !!..

٣- بكش:

في القاموس المحيط (ج ٢ / ص ١٢٧) : بَكَشَ عِقَالَ بَعِيرِهِ حَلَّه، فأصل البَكَش هو حل العقال، أما في العامية الهمبستانية فإن الكلمة تعني الاحتيال، وادعاء تحسين أوضاع الموظفين، والإعلان عن وظائف وهمية لا وجود لها إلا في البرامج الانتخابية، وزعم الجوهري أنه سمع أعرابياً كان يعمل خبيراً في برامج تحسين التعليم، والتعلم النشط والمدارس صديقة الفتيات، والمدارس صديقة البيئة، يقول وهو ممسك بالشيشة على مقهى [المعايير القومية]: "لا يستحق أن يعيش من لا يعرف التبكيش"، وأحب البَكَش إلى قلب الحكومة ما كان لها فيه نصيب مثل زيرو تسعمية، والمسابقات الهاتفية التي سادت البلاد المحمية في أزهى عصور المهلبية، زمن الدولة المملوكية. ويقال ذهب المتنبى مرة إلى الجمارك ليفرج عن "زلكة" استوردها من غينيا بيساو، فقال له المأمور الجمركي كلاماً خدش حيائه عن رشوة تدخل بها السيارة على أنها لرجل معوّق ثم يرخصها المتنبى باسمه فقال:

كم في الجمارك قد رأيت وحوشا

نهبوا الجيوب ونفضوا الطربوشا

مسحوا البلاط بأمة مقهورة

وبأمر بطرس أكثر! التفتيشا

لكنهم - عند الضرورة - غاية

في اللطف، حين تشخل البقشيشا

فعلمت أن جماركي مخرومة

وبأن تفتيشي غدا تبكيشا !!..

في فلسفة الطواير

هذا الشعب جحود كنود فظ نكار للجميل، تصنع الحكومة الصنيع تبتغي به إسعاده وإبهاجه، والتخفيف من معاناته، والتسرية عنه، فلا يقابل الصنيع الطيب إلا بسوء النية وخبث الطوية، والرد الخشن العنيف (كالإضراب والاعتصام والتظاهر)، وهذا النوع من الردود لا يلائم حكومةً (فافي): يكاد رقيق الماء يخدش جلدها إذا اغتسلت بالماء من رقعة الجلد، ولو لبست ثوباً من الورد ناعماً سيسكو إليها الجسم من ثقل الورد، ولو تأمل هذا الشعب - الفظ الغليظ القلب - وزراء هذه الحكومة وهم يتحدثون إلى المذيعات البيض الحسان اللواتي يذبن تكسراً، ويتميلن تأنثاً وتلاعباً، لرأى كيف ينافس وزراء الحكومة أولئك المذيعات في حلاوتهن ورقتهن وعذوبة نطقهن، أفهذه الرقة والنعومة التي نراها في وزراءنا يصح أن تقابل بهذا العنف العنيف، وتلك الشدة الشديدة والقسوة القاسية التي يظهر بها المتظاهرين والمحتجون والمضربون؟ إن الطواير سبيل من سبيل تربية الشعب وتهذيبه فهي في واقعها:

- ١- تحسّن الأخلاق وترتقي بها لاسيما إذا كانت كثيفة متلاصقة.
- ٢- تعود (المتطابرين) الصبر والثبات.
- ٣- تنشط الدورة الدموية.
- ٤- تقوي الساقين لمن ألقوا السكون وكرهوا التريض.
- ٥- تشيع جواً من السعادة والمرح بما يند عن أصحابها بين الفينة والفينة من نكات وتعليقات.
- ٦- تفتح آفاقاً واسعة للحوار الوطني الديمقراطي بدلاً من المقاهي.

- ٧- تقدم فرصاً متجددة للتعارف وتوليد صداقات جديدة.
- ٨- توفر فرصاً للسيدات لتبادل الخبرات في شؤونهن كافة.
- ٩- توفر المال الذي سينفق - في وقت الفراغ - على المقاهي والسيارات والكافيهات، ولا أشك في أن القراء الكرام سيضيفون مزياً عديدة للطوابير، لم أذكرها. وبخاصة أولئك الذين ذاقوا حلاوتها، و.. "من ذاق عرف" كما يقول الصوفية. فأنا لا أصدق ما تشيعه الصحافة المستقلة الجاحدة الحاقدة، من أن في مصر طوابير بهذه الشناعة التي يصفون، فمسكني بالقاهرة يقع في تلك "المنطقة الخضراء" الهادئة الرئمانسية الساحرة التي تفصل بين منطقة الوايلي الكبير، ومنطقة الزوية الحمراء، وصحيح أنني لا أقيم هناك إلا يومين أول الشهر، ويومين آخره، ولكنني لم أر على وجوه أولئك الوايليين والزويين الحمر، إلا سعادة ورضا وابتهاجاً، ولم أر منذ سكنت في تلك المنطقة طابور خبز واحداً، ولا طابور أنابيب غاز، ولا طابور دفع فواتير، ولا طابوراً على (مبولة)، [فالمنطقة لا شيء فيها من ذلك كله]، ولم أر على وجوه الشعب إلا الضحك المتصل والسعادة الخانقة بهذه الحكومة الرائقة، فكثيراً ما يصادفني مواطن يسير وهو يحدث نفسه بعصية، فهل يقول أحد إلا أن هذا الرجل يحدث زوجته بما لم يستطع أن يحدثها به وهما في البيت؟ وأحياناً أرى رجلاً يسير عارياً أو يفتش الطريق عارياً، فهل يقول أحد بعد ذلك إن الحكومة تضيق ذرعاً بالليبراليين ودعاة التحرر وتفرض عليهم قيوداً؟ أفليس في مسلك هذا الرجل دليل على سعة صدر الحكومة وبنظنها وتقفاها؟ وأحياناً أرى رجلاً يضحك بشدة وهو ينظر إلى الأفق السرمدي البعيد، أفيقول أحد إن هذا الرجل يعاني من الطوابير؟ ومع ذلك كله فإن الحكومة رحيمة بشعبها على ما

فيه من جفوة وغلظة كبد، فهي لم تستصدر له - حتى الآن - فتوى من دار الإفتاء بأن الطوايير حرام، وأن الخبز نفسه مكروه لمن استطاع إلى الصوم سيلاً، ومن لم يستطع فعله بالسبوسة فمن لم يجد فعله بـ"الكورن فليكس"، فمن لم يجد فعله بـ"الفينو"، وهي - حتى الآن - لم تحل أوراق شعبها للمجمع ولا للمجلس القومي للمرأة، ولا للمجلس الأعلى للمزقانات، وما تزال تنتظر أن يثوب هذا الشعب الأنكد إلى رشده، فيقر لها بما تفعل فيه من إنجازات!! فمن أين تأتي المعارضة الشرسة القاسية بكل هذه الافتراءات؟ لا أدري..!! والطابور - في اللغة - لفظ تركي على وزن فاعول، مثل شاكوش وناقور وخازيق، وهو وزن لا تعرفه الفصحى إلا من أوزن اسم الآلة غالباً، وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من أن الطابور آلة من آلات الترفيه التي استحدثتها الحكومات للتسرية عن الناس. فإذا جمعت لشعوبها - بجانب الطوايير - وجوهاً سمحة ناعمة رقيقة هادئة لحد البله ووزعتهم على شاشاتها ليل نهار، يكذبون ويضحكون، ويسرون عن الناس، بما يقولون وما يفعلون، فماذا تفعل أكثر من ذلك لهذا الشعب الكنود!!

=====

في استحالة العوامة !!

الذين يبشرون بالعوامة يتحمسون لها كأنها دين جديد ظهر ليملاً الأرض عدلاً بعد أن ملئت فوضى، وهؤلاء فريقان: فريق يعاني أصلاً من وطأة الانسحاق والقهر والإحساس بالعجز والدونية لأسباب شخصية تتعلق به وينشأته وبيئته التي تربي فيها، وفريق مضحك عليه مغرر به، ضعيف الرأي، متقلب الهوى، انقيادي، مطيع لمن يعلوه.

هؤلاء وهؤلاء يظهرن للناس على الشاشات، وينفثون أفكارهم من الإذاعات، وينشرون إفكهم في الصحف، مبشرين ومنذرين: مبشرين بعالم جديد يسود فيه الحق والحرية وحقوق الإنسان، ومنذرين النظم التي لا تركع للعم سام بأنها إلى زوال عما قريب، ما لم تؤد فروض التبعية والتدلل والانبطاح.

وهؤلاء وهؤلاء لا يتحملون نقاشاً، ولا يصبرون لمجادلة، فإذا حاولت الدخول معهم في حوار انسحبوا في تكبير مصطنع، وتأفف واضح، مع همهمة خفاء متلجلجة تخرج من أنوفهم تميز منها - بصعوبة - روائح التهديد والإنذار!! وكأن ربهم الرابض في البيت الأسود على كل شيء قدير.

أما نحن - العرب والمسلمين - فنؤمن بأن الله وحده لا شريك له هو الذي يقدر على كل شيء، ونؤمن بأنه لو شاء سبحانه ".... لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" [هود: ١١٨]. ونؤمن بأن رب البيت الأسود الذي يعكفون على عبادته وتمجيده والتقرب إليه لا يملك نفعاً ولا ضرراً، فها هو ذا يخرج من مكنه بعد ثماني سنوات يحارب فيها بلا أي انتصار يذكر بعض البدوي في أفغانستان، ويجرب كل ما أعطاه غرور العلم من أسلحة محرمة مجرمة في الشعوب الصغيرة الفقيرة، كل ما حققه من نجاح في ثماني سنوات أنه أخذ بثأر أبيه من صدام حسين الذي أذل أباه أوائل التسعينيات

وأسقطه وسبب له الهوان الأبدي، فجاء الابن فاستعان ببعض عملائه وأزلامه واشترى ذم خونة باعوه رأس الرئيس ورأسي ولديه بثمن بخس، وهاهم أولاء غارقون في دمائهم. ومرءجوفكرة "حتمية" العولة واهمون، فالأصل هو الاختلاف كما بينت الآية الكريمة السابقة (ولا يزالون مختلفين)، والاتحاد حول فكرة واحدة مستحيل استحالة مطلقة حسب منطق العلم الطبيعي المجرد، وقواعده وقوانينه، ولذلك فإن كل أحلام أولئك الصغار من الواهيمين ستصبح ذات يوم ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

يتخذون من قوانين الرياضة الدولية، ومن تعاليم الفيفا، ومن ميثاق الأمم المتحدة ووثائقها أطرا للعمل وقوانين للعولة وأستارا لتنفيذ إرادة الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية وأسست تلك المنظمة الدولية العاجزة التي شاخت، وتجاوزها الزمن . ولم تستطع على مدى ستين عاما أن تحل نزاعا واحدا أو تجلب لشعب حقًا مسلوبا، ولم تتخذ طوال ستين عاما قرارا واحدا ولا حتى مجرد توصية تخدش كبرياء كبريات الدول الغربية . فهي في نهاية التقييم : محل عطارة مدجن يبيع مخدرات ومسكنات فاسدة لمن يؤمنون بفعاليتها كصائب عريقات ومصطفى الفقي ...!!

وهؤلاء وهؤلاء من مرءجي فكرة " حتمية " العولة الواهيمين يستعينون على قضاء وطهرهم بإعلام عميل متحلل يبشر بثقافة وهم (السلام) ووهم الحرية الجنسية بشرط التراضي بين طرفي العملية الجنسية؛ وتنشط الدعوة لذلك بوسائل عدة ابتكرها دعاة العولة كالمحادثات في الإنترنت. وأماكن ممارسة الرذائل، كالبارات ودور الدعارة والملاهي الليلية. واستصدار القوانين الوطنية التي ترعى هذه الممارسات، وتشجعها بسلطات الأمم المتحدة ممثلة في مؤتمرات السكان، كقانون الإجهاض. وقوانين المرأة والطفل .

لكننا ببشرهم بأن كل كيدهم سيبوء بالخسران المبين ، لأن التاريخ أكد لنا أن أي حضارة أو دعوة تقوم على القهر والقوة مصيرها للزوال .
من معجم (لسان همبستان) :

طبخ :

طَبَخَ : بثلاث فتحات متتالية على وزن : فَسَدَ ، وفعل ماضٍ ثلاثي يدل على معنى إعداد وجبة دسمة من اللحوم ، سواء أكانت لحوم بشر أم لحوم بقرة ، أم لحوم غجر ، وأول من أكل لحوم البشر من العرب هو ممدوح بن إسماعيل بن سنان بن أبي ضرس النابي من قبيلة قاضمة كان له طبخ فنزيلي ورد ذكره في معلقة الأعشى ، يقال إنه طبخ له طبخة عالية فكافأه . وطبخ القضايا معروف في تاريخ النظم القانونية عند بني همبكة من أيام يزيد بن معاوية .

المصاقبة :

ذهب ابن جني في الخصائص إلى أن للصوت الذي يتميز به الحرف العربي دلالة خاصة تمتد إلى كل الكلمات التي يبدأ بها ذلك الحرف فأنت ترى كل الأفعال التي تبدأ بحرف القاف تدل على القطع وفصل شيء عن شيء كما في : قَدَّ - قَطَعَ - قَصَّ - قسم ... إلخ وعلى هذا قاس ابن عفریت تلميذ ابن جني فقال : ويقولون عن عصر قديم حكمت فيه حكومة (أبوطولون) للوزير والمصحفي القومي إذا ظهر في التلفاز : همبك - وهنتف - وهلفط - ويقولون لرجل الأعمال إذا تمدَّح أو تمنع أو تلكَّح : هَبَّرَ ، وهَبَّشَ ، وهَرَبَ .. و.... طلع براءة!!!

=====

زكريا غنيم ليس عضواً في الحزب الحاكم...! !

يعيش ما يقرب من ١٩٠٦٧٥ من العلماء العرب خارج أوطانهم حسب التقديرات الرسمية، ويعملون في التخصصات المختلفة من الفضاء إلى الفيزياء والكيمياء والرياضيات إلى العلوم الإنسانية. ويقدر المتخصصون منهم في الذرة بحوالي ١٥٥ عالماً أشهرهم حالياً العالم المصري الدكتور محمد البرادعي المدير العام للهيئة الدولية للطاقة النووية والواقع أن سر هجرة هذا العدد الضخم من بلادهم العربية لم يعد سراً مكتوماً. فالجامعات العربية تعاني من أزمات مالية وإدارية تجعل عضو هيئة التدريس مكبلاً بأعباء كثيرة تناطح البحث العلمي وتجعله يتراجع أمام تلك المهام الثانوية. فعضو هيئة التدريس في الجامعات العربية يخصص ٥٪ من وقته فقط للبحث العلمي مقابل ٣٣٪ لدى نظيره الذي يعمل في الجامعات الغربية.

وهذا الأمر ليس جديداً في جامعاتنا ومراكزنا البحثية، فالاهتمام بالبحث العلمي ليس ضمن الأولويات العربية من قديم. فقد نشر الأستاذ إحسان عبد القدوس مقالاً في العدد ١٦٠٦ من مجلة رينّ اليوسف المصرية الصادر في ٢٣ مارس ١٩٥٩ تحت عنوان (كيف نعامل العلماء) استند فيه إلى مقال استغرق أربع عشرة صفحات في مجلة (ماتش) التي كانت آنذاك توزع أكثر من مليون نسخة. وذلك المقال /الموضوع كان يتحدث عن عالم مصري نشرت صورته على صفحة كاملة من تلك المجلة الإنجليزية ومع ذلك فهو في بلادنا العربية - بل في بلده مصر - غير معروف كما يقول إحسان عبد القدوس في مقالته تلك. وذلك العالم اسمه زكريا غنيم وقد أثار الأقلام ومكبرات الصوت وآلات التصوير بقوة في ٤ مارس ١٩٥٤م حين أعلن لأول مرة منذ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون

- على يد العالم الإنجليزي كارتر ١٩٢٨ - عن أهم اكتشاف أثري وهو الأهرام المدفونة.
يقول إحسان عبد القدوس:

لقد أثار زكريا غنيم كل العالم ما عدا مصر، ما عدا وطنه...!!! . وعيب زكريا غنيم الذي حرمه من اهتمام مواطنيه أنه كان عالماً بالمعنى الصحيح لكلمة عالم... لقد كانت دراسته الأصلية هي علم الاقتصاد. وتخرج في كلية التجارة وعين بوزارة المالية، ولكنه هواية الآثار كانت تلح عليه دائماً فالتحق بكلية الآداب ودرس الآثار وبعد تخرجه منها ترك المالية وتفرغ لتخصصه الجديد. وقد كرمه العالم كله واهتم بدراساته. إلا في وطنه حيث فعل الحقد والحسد فعلهما وتجوهمت إنجازاته. ولم تتم الحفريات التي كان يبشر بها...".

الدول العربية من أكثر دول العالم حديثاً وجعجةً حول "أهمية البحث العلمي، ودوره في التنمية" وهي تظن أنها يمثل هذا الكلام الذي تصدّعنا به وسائل الإعلام، وتنعقد له المؤتمرات وتنفض عاماً بعد عام، تظن أنها بهذا الشكل من "الكلام" قد أبرأت ذمتها، وأدت رسالتها وخدمت أمتها وكفى الله المؤمنين القتال.

أما الواقع المؤسف فيقول إن من بين ١٠٠ ألف عالم عربي عام ٢٠٠٠ هاجر - ولم يعد - أكثر من ٣٦ ألفاً بما يزيد قليلاً عن الثلث. ويقول الواقع أيضاً ما توضحه الإحصاءات التالية:-

- ١- يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية أربعة آلاف أستاذ جامعي أو أكثر من بين ٤٥٠ ألف مهاجر عربي يحملون مؤهلات عليا.
- ٢- يوجد أكثر من ١٥٠٠ أستاذ جامعي عربي في الدول الأوروبية من بين أكثر من ٤٠٠ ألف مهاجر عربي يحملون مؤهلات عليا.
- ٣- يوجد من مصر وحدها أكثر من ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) طبيب يعملون في بريطانيا وحدها..

وقد أوردت النشرة السادسة لعام ٢٠٠٢ الصادرة في الإمارات العربية المتحدة عن (المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا) التي تأسست بالشارقة عام ٢٠٠٠، عدداً من الأرقام المخيفة. فقد ورد بتلك النشرة:

١- أن حجم الإنفاق العربي على البحث العلمي والتطوير بلغ في العام ١٩٩٦ ٧٨٢ مليون دولار، بنسبة ١٥،٠٪ (خمس عشرة من مئة بالمئة) من إجمالي الناتج المحلي.

٢- أن عدد الحاصلين على شهادة جامعية ٥١ مليون عربي من أصل ١٥٠ مليون متعلم أي بنسبة ١٠٪ مقابل ٢٠٪ في أميركا.

٣- عدد مراكز البحوث العلمية في الدول العربية من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ مركز.

٤- عدد حملة الدكتوراه في الوطن العربي ١٦٠ ألف شخص عام ٢٠٠١ بنسبة ٠،٠٠٣٪ (ثلاثة من ألف في المئة) من حملة المؤهلات الجامعية.

إن هذه الأرقام تعكس مدى قتامة الصورة، ورداءة الأصل أيضاً، ففي الوقت الذي تجد فيه الدول العربية نفسها مرغمة على مواجهة إسرائيل التي تتسلح بالعلم والتكنولوجيا وتتطاول على العرب جميعاً مستندة في ذلك إلى غرور القوة وامتلاك أسلحة الدمار الشامل لا تملك هذه الدول العربية سياسة علمية تمكنها من الصمود والتصدي، وتنشغل أنظمتها بمعارك (دون كيشوتية) صغيرة تستنزف جهدها ووقتها وثراتها وقواها المادية والبشرية.

وقد ذكر الدكتور أحمد زويل - أشهر العلماء العرب المهاجرين - في محاضرة له ألقاها عام ٢٠٠٢ أن مؤسسة أمريكية أجرت إحصاءً مصنفاً لثلاثة ملايين ونصف مليون بحث علمي منشور خلال خمس السنوات الماضية فوصلت للنتائج التالية:-

١. كان نصيب الولايات المتحدة من هذه البحوث الـ (٣,٥ مليون) هو ٣٤٪.
٢. كان نصيب أوروبا هو النصيب الأكبر إذ بلغ ٣٧٪.
٣. الدول الآسيوية الباسفيك نالت ٢١٪.
٤. الهند وحدها كان نصيبها ٢,٢٪.
٥. إسرائيل وحدها كان نصيبها إلى ١,٣٪.
٦. الأمة العربية جميعاً لم يصل نصيبها ١٪.

وقد قال د. زريل: "إذا قسمنا عدد البحوث المنشورة في الوطن العربي على عدد السكان البالغ ٢٨٠ مليون نسمة، وقارناه بعدد البحوث المنشورة لعلماء إسرائيل البالغ عدد سكانها ٣,٥ مليون نسمة، كانت النتيجة أن المواطن العربي يساوي (١) في المائة من الإسرائيلي.

لكن الذي لم يفتن إليه د. زريل أننا نفوق إسرائيل (المزعومة) في أشياء كثيرة كالأغاني الشبابية، وطرق حلاقة شعر الرأس التي يتفنن بها شبابنا، وما يشيع على قنواتنا الفضائية من رقص وهجس ومسابقات ومباريات وسباقات.

ومن قبيل الحديث المعاد أن نقول إن هذا الوضع المتردي للبحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث العربية مرجعه الأساسي إلى السياسات الحكومية العربية التي تضمن على الجامعات ومراكز البحوث بالتمويل اللازم وتتفنن في إيذاء الأساتذة والخبراء والتضييق عليهم ومعظمهم يسافرون إلى الخارج ويرون ما تتيحه الجامعات الأجنبية لنظرائهم من الحرية الأكاديمية، والمزايا المادية، والإمكانات البحثية، والمعامل والمكتبات والمطبوعات والتسهيلات الإدارية والمالية في الحل والترحال للمشاركة في

المؤتمرات والمشروعات البحثية. وما يرونه في الخارج يدفعهم دفعا إلى التفكير في الهجرة والاعترب.

معادلة مقلوبة:

إن الدول الغربية التي تستقطب هذا العدد الهائل من علماء الدول النامية (نحن لم نذكر في الإحصاءات السابقة إلا الدول العربية ولكن هناك مئات الآلاف من دول غير عربية كالهند والباكستان وأفريقيا يقيمون في الدول الغربية في أعلى المراكز العلمية). تدرك أن تطورها وتقدمها العلمي يقوم على أكتاف هؤلاء المهاجرين جنبا إلى جنب مع أبنائها ولذلك تقدم لهم كل التيسيرات المادية الممكنة لإغرائهم بالبقاء.

ومن جانب آخر تقوم الدول العربية باستجلاب الخبراء الأجانب إليها وتدفع لهم ما يطلبون من أجور، وتقدم لهم ما يشترطون من تسهيلات من أجل إنجاز مشروعات يمكن لأبناء تلك الدول من العلماء الشباب إنجازها بصورة أفضل. ولكنهم لو تقدموا لإنجازها لساوتمهم دولهم أفضح مساومة ولعاملتهم أسوأ معاملة، لأن (عقدة الخواجة) تتحكم في نفوس بعض أولي الأمر ممن يقبضون على نواحي القرارات في أكثر الدول العربية تقدماً. فهم يثقون بالأجانب ولا يثقون في ذويهم.

ما الأسباب؟؟

أما أسباب تلك الظاهرة — أعني ظاهرة هجرة العقول — فترجع إلى عوامل مهمة أهمها:-

- ١- ضالة العوائد الاقتصادية للعمل العلمي في الجامعات العربية، إذا ما قورنت بالعوائد المغرية في الدول الغربية، ففي دولة مثل مصر لا يزيد راتب الأستاذ الجامعي (البروفيسور) عن ٥٠٠ دولار شهرياً، وهو يتقاضى في أمريكا إذا عمل بها نحو عشرة آلاف دولاراً شهرياً، وحتى في دول الخليج البترولية لا يزيد راتب

البر، فيسور عن ثلاثة أو أربعة آلاف دولار شهرياً أي أقل من ثلث ما يتقاضاه في أميركا إذا عمل بها، وهذا العامل هو عامل الطرد الأول في البلدان العربية.

٢- انعدام الحرية الأكاديمية، فالسياسة والاقتصاد والعادات والتقاليد والثقافة القبائلية والتفكير الخرافي، كل هذه عوامل تحد من الحرية الأكاديمية في مؤسساتنا البحثية العربية.

٣- ضعف الإمكانيات المادية ونعني بها سوء حالة المباني والمعامل والمكتبات والتجهيزات في أكثر الجامعات العربية.

٤- عدم وجود فرص عمل لبعض التخصصات العلمية النادرة.

هل من مخرج؟؟

إذا أردنا البحث عن مخرج من هذه الأزمة فيجب ألا نفكر في استعادة علمائنا المهاجرين بالخارج، فهذا لا سبيل إليه ما دمنا لا نستطيع أن نوفر لهم أجوراً وظروفاً معيشية كالتى تعودوا عليها.

كما لا يجب أن نطلب من رجال المال والأعمال المساهمة في تمويل البحث العلمي كما هو الحال في بلاد الغرب، لأن رجل الأعمال العربي في غالبية الأحوال جاهل أو لا يدري قيمة البحث العلمي. ومن ثم فهو لا يقامر بأمواله في مشروع إلا إذا ضمن ربحاً يصل إلى عشرة أضعاف رأس المال وفي أقصر مدة ممكنة. كما هو الحال لدى بعض أصحاب المعاهد والكليات الخاصة التي لا تستهدف إلا الربح.

إن المخرج الوحيد في رأينا من هذه الأزمة يتمثل في النقاط التالية:-

١- تغيير مناهج التعليم العام تغييراً حقيقياً- وليس ظاهرياً- لكي تصبح (قيمة العلم) أساساً لتفكير الطالب ومن قبله المعلم.

- ٢- ويترتب على ذلك تطوير تدريب المعلمين العاملين في التعليم العام تدريباً علمياً جاداً وليس مظهرياً بهدف تغيير المفاهيم البالية في أدمغتهم وتطويرها.
- ٣- تحسين الأوضاع المالية لمعلمي ما قبل الجامعة بمضاعفة الرواتب وربط الحوافز بتجويد الأداء الذي ينبغي ألا يُقاس بنتائج الطلاب (المفبركة) بل بقياس أداء الطلاب الفعلي بمقاييس جديدة.
- ٤- مضاعفة رواتب أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ومراكز البحوث إلى ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن للحفاظ على من تبقى منهم قبل أن يفكر في الهجرة.
- ٥- مضاعفة ميزانيات الجامعات ومراكز البحوث ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن لتشجيع ظرفٍ إنجاز البحث العلمي وتحسينها.
- ٦- إنشاء جوائز وحوافز مادية للبحوث المتميزة في كل جامعة على حدة.
- ٧- إعادة النظر في نظم الترقيات بحيث تعطى أوزن أكبر للبحوث المنشورة في المجالات الدولية...

=====

وسط البلد - هاتفات ضد تزوير التعديلات . فيضربونهن ويهينونهن ويمزقون ملابسهن ، ويلفقون لهن القضايا ، ولولا مسكة من حياء لاتهموهن بتعاطي المخدرات . ولو كبرت لعانيت ما عانت أخوات لك من قبل حين تعرضن للقتل في انتخابات البرلمان في الأقصر عام ١٩٨٧ ولتعرضت لما تعرضت له أختك المستشارة نهى الزيني حين شهدت على التزوير في البحيرة في الانتخابات الأخيرة . ولتعرضت لما تعرضت له أخوات لك أبلغن عن انحرافات تمس أغنياء المماليك الجدد . فَنُكِّلْ بهن .

وكان الله لطيفا بك يا بنيتي حين استأثرت بك رحمته ، كما كان لطيفا بنا حين شهدنا لك بالشهادة وشهدنا على أنفسنا بالعجز عن أن نأخذ بثأرك ، أو أن نقتص لك ممن أرداك ، ولعل لك يا سماح من اسمك نصيبا يا بنيتي ، فتسامحي معنا وسامحينا لأننا لم نقتص لك ممن غالوك . ولن نقتص ، لا لشيء إلا لأننا أعجز من أن نجهر بالحديث عن الثأر لا أن نطلبه .

فقد شاء حظك العاثر يا بنيتي أن تُقتلي في وقت نحن فيه عنك مشغولون ، وبغير دمك الطاهر معنيون ، فوزرة الخارجية كانت يوم قتلك " لابدة في الذرة " بالقرب من مكان استشهادك ، تحد فؤوسها وتسن أن ميلها لتكسر أرجل من يعبر الحدود كما قالها في عنترية الشيخ أبو الغيط (غيط الذرة) قاصدا بها المستضعفين من أهلنا العرب .

ومع ذلك فإني أعرف في معالي الوزير أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه قد يدلي بتصريح هنا أو هناك خلاصته أن الوزرة لن تسمح أبدا بتكرار ما حدث ، وأنها ترى فيما حدث أمرا مؤسفا للغاية ، وترى أن تكراره - مع أنه تكرر مرارا - من شأنه أن يعكر صفو العلاقة الحميمة التي (تربطنا) مع الصهاينة .!! فقد سبق لمعالیه أن صرح بأنه لن يسمح بنمو نشاط نووي في الشرق الأوسط ، فضحك الصهاينة حتى استلقوا على أفقيتهم

من هذه العنصرية الصارمة !! وارتعدت إيران فور تقيؤ معاليه هذا التصريح وسارعت بتدمير منشآتها النووية قبل أن يعلم بها معاليه .

وكانت وزارة الأوقاف في شغل عنك يوم مقتل يا بنيتي فقد كانت تتمشى في شوارع بكين تشتري لأهل مصر من " الرسيفرات " ما توحد به لهم الأذان حتى لا تقلقهم أصوات المؤذنين الخشنة وتقض مضاجعهم ، فيناموا بعد سماع نشرة أخبار التاسعة - نوم العروس هانئين مبتهجين ليحلموا بعالم سعيد !!

ومع ذلك فإنني أعرف في معالي الوزير أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه قد يصدر توجيهاته السامية بتجريم من يصلي عليك صلاة الغائب في مساجد معاليه ، لا كراهية فيك ولا محابة للصهاينة ، ولكن لأن صلاة الغائب -في نظر معاليه - بدعة غير حسنة !! وأعرف في معاليه أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه قد يسمح لمن شاء من المصلين أن يترحم عليك في ختام الصلاة سرا ودون الجهر من القول من غير أن تبلغ عنه وزارة الأوقاف رجال أمن الدولة الذين (يتعاونون) معها .

وكانت وزارة التضامن عنك في شغل عظيم ، فقد مات رجل بالرصاص في فرشوط في طوابير الخبز ، وقطعت أصابع سيده أعلقوا عليها باب المخبز في قسوة مفرطة ، وتمزق جسد رجل في إحدى قرى المراغة بالسكاكين ، أمام المخبز كذلك . ومع ذلك فإنني أعرف في معالي الوزير أريحية وشهامة لا أشك معها في أنه سيصرف لأسرتك ثمانين جنيها ثنا لجنتك ، وتعويضاً لها عن نكبتها فيك ، فقد فعلتها الوزارة مع قومي من قبل حين دهمتنا السيول عام ١٩٩٤ ، وحين شردنا الزلزل عام ١٩٩٢ ، وحين حاقت بنا كارثة العبارة الأولى (سالم اكسبريس) ١٩٩٢ ، وحين احترق بنا قطار الصعيد ليلة عيد الأضحى في فبراير ٢٠٠٤ وحين غرق من قومنا ألف وثلاثمائة إنسان في العبارة الثانية (السلام) يوم فوزنا بكأس

أفريقية عام ٢٠٠٦ . ففي كل تلك المرات ، رتعت أسربني عمومنا ولعبت لعبا بالفلوس التي انهالت علينا من وزير التضامن وسلفه الصالحين .

ولا تأسى يا سماح لأن الإعلام لم يحفل بمقتلك يا بنيتي ، والتمسي لنا العذر فإن نكبة عدم احتراف (الحضري) قد أخذتنا كل مأخذ ، وصرفتنا عن أن نشعربك وأنت تتمرغين في دمك تستغيثين بنا ، وأصمت أسماعنا فلم نسمع أصوات رصاص ذلك الخسيس وهو يمزق رئتك الصغيرة ويخرج أمعاءك البريئة ، ويقطع أنفاسك اللاهثة المستغيثة بلا مغيث .

كنا مع الحضري يا بنيتي في شغل عنك وعن ابن عمك أحمد حميدين الذي قتلته رصاصات ذات الكلب الخسيس قبل أسبوع من مقتلك ، ولعل ريحك وروح ابن عمك تفران لنا صمتنا وعجزنا وصمنا وعمانا وضعفنا وخورنا وانشغالنا عنك بما هو أهم لمصر ولشعب مصر الصامد في طواير الفتات . !!

=====

فقر الفكر في جامعاتنا!!

وردت إلينا في الجامعات مكاتبات من التكية الهلالية تتحدث عن رغبة المقام العالي في تأليف اللجان العلمية الدائمة للترقيات في ثوب جديد ، والمقام العالي مغرم جدا ومفتون جدا بمصطلح (رؤية) تماما كغرام الأخ معتز الدمرداش بمصطلح (cool) !! وكغرام أبو مازن بمصطلح " خارطة الطريق " !!.

و(الرؤية) الجديدة مؤداها أن يكتب كل أستاذ سيرته العلمية/العملية مفصلة ويرسلها عبر موقع المجلس الأعلى للجامعات إلى (من يهمله الأمر) !! فتتألف من هؤلاء المرسلين - بكسر السين - قوائم المحكمين ، من الأساتذة القدامى المستوفين للشروط التي يجب أن تتحقق للأستاذ حتى يصبح محكماً ، في موعد كان معلناً أنه ينتهي بغروب شمس الحادي والثلاثين من شهر مايو المبارك ، ثم - لأسباب لم تُعلن - تم تمديد الموعد إلى نهاية شهر يونيو ٢٠٠٨ . فإذا اكتملت القوائم لدى (من يهمله الأمر) قام معاليه أو سموه أو فخامته أو سيادته أو جنابه أو دولته - بأساليب لم تُعلن - باختيار بضعة نفر من تلك القوائم لتتألف منهم اللجنة العلمية الدائمة لكل تخصص على حدة . وكانت تتألف منذ خلق الله الجامعات بالأقدمية المطلقة فتتحقق بها العدالة جهد الطاقة ، ولن هذا النظام القديم القائم على الأقدمية خلو من السر الجديد الباتح الموسوم بـ (الرؤية) !!

ونظراً لكوني مواطناً صالحاً غير متفائلاً مقبلاً على الحياة بكل ما يليق بصعيدي من حسن ظن وسذاجة !! ، فقد تقدمت بأوراقى عبر الشبكة (النت) إلى الموقع المذكور إلى (من يهمله الأمر) !! لأظفر بحقي الذي سلبوني إياه منذ سنوات طوال - لأسباب لم تُعلن - ظلما وعدوانا ولأسباب لما يحن بعد أوان فتح ملفاتها حتى لا تفسد (الرؤية) !!

وكانت المكاتبه الوارده إلينا من التكيهه قد قالت إن من أراد أن يطمئن قلبه فليرسل سيرته عبر (النت) ثم يرسل منها نسخه ورقية مسحوبه مما أرسل على (النت) ونظرا لكوني مواطنا صالحا غرّاً متفائلا يتلقى تصريحات المسؤولين بوسواس شديد ، فقد استنسخت مما (ننتُ) نسخه ورقية وأرسلتها مع مواطن لا يقل عني صلاحا وتفאוؤلا وابتساما للحياه ، وكانت المفاجأة لذلك البريء صادمه ، وكانت الصدمه لذلك البريء قاتله فبعد سفر سبع ساعات بقطار الصعيد ، وصل المواطن إلى المجلس الأعلى لتسليم أوراقى لـ (من يهمله الأمر) فوجد امرأة طرّيا متفائلة أقبلت عليه بروح رياضيه عاليه قائلة في شخطة أوتعت قلب مبعوثنا البريء : " أين ختم النسر؟ " ، ارجع يا فتى من حيث أتيت وأبلغ من أرسلك أن (البلد مش سايبه) وأننا هنا في المجلس الأعلى للجامعات نتحدث عن الجوده والاعتماد والتطوير وتطوير التطوير وتجويد الجوده ولكن هذا كله مجرد استدرار الملايين من الجهات الدوايهه التي تعجبها هذه اللغه ، ويستهوئها هذا الفكر ، فإذا خلا بعضنا إلى بعض ، فالتوقيع باهت ، والخط غير واضح ، وختم النسر غير موجود ، والتمغه سابقه الاستعمال ، وإيصال السداد غائب ، والرسم غير مكتمله ... إلى آخر هذا التراث البيروقراطى المجيد !!

• ألم تقولوا إنكم يمكن أن تكتفوا بما أرسل عبر النت ؟ سأل الفتى الغر الصالح

المبعوث

• بلى !! – أجابت المزمزىل ضاحكه ثم أضافت – وهل يرضيك أن نتسلم ورقماً

خالياً من ختم النسر ؟ ونصدّق ما كتبه أستاذكم هو وزملاؤه (كده من غير

اعتماد !!) ؟ أليس من الجائز أنهم كذابون مدلسون يريدون أن يغرروا بنا ؟

• إن معظمهم شيوخ أجلاء ولولا أن يُتهموا بالتقاعس عن واجباتهم لما تقدم منهم أحد إلى لجانكم هذه التي تؤفونها بهذا الشكل المهين - بضم الميم - المذل (بضمها أيضا) ولا سيما أنهم يشاركون - كما هو حال من بعثني إليكم - في أعمال تلك اللجان منذ أربع عشرة سنة فيفحصون عشرة أبحاث في شهرين متتابعين أو يزيد مثلا ، ثم يتقاضون عن فحصها ثمانية وسبعين جنيها وثلاثة قريرش (وبعض الكليات تريح نفسها وتريح الفاحصين فلا ترسل هذا المبلغ أصلا خوفا على كبار الأساتذة من الفساد إذا ألهاهم التكاثر في مكافآت الفحص !!)

• ولكن الحق أحق أن يتبع ، والحق الذي لا يدانيه حق ، هو أن الأصل في المواطن في بلادنا أنه كذابٌ نصابٌ مفترٌ مزورٌ مدلسٌ غشاشٌ ، يُكنّ للحكومة كل بغض ويتربص بها الدوائر ويريد أن يأخذ ما ليس له فيه حق ، وخاتم النسر - وحده - هو الذي يميز الحق من الباطل ، وشهادة الكلب (البوايسي) مقدمة في المحاكم والتحقيقات [كما لا يخفى على فطنتكم] على شهادة المواطن ولو كان هذا المواطن شيخا جليلا من شيوخ الأزهر ، أو قساً كبيراً من جلة القساوسة .

• فماذا عن الذين سيرسلون سيرهم (ألكترونيا) ولا يرسلون نسخة ورقية ممهورة بخاتم النسر ؟

• هؤلاء سيظلون حيث هم مذبحيين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء إلى أن تُرسل سيرهم لجامعاتهم فترجع وتعود مزينة بالخاتم العزيز !!

نقل إلينا المواطن الصالح الذي بعثنا به إلى العاصمة بالأوراق هذا الحوار، الذي أثار في النفس كثيرا من الشجن، المتعلق بهذا المستوى المتدني من الفكر الذي لا أجد له وصفا أبلغ من وصف الراحل الفنان يوسف إدريس بأنه لون من (فقر الفكر) وله شواهد أخرى خذ منها مثلا :

- حين أثيرت مسألة (أن تبحث الجامعات لنفسها عن موارد ذاتية) لم تترجم جامعاتنا هذا المفهوم كما ينبغي أن تكون الترجمة، بحيث تلتحم كلياتها بالمجتمعات المجاورة لها، فتقدم استشارات العلمية وخدماتها البحثية وبرامجها التدريبية المتطورة لترتفع بوسائل الإنتاج كما هو الحال في كل الجامعات في الدول الأكثر تقدما، بل قعدت بجامعاتنا قدراتها الفقيرة، وتمخض فكر الفقر فيها عن أساليب بهلوانية لتنمية مواردها تصب كلها في خانة بائسة وحيدة هي (فقر الفكر)، فتبادلت عدم الاعتراف بشهادات التوظيف لتتخذ منه موردا ذاتيا،
- وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات عرضت قمصان نوم ومشدات أثناء نسائية بصور واضحة فاضحة مهينة لكرامة أية أنسة أو سيدة تريد الشراء، وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع خطوط الهواتف المحمولة، وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع البديل الرجالي الجاهزة، وقامت جامعات بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع أجهزة كهربية، أو دواجن، وغدا ستوجد جامعات تقوم بتأجير الحرم الجامعي لشركات تبيع الفياجرا وملخصات كتب الثانوية العامة وأنواع اللبان المثير وأحجبة الحصن الحصين.

- وقامت جامعات بالتفنن في امتصاص دماء آباء الطلاب بالمغالاة في أثمان الكتب ، أو بفرض تبرعات على كل - حتى !! - من يتشاءب من الطلاب !!.
- ومع ذلك فنحن إلى الأمام سائرين ، في ظل سيادة (الرؤية) و(التطوير) وستصرف الزيادات - لمن يريد - مشروطة بالولاء والخضوع وإلا فلا ، وإن رغمت أنوف أذعياء حرية الجامعات واستقلالها ، ومرضى حماية مجانية التعليم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

=====

حلاوة التطبيع !

تتصور الدولة العبرية شوقاً إلى تطبيع علاقاتها مع الدول العربية!! ولا يمكن أن نتصور أن الصهاينة ذوي الثقافة الغربية ذات العيون الخضراء والعيون العسلية، يهيمنون شوقاً بسواد العيون العربية، إحياءً لذكرى عبلة وعزة وبثينة اللواتي خبلن عقول شعرائنا القدامى فتركوا لنا هذا الشعر الخالد في العيون السود.

ولا يمكن أن نتصور أيضاً، أن الصهاينة ذوي الثقافة الغربية الرأسمالية رقت قلوبهم فجأة وخفقت جوارحهم بقيم الإحسان إلى الجار، والتصدق على المحتاجين من بني عمومتهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام).

بل لابد أن لإسرائيل في التطبيع مآرب أخرى غير سواد عيون العرب وإحسان العشرة معهم. وحتى نتعرف هذه المآرب دعونا نتصفح تاريخ التطبيع من خلال الحالة المصرية، باعتبار "مصر السادات" أول دولة قام نظامها الحاكم بالتطبيع مع الصهاينة ضمن صفقة اتفاقيات السلام التي وقعت بين البلدين عام ١٩٧٩ على خلفية اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ م.

وقد وَرَدَتْ كلمة التطبيع في العلاقات بين إسرائيل والعرب أول ما وردت من اللغة الإنجليزية. لتنتقل الكلمة إلى الوثائق ونصوص الاتفاقيات التي وقعت بين مصر وإسرائيل بقصد إقامة علاقات سياسية واقتصادية بين البلدين وإقامة مشروعات مشتركة، وبما أن مصر كانت في حالة حرب مع إسرائيل، ولم يكن بينهما علاقات سياسية من أي نوع؛ فإن التطبيع كان يهدف إلى إنشاء علاقات لم تكن قائمة أصلاً، وهو ما

يختلف في المعنى والدلالة عن التطبيع الذي يتضمن إعادة الشيء إلى أصله أو جعله طبيعياً.

في هذا السياق يبدو مفهوم التطبيع غير دقيق، بل ومضلل، فإذا كان القصد منه جعل الشيء طبيعياً، وإعادته إلى أصله فإن مصر والدول العربي لم يكن بينها وبين إسرائيل أي علاقة، وبالتالي يستحيل إعادة شيء لم يكن موجوداً أصلاً.

وإذا نظرنا لاستخدام مفهوم التطبيع في استعادة العلاقات بين الولايات المتحدة والحلفاء ودول المحور بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية نجده صحيحاً، ودلالته محددة فالولايات المتحدة والحلفاء كانت بينهم وبين دول المحور علاقات طبيعية سياسية واقتصادية وثقافية، ثم جاءت الحرب وأعلنت حالة الحرب، ومع انتهاء الحرب طرح مفهوم التطبيع كعملية قُصد منها استعادة العلاقات الطبيعية التي كانت قائمة أصلاً وتطويرها في مواجهة الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية.

إن عدم دقة مفهوم "التطبيع" ومخالفته لواقع وتاريخ العلاقة بين العرب وإسرائيل أثارت وما تزال جدلاً ونقاشاً حاداً حول مفهوم التطبيع وحدوده وأهدافه أو بالأحرى أهداف إسرائيل والمخاطر والفرض التي يتضمنها التطبيع كمفهوم وعملية، فالدول العربية لم تعترف بإسرائيل عادة قيامها عام ١٩٤٨، وقبل هذا التاريخ لم تعرف المنطقة كياناً سياسياً بهذا الاسم.

وقد دخلت إسرائيل في علاقات عداء وصراع مع الدول العربية، وظهرت في المخيلة العربية بصورة العدو المعتدي الذي يحرس المصالح الغربية في المنطقة. من هنا يصعب القول بأن المطلوب هو تطبيع على غرار ما حدث بين دول المحور والحلفاء بقيادة الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بل المطلوب هو إنشاء علاقات لم تكن موجودة

أصلاً وهي عملية صعبة ومعقدة للغاية نظراً لارتباط الصراع العربي الصهيوني بمفاهيم وقيم دينية وثقافية من الصعب تغييرها.

والرؤية الإسرائيلية للتطبيع تقوم على أساس تزوج الخبرة التكنولوجية اليهودية مع فائض رأس المال العربي والموارد العربية الوفيرة، بما فيها العنصر البشري؛ من أجل تحقيق تطور اقتصادي سريع ومكاسب مشتركة، وكانت النداءات الإسرائيلية من خلال قوى عالمية مؤثرة بإنشاء سوق شرق أوسطية هي أهم مشروعات التطبيع المنظمة التي سعت إسرائيل إلى إنجازها بهدف الاستفادة من العرب، وكانت إسرائيل تتبنى إقامة نظام اقتصادي شرق أوسطي جديد يتحدد عبر ثلاثة مستويات، ذكرها صلاح زكي أحمد (ملف البيان السياسي)، وهي:

- المستوى الأول: إقامة تجمع اقتصادي ثلاثي، يجمع بين الأردن والكيان الفلسطيني الواعد، وإسرائيل، على غرار الاتحاد الاقتصادي القائم بين "دول البينيوكس" الأوربية الثلاث ذات الأحجام الاقتصادية الصغيرة "بلجيكا، وهولندا، ولوكسمبورج"
- المستوى الثاني: إقامة منظمة للتبادل التجاري الحر تضم كلاً من: مصر، وإسرائيل، والكيان الفلسطيني، الأردن، سوريا، لبنان، على أن تنتهي الترتيبات الخاصة بها في حدود عام ٢٠١٠.
- المستوى الثالث: إقامة منطقة موسعة للتعاون الاقتصادي تشمل بالإضافة إلى منطقة التجارة الحرة بلدان مجلس التعاون الخليجي، تتم في إطارها ورفع التصور الإسرائيلي حرية انتقال رؤوس الأموال.

وضمن تلك التصورات تعد المستويات الثلاثة للتعاون الاقتصادي، مستويات متداخلة ومتربطة، يفضي الواحد منها إلى الآخر، وتعتبر المفاوضات متعددة الأطراف الجارية في سياق مشروع مدريد للتسوية – هي الآلية الفعالة لإقامة هذا النظام الشرق أوسطي الجديد من خلال سلسلة من الترتيبات الاقتصادية الإقليمية الجديدة، فكما هو معروف تغطي "المحادثات المتعددة الأطراف" عدداً من المجالات الحيوية، مثل: قضايا المياه، التنمية والتعاون الاقتصادي، البيئة، بالإضافة إلى الحد من التسلح، وقضية اللاجئين.

وسواء أكان المفهوم تطبيقاً أم شرقاً أوسطياً فإن المطلوب هو القبول العربي بوجود إسرائيل، والتعاون معها اقتصادياً وتجارياً في إطار فتح الحدود والتوقيع على اتفاقيات تنظيم كل ذلك.

وبعض النظر عن المخاوف والمحاذير من التطبيع أو الشرق أوسطية فقد ظهرت بعض المتغيرات الجديدة في مسار المواقف العربية من إسرائيل يمكن رصدها على النحو التالي:

- ١- اتساع قاعدة الصلح والقبول بإسرائيل، فقد وقعت منظمة التحرير اتفاقية الحكم الذاتي في أوسلو، ووقعت الأردن إعلان مبادئ بالسلام في واشنطن، كما تواصلت اجتماعات المفاوضات متعددة الأطراف والتي تناقش قضايا الأمن والحد من التسليح والمياه، والتعاون الاقتصادي واللاجئون والبيئة، وقد جرت بعض هذه الاجتماعات في عدة دول عربية مما يوسع بطريقة غير مباشرة من دائرة التطبيع.
- ٢- التركيز على مشروعات التعاون الاقتصادي والتجاري وفتح الحدود، وتبادل العلاقات الدبلوماسية في المفاوضات العربية – الإسرائيلية، حيث تطرح

إسرائيل بدعم أمريكي فكرة التطبيع أولاً، وهو ما يعني إقامة علاقات طبيعية قبل الاتفاق على الانسحاب من الأراضي الأردنية والجولان وجنوب لبنان، وقد برزت فكرة التطبيع أولاً في إعلان واشنطن بين الأردن وإسرائيل حيث اتفق الطرفان على عدة مشروعات دون أن يتفقا على الانسحاب من الأراضي التي تحتلها إسرائيل، وكذلك تضغط إسرائيل على سوريا للقبول بالتطبيع قبل الانسحاب من الجولان.

٣- اختلاف وتيرة التطبيع ومستوياته ووجود فجوة كبيرة بين الموقف الرسمي والشعبي للدولة إلى القبول الرسمي بالتعامل مع إسرائيل، والرفض الشعبي بالتعامل مع إسرائيل، فمن الملاحظ أن التطبيع الرسمي إذا جاز القول يتقدم بكثير عن التطبيع الشعبي، ففي مصر والأردن والمغرب تقدم ملحوظ على المستويات الرسمية لا يتواكب معه تطبيع شعبي.

حلاوة التطبيع :

- في مارس ١٩٨٠ توصلت لجنة مشتركة تألفت بين البلدين : مصر وإسرائيل لتفعيل ما تم الاتفاق عليه بين السادات وبيجين من ضرورة "تطبيع العلاقات" وتدارست اللجنة مسألة تشجيع السياحة وانتهت إلى السماح للصهاينة ذوي السيارات الخاصة بدخول مصر عبر ممر رفح البري شريطة أن يثبتوا حيازتهم لمبلغ مائة جنيه مصري لدى نقطة العبور، ثم بعد ذلك فتح خط جوي للملاحة الجوية بين البلدين. بدأ نشاطه برحلتين أسبوعياً وازداد تدريجياً إلى أربع رحلات . وواكب ذلك افتتاح خط لشركة الطيران الصهيونية (العال) واتخاذها مكتباً لها بالقاهرة. ثم تسارعت وتيرة التطبيع السياحي، فتم فتح خط للنقل البري بين

شركة أتوبيس الدلتا المصرية وشركة (أجل) الصهيونية بواقع ٨ رحلات أسبوعياً بين القاهرة وتل أبيب.

- ومن بين مئات الشركات التي تعمل في مجال السياحة في مصر، قبلت سبع شركات فقط العمل مع الصهاينة بتنظيم رحلات بين مصر وإسرائيل، وقد قاطعت غالبية الدول العربية آنذاك تلك الشركات السبع ومنعتها من تنظيم رحلات إليها. فأعدقت عليها الأموال من الحكومتين المصري والإسرائيلية لتعويضها عن هذه المقاطعة العربية. غير أن التحقيقات في حادث أتوبيس سياحي قتل فيه ١١ يهودياً عام ١٩٩٠م كشف فيما بعد عن تلاعب صهيوني دائم بتلك الشركات السبع، حيث تبين أن إسرائيل تقدم للشركات بيانات مغلوطة عن الوفود السياحية والأماكن التي تقصدها في مصر وتتذرع بالدواعي الأمنية حيث إن بعض الشخصيات الإسرائيلية الهامة تختفي بأسماء مجهولة وسط هذه الوفود السياحية العادية.

ثمار التطبيع الشهية !! :

- وفي تقرير نشرته مجلة المجلة في عددها رقم ٥٢٣ الصادر في ٢٠/٢/١٩٩٠م تم الكشف عن عدد من القضايا والجرائم التي تورط فيها سياح إسرائيليون منها:
- شبكة إسرائيلية تم ضبطها قبل بضعة شهور ضمن وفد سياحي تتكون من ١١ فرداً كان بحوزتهم مليوناً دولار مزيفة وقد اعترف المقبوض عليهم في التحقيقات بأنهم يعملون ضمن شبكة تهريب دولية مركزها تل أبيب ويتزعمها أحد قادة الجيش الإسرائيلي السابقين ويدعى رفائيل منشأة. كما اعترفوا أنهم تمكنوا من الدخول إلى مصر بدولارات مزيفة عدة مرات ضمن الأفواج السياحية.

- سجلت ٨٠ قضية تهريب وترويج عملات مزيفة من فئة المائة دولار مهربة من تل أبيب إلى مصر عبر أفراد وينظر فيها أما القضاء المصري.
- وإلى جانب شبكات تهريب الدولارات المزيفة هناك شبكات تهريب الهيرين وأخطرها ضبط في منتصف العام الماضي أثناء تهريب الهيرين في معجون الأسنان وأعضاؤها بعض العاملين في المركز الأكاديمي الإسرائيلي ويبلغ عددهم ٥ أفراد وكان قد تم اتهامهم قبل ذلك ضمن شبكة التجسس الإسرائيلية في القاهرة التي كان يتزعمها الملحق العسكري الإسرائيلي السابق والذي طرده السلطات المصرية بالإضافة إلى اثنين من الأمريكيين كانوا يعملون في هيئة المعونة الأمريكية في مصر وشخص سويدي مقيم في القاهرة وموظف مدني سابق بوزارة الدفاع المصرية.
- وهناك شبكات أخرى لتهريب الآثار والقيام بأعمال تجسس في مصر حضر أفرادها ضمن أحد الأفواج السياحية الرسمية في إسرائيل وضبطت أجهزة الأمن المصرية مجموعة من الآثار الصغيرة وأحجاراً كريمة مع مجموعة من الحاخامات اليهود أتوا إلى مصر في أوائل العام الماضي لزيارة المعابد اليهودية.
- كذلك كشفت أجهزة المخابرات العامة في مصر في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ عن شبكة تجسس مكونة من بعض الإسرائيليين داخل أحد فنادق القاهرة في ميدان الحجاز بمصر الجديدة وهي تقوم بعملية جمع وتجهيز المعلومات.
- كشفت شبكات للدعارة الإسرائيلية في مصر كان آخرها خلال شهر يوليو (آب) الماضي في مدينة الإسماعيلية وحي المهندسين بالقاهرة.

وفي ضوء هذا، نستطيع الآن أن نفهم سر ولاح إسرائيل بتطبيع علاقاتها مع العرب فهي تدرك مدى حاجتهم إلى الجنس والمخدرات ومدى استعدادهم لترويج العملات المزورة ومدى استعداد "بعضهم" من ضعاف النفوس للعمل كجواسيس لمصلحة الصهيونية. فالتطبيع سيوفر لإسرائيل أسواقاً لنشاطاتها (التميزة) التي لا تستطيع ممارستها بنفس الدرجة من الحرية في المجتمعات العربية اليقظة.

=====

جامعات تعلقو وجامعات تتهاوى !!

"إن العلم سلاح إسرائيل الجبار الذي يجب أن يستغل ببراعة ومهارة وبكل وسيلة متوفرة لنا" هذه الكلمات منسوبة لـ "حاييم وإيزمان" أول رئيس لدولة إسرائيل وعالم الكيمياء والبارز في ذات الوقت والذي وضع الأسس الأولى لسياسات إسرائيل فيما يتعلق بالنظام الأكاديمي الإسرائيلي والبحث العلمي وقد أنصبت جهود القيادات الإسرائيلية منذ قيام الدولة على إنشاء مؤسسات علمية متينة الركائز تحكمها قواعد علمية صارمة وكفلوا لها كل فرص النجاح اعتماداً على التقاليد العلمية الرصينة من جهة وعلى ما توفرت لهم من فرص الاحتكاك بالمجتمعات العلمية الغربية المتقدمة في أوروبا والولايات المتحدة وكذلك في الاتحاد السوفيتي السابقة وساعدهم في النجاح في هذه المهمة استفادتهم من العلماء اليهود في الجامعات الأوروبية والأمريكية والسوفيتية الذين هاجروا إلى الدولة الصهيونية حيث تشير بعض الدراسات الأكاديمية إلى أن نسبة العلماء المهاجرين إلى إسرائيل بلغت ٣٣٪ من إجمالي مجموع المهاجرين عام ١٩٦٨ وأن نسبة الكفاءات الأوروبية تساوي ٦٥٪ من أساتذة الجامعة العبرية وكان الاتحاد السوفيتي هو النموذج الصارخ لهجرة الكفاءات العلمية لإسرائيل وفي تقرير نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ٨/٥/٢٠٠٠ يذكر كاتبه أن عدد المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق والمعسكر الاشتراكي بعد انهيارهما إلى إسرائيل منذ نهاي الثمانينات وحتى عام ٢٠٠٠ بلغ حوالي مليون يهودي وتميزت هذه الموجة الجديدة من الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بأنها هجرة نوعية "تمثل قطاعات رقيقة التعليم متميزة الدراسة نكر أن ربع مليون منهم على الأقل من حاملي الدرجات العلمية في الطب والهندسة والتكنولوجيا ومنهم عدد يتراوح

بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عالم حاصل على شهادة الدكتوراه وطبقا لتصريحات وزير الاستيعاب الإسرائيلي وصحيفة الحياة اللندنية ١٦/١/١٩٩٦م، فإن تأثير الهجرة لإسرائيل كان بمثابة المعجزة إذ اتاح لنا تشكيل رأس مل بشري خارق، وأضاف أنه.. من بين القادمين ٥٨ ألف مهندس و١٠ آلاف باحث علمي و١٤ ألف طبي وعلى الرقم من أن بعضهم أضطر إلى القبول بوظيفة تقل عن مؤهلاته بسبب عدم توافر وظائف في مجال اختصاصه. فإن المستوى العلمي لهؤلاء يفوق بكثير مستوى الإسرائيليين الأصلي". ولم تكنف إسرائيل باعتصار ينبوع الهجرة من الاتحاد السوفيتي السابق فقط بل اتجهت أنظارها نحو لولايات المتحدة وأوربا لاجتذاب علمائها من الشباب ودفهم لترك بلدانهم والهجرة إليها بسيل من الإغراءات ووسائل الترغيب لجعلها " هجرة اختيار" لا "هجرة اضطرار".

وحسب كرم سعيد (مختارات إسرائيلية - ١٢٨٤ أغسطس ٢٠٠٥) فإن إسرائيل تحتل المكانة الأولى في العالم من حيث العدد النسبي لحاملي الشهادات العليا في العلوم الطبيعية من مجموع السكان وإذا عقدنا مقارنة بسيطة بين إسرائيل والدول العربية فيما يختص بالبحث العلمي نجد أن نسبة العلماء والتقنيين في إسرائيل ٧٦٠ لكل ١٠٠٠٠٠ شخص عام ٢٠٠٠ مقابل ٤٥٠ لكل ١٠٠٠٠٠ شخص في مصر و١٢٥ لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة في تونس كما يصل حجم الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل ٢,٤٪ من إجمالي الناتج القومي مقابل ٢٪ في بريطانيا أما متوسط الإنفاق في الدول العربية - حسب تقرير منظمة العمل العربية لعام ٢٠٠٤) يصل إلى ٢ في الألف من الناتج المحلي. ويعتبار النشر العلمي واحداً من أهم المقاييس المستخدمة لتقدير مستوى الإنتاج العلمي لدولة ما واعتماداً على بيانات معهد ISI ومقره فيلاد يلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تم فهرسة المجالات العلمية التي يبلغ تعدادها ٣٥٠٠ مطوعة مصنعة في ثمانية فروع وقد اتضح من تحليل هذه

البيانات أن النشر العلمي للباحثين والعلماء الإسرائيليين حقق ما نسبته ١٪ من البحوث المنشورة في العالم حيث بلغ ١٠٢٠٦ بحوثاً إسرائيلية منشورة عام ١٩٩٥ في حين لغ إجمالي البحوث المنشورة للباحثين والعلماء العرب في العام نفسه ٦٦٥٢ بحثاً والغالبية العظمى من هذه الأبحاث العربية ليست على المستوى الأكثر اعتباراً علمياً هذا ما أكدته أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في الرياض في إبريل ١٩٩٩، ووفقاً لإحصاءات معهد ISI في عام ٢٠٠٣ فإن وفق معيار عدد العلماء الذين ينشرون بحوثاً مقارنة بعدد السكان فقد أظهر أن إسرائيل تيوأ المكانة الأولى بنسبة ١١,٧ لكل ١٠٠,٠٠٠ وتسبق كل من الولايات المتحدة ومعدلها ١٠ وإنجلترا ومعدلها ٤,٨٪.

وإذا راودنا الشك في مدى نزّهة الإحصائيات التي يصدرها معهد ISI الأمريكي فلننتقل إلى الدراسة التي أجرتها جامعة جياوتونج الصينية العام الماضي ٢٠٠٥ والتي صنفت الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جميع دول العالم وفق خمس معايير أكاديمية تعتمد بشكل رئيسي على الإنجازات العلمية والبحوث المنشورة في مجلات محكمة وعدد الاقتباسات المرجعية منها والجوائز العلمية ونوعية البرامج وغير ذلك من عناصر التعليم الجامعي والبحث العلمي ويتم ترتيب الجامعات وفق ما تسجله من نقاط في جدول يضم أرقى ٥٠٠ جامعة ومؤسسة تعليمية على مستوى العالم إضافة إلى تصنيفات إقليمية مثل أرقى ١٠٠ جامعة أوربية و١٠٠ جامعة آسيوية إلخ وأشارت الدراسة إلى ورود الجامعة العبرية بالقدس في الترتيب ٩٠ وجامعة تل أبيب رقم ١٠١ ومعهد وايزمان ١٠٥ وثلاث جامعات أخرى في المائتين الثالثة والرابعة واحتلت إسرائيل المرتبة ١٢ في الترتيب العالمي للدول وفي الترتيب الآسيوي جاءت الجامعة العبرية في الترتيب

السابع واحتلت جامعة تل أبيب الترتيب التاسع ومعهد وايزمان في الترتيب ١٨ وجامعة بارايلان ٣٨ ومعهد التحتيون ٢٢ وجامعة بن جوريون ٣٩ واحتلت إسرائيل المرتبة الثانية من بين الدول الآسيوية بعدا ليابان أما الجامعة العربية التي يبلغ عددها ١٨٤ جامعة فلم يرد ذكرها على الإطلاق! أما من حيث مصداقية ونزاهة فيكفي أن نتوقف عند الحقائق التالية:-

١- الجامعة الصينية التي قامت بالدراسة جاء ترتيبها في موقع متأخر من

القائمة (٤٠٤) ولا تتضمن القائمة أي جامعة صينية في المائة الأولى منها.

٢- الصين كبلد جاء في الترتيب التاسع عشر من القائمة وما لا يتناسب مع امكاناته العلمية والبشرية.

٣- جامعة تايوان الوطنية جاء ترتيبها في المرتبة ١٥٣ مثل أي جامعة صينية والكل يعرف حساسية الصين دولة وشعباً تجاه تايوان.

وبالنسبة لنا كعرب لا توجد مصلحة للجامعة الصينية في عدم ذكر أي جامعة عربية في القائمة كما أنها ليست صاحبة مصلحة في تعظيم التوافق الإسرائيلي دون وجود ما يدعوا لذلك.

الجيش الإسرائيلي كان هو الحاضن الأكبر وكذل المستفيد الأكبر للطفرة العلمية في إسرائيل وربط قادة إسرائيل دوماً بين العلم والتكنولوجيا والتفوق العسكري الإسرائيلي على البلدان العربية ويقول البروفيسور جادى أريفا أحد أساتذة جامعة تل أبيب في هذا الصدد: "إذا أردت أن نفهم صناعات التقنية العالية في إسرائيل ، عليك أن تبدأ بفهم الجيش". ومنذ عام ١٩٤٨ أنشئ في صفوف الجيش الإسرائيلي فرعاً باسم "سلاح العلوم" تحول بعد ذلك إلى "قسم البحث والتخطيط" التابع لوزارة الدفاع وهو ما يطلق عليه الاسم

اسم "هيئة تطوير الوسائل القتالية" المعروف اختصاراً باسم "رفائيل" وقد تحدد مهمة "رفائيل" في تطوير وسائل قتالية جديدة عن طريق التكنولوجيا المتقدمة جداً وللعاملين بها صفة موظفي الحكومة وإن كانوا يتمتعون بامتيازات العاملين في حقول البحث العلمي بمعاهد التعليمي العالي وفي عام ١٩٨٣ كان يعمل بها نحو ستة آلاف موظف معظمهم من الفنيين رفيعي المستوى وقد لعبت هذه الوحدة دوراً هاماً في تطوير الصواريخ "أرض-أرض" والصواريخ "أرض-جو" من طراز "شافيت" كذلك في تطوير نظم التوجيه ونظم الحرب الإلكترونية والصواريخ "جو-جو" وأجهزة الكمبيوتر المرتبطة بالتطبيقات العسكرية والقنابل الذكية كما لعبت "رفائيل" دوراً بارزاً في تطوير برنامج الصواريخ البحرية "غابريل" شطح-شطح" ويكفي أن نعرف- وحسب الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية عام ١٩٨٠ أن أكثر من ٧٦٪ من إجمالي الإنفاق القومي المخصص للبحث العلمي إلى الأبحاث العسكرية أو تلك المرتبطة بالأمن القومي وهذه النسبة هي الأعلى في العالم فيما يتعلق بمعدلات الإنفاق على البحوث العسكرية إذا ما قورنت بدول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرى أحمد بها الدين شعبان (إسرائيل من الداخل - أعمال المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية - القاهرة ٢٨ - ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢) أن مجال الكمبيوتر وصناعة المعلومات من أكثر المجالات نجاحاً في إسرائيل ضمن حقول البحث العلمي المختلفة وحسب مجلة "واير" الأمريكية المتخصصة في شؤون المعلوماتية وتقنيات الكمبيوتر فإن إسرائيل حازت المركز الرابع من حيث التأثير على صناعة المعلوماتية في العالم كما يوجد في إسرائيل أكثر من نصف عدد وصلات الانترنت في منطقة الشرق الأوسط ونقلا عن مجلة نيوزنيك الأمريكية ذائعة الصيت فإن "إسرائيل هي الجهة العالمية

الوحيدة المؤهلة لمنافسة وادي السليكون" بكاليفورنيا في مجال صناعة أجهزة الكمبيوتر وتطور هذه الصناعة، وتصنف إسرائيل في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث عدد الشركات الجديدة ذات الصلة بالكمبيوتر، التي انتشرت في عقد التسعينيات الماضي". ومثلت إسرائيل بما امتلكته من بنية أساسية جيدة وكوادر مهنية عالية التأهيل وبما طرحته من ميزات استثمارية مغرية منطقة جذب ضخمة لكبريات الشركات العاملة في جال تكنولوجيا المعلومات ومن أبرزها.

- شركة **IBM**: التي أنشأت واحداً من أهم مراكزها (المحدودة) في الخارج بإسرائيل عام ١٩٧٤.

- شركة **Microsoft**: عملاق شركات البرامج العالمية التي أنشأت فرعها عام ١٩٨٩ Microsoft - Israel.

- شركة هيويت - باكارد H-P أنشأت منها إسرائيل أيضا في أواخر الثمانينات من القرن الماضي.

- شركة **Motorolla**: يعتبر فرع إسرائيل من أقدم الفرع الأجنبية للشركة حيث تأسس عام ١٩٦٤ وصدر منذ ١٩٩٥ وحتى ١٩٩٩ بحوالي ٦٠٠ مليون دولار.

- شركة **Intel**: ومصنعا في إسرائيل يمثل أكبر مصانع الشركة خارج الولايات المتحدة وينتج فيه معالج "بنتيوم - ٤".

- لعلنا ندر الآن لماذا يصرتقرير اليونسكو "العلم في العالم" الصادر عام ١٩٩٦ على أن الجامع العبرية بالقدس تتفوق على ما تنجزه الجامعات العربية مجتمعة فيما يتعلق بنشر الأبحاث العلمية.

=====

" تعقيم " التعليم !!

= هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد الفصول الدراسية التي تضم ستين تلميذا ومساحات الغرف التي يدرسون بها وحالتها من حيث التهوية والتدفئة والإضاءة ؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد المدارس التي تعمل فترتين ، وتلك التي تعمل ثلاث فترات؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد المعلمين الذين يعانون من حالات صحية تبلغ حد العجز وما تزال القوانين تلزمهم المواظبة وممارسة المهنة - على الورق - في مدارسهم؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد مئات الآلاف من الجنيهاً التي صرفت كمكافآت وأجور وحوافز لثلة معينة تحيط بكل من الوزيرين؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد المرات التي قام فيها أي أستاذ أو باحث مصري في أي من تلك المؤسسات البحثية التابعة للوزارة بدراسة ميدانية حقيقية حول وضع من الأوضاع السابقة أو ما يشابهها؟ ويرينا كيف استعانت الوزارة بنتائج دراسته في حل مشكلة بعينها؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقا بها) بعدد التلاميذ الذين انقطعوا عن الدراسة لعدم قدرة أسرهم ماديا على مواجهة مصروفات التعليم؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقاً بها) بعدد موظفي وزارة التعليم العالي الذين يتقاضون (إكراميات!!!!!!) من مستشفيات جامعية تابعة لوزارتهم؟ ومن معاهد عليا خاصة تابعة لوزارتهم؟ أو أولئك الذين عينوا نوبهم في تلك المعاهد الخاصة (ولو على الورق) لتسويغ نقاضي ال..... إكراميات!!!؟

= وهل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقاً بها) بعدد النواب والوزراء وكبار المسؤولين الذين يستصدرون الترخيص التجارية والتوكيلات بأسماء زوجاتهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتهم اللاتي خلفنهم؟ وحلائل أبنائهم؟

إلى هؤلاء وهؤلاء أقدم النص الآتي المقتبس من افتتاحية صحيفة هاآرتس

الصهيونية يوم ٢٠٠٧/١١/٥ :

[واجه المدرسون المتظاهرون منذ أكثر من ثلاثة أسابيع في مفترقات الطرق الرئيسية في أنحاء البلاد والذين يحتجون على وضع التعليم - واجهوا ظاهرة جديدة في الفترة الأخيرة، ألا وهي انضمام أولياء أمور وطلاب وغيرهم كثيرون إليهم، والإعراب عن التضامن معهم.

صحيح أن بداية الاحتجاج كانت في الإضراب الذي اندلع في العاشر من أكتوبر إلا أنه يشمل الآن جمهوراً غفيراً ومتنوعاً. حتى الآن شارك آلاف عديدة في عمليات الاحتجاج التي لم تعد تتركز فقط في التظاهر ضد سياسة الحكومة في التعليم، وإنما تأخذ طابع النقاش العمق حول وضع الهيئة التعليمية ووضع المدرسين في إسرائيل.

يبرز الأمر بوجه خاص في المخيم الذي أقيم في "حديقة الورد" أمام الكنيسة والذي يتركز فيه جانب كبير من الاحتجاج في القدس. يملأ مدرسون المخيم بالتناوب حيث

يلقون درسا حول التضامن العمالي والمواطنة. ويجري نقاشات وأعية حول التعليم.. صحيح أن الأمر يتعلق بنتيجة جانبية للوهلة الأولى للإضراب. لكنها في حقيقة الأمر مهمة للغاية: فهذه هي المرة الأولى، منذ فترة كبيرة التي يجري فيها في إسرائيل حوار "تربوي - قيمي" حول غايات التعليم، وحول طرق تحقيقها، وحول صعوبة التعليم في فصول تضم ٤٠ تلميذا، وحول تأثير الاستقطاعات المالية الكبيرة على الساعات التدريسية في السنوات الماضية، وكذلك حول وضع المدرس.

تجرى عمليات احتجاجية مماثلة في أماكن أخرى هي، في معظمها، ثمرة مبادرة محلية من المدرسين وأولياء الأمور على السواء، مما لاشك فيه أن الإضراب كشف عن عدم ارتياح للحالة التي وصلت لها الهيئة التعليمية. ويبدو أيضا أن الجمهور يعي أن الأمر لا يتعلق فقط بكفاح نقابة مهنية من أجل الأجور وإنما القضية المحورية في هذا الكفاح تتعلق بالمجتمع كله.

وعلى خلاف تخوفات مسئولين كبار في وزارتي المالية والتعليم، فإن الاحتجاج ليس موجهاً من فوق. صحيح أن نقابة مدرسي المرحلتين الإعدادية والثانوية تحاول التنسيق بين العمليات، لكنها لا تهيمن عليها ولا تملّي جوهرها، غير ذلك، لا يتربد المدرسون الذين ينظمون الاحتجاج في أنحاء البلاد في انتقاد كبار مسئولّي النقابة، ويبدو أنهم سيردون حتى بحدة إذا هم أبدوا استعداداً للننازل عن مطالب من قبيل تقليص عدد التلاميذ في الفصول.. الحقيقة أن مسئولّي النقابة يدركون ذلك، ولذا تعهدوا علنا بالألا يقبلوا أي اقتراح لا يتضمن اهتماماً بمطالب تقليل عدد التلاميذ وإعادة الساعات التدريسية.

حتى الآن ترفض الحكومة التعهد بذلك، رغم أن إضراب المدرسين في المدارس الثانوية، وفي جزء من المدارس الإعدادية، دخل أسبوعه الرابع، واستمراره منوط بقدر كبير

بقرار محكمة العدل. ومهما يكن قرارها، فإن النتيجة البديهية للإضراب هي تفجر الحوار العام حول التعليم اللائق.

ولكي ينتهي الإضراب، فإنه يتعين أيضا على وزيرتي المالية والتعليم أن تعترفا بأن الأمر لم يعد يتعلق بكفاح حول زيادة في الأجر. لقد فهم الجمهور أن الهيئة التعليمية غارقة في أزمة عميقة تفوق قضية النسب التي ستضاف إلى أجور المدرسين. [وبعد قراءة هذا النص : هل يستطيع أحد في مصر أن يقدم لنا إحصائية (دقيقة وصحيحة وموثوقة بها) بعدد من يهتمهم أمر المقارنة بيننا وبين الصهاينة في شأن التعليم؟ إنهم يتظاهرون من أجل تخفيض عدد التلاميذ عن أربعين تلميذا !!! وأنا أعرف مدارس (يتكوم) فيها ستون تلميذا في غرف ليست معدة لتكون فصولا بل لتكون مخازن!! ومع ذلك فإن معدل إنشاء المدارس الجديدة في تراجع مخيف من جاءنا عاطف ومن بعده نظيف . إن تعليم الصهاينة (بهذا الوعي الجماهيري وبهذا الحس الحكومي الذي لديهم) سيظل ولونا ودونا وستنبوأ جامعاتهم المراكز الأولى بأي مقاييس عالمية كما حدث عام ٢٠٠٣، وسيظل تعليمنا (بهذه الغفلة الجماهيرية وبهذا التبدل والغباء الحكومي المتوطن) عقيما..عقيما ... عقيما !!!
فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك .

=====

بِم...!!

كلمة (بِم) بكسر الباء وسكون الميم ، تشيع في العامية المصرية ولا سيما في قواهم (ما حدش يقدر يقول بِم !!) ودلالاتها قريبة من دلالة (تلت التلاتة كام ؟) في قواهم (ما حدش قادر يقول تلت التلاتة كام ؟) وتنحصر هذه الدلالة في عجز (أو صمت أو نفاق) من يشعر بالغبن أو بالقهر أو بمجاورة الحد عن مواجهة من يقهره أو يغبنه أو يتجاوز حدوده . عجز خاص : ينم عن خوف شديد ، أو صمت ينم عن قهر شديد ، أو نفاق ينم عن ضعف شديد .

وأيا ما كان الحال، فإن النتيجة واحدة : يزداد الطاعني طغيانا ، ويظن نفسه ملهما قديسا لا يخطئ ، لأنه لا أحد يعارضه ، ويزداد الضعيف ضعفا ، والمقهور قهرا ، ويظن نفسه مبتلى

ويبشره علماء الطغيان بأن الابتلاء لون من الاجتباء ، وكلما تمادى في صبره على الابتلاء اقترب أكثر من أبواب الجنة وازداد حظه من الحور العين ، لأن الصبر على الابتلاء لا حدود لما وراءه من مثوية .

ومن هنا تروج بين الدهماء أفكار التبعية والولاء والصبر على البلاء والسمع والطاعة لأي " بتاع أو بتاعة " ، ويصبح الحق غريبا ، والمطالب به عجيبا ، ولو أكثر المطالبون فسيظلون دائما في خانة التمرد لأنهم [.. شردمة قليلون] ويصبح قول (بِم ...) مؤثرا على الخرج ، وتهديدا لاستقرار تجار الآثار وأصحاب البرج ، وإيدانا بخروج يأجوج ومأجوج .!!

وفي أوائل شهر أبريل من عام ٢٠٠٨ [بَمِم] بعض الفتيان والفتيات بحواسيبهم ومحمولاتهم ، وتنادوا بلزوم البيوت ، وعدم الخرج ، حتى لا يُثَمَّوا ب"الخرج" ، وتكاثر

قول (بم) على مواقع الشباب ، حتى أقلقت (بمهم) تلك كبريات الأسماء والألقاب فاهتزت لطنين تلك ال (بم) الرقيقة عرش محافظين فطارت في الهواء ، ومادت مقاعد رتب كبيرة فغاصت في الماء ، وعاد الشباب إلى عبثهم بحوا سيدهم ومحمولاتهم لاهين ضاحكين بعد أن استهوتهم اللعبة ونوروا تكرارها ليستمتعوا برؤية العيون الراقصة المتربصة وهي تبدو على الشاشات متلصصة ، وليستمتعوا برؤية الكريش والمؤخرات المملأى وهي في المقاعد- أمام حسنات المذيعات - غائصة، وليروا أقدام الكبار تختل حين يمشون وكلماتهم تتقاطع وتتلوى حين يتكلمون فلا يكادون يُبينون عما يشعرون .

ولعل الشباب ضحكوا وأسرفوا في ضحكهم حين انتهى إليهم نبأ تجزئة بعض المحافظات ، و" تلوية " بعض المحافظين ، ثم بعدما استبان لذوي الشأن أن تلك التجزئة جاءت ضيزى فعدلوا عنها ، وعدلوا مسرعين ليتبين للناس ألا دراسة علمية سبقت تلك التجزئة التي أعقبت " انتخابات " المحليات ، فأوجبت - أي التجزئة - إما تقسيم الأعضاء أو اختيار غيرهم .

ولعل الشباب ضحكوا وأسرفوا في ضحكهم حين رأوا أن تلك ال (بم) الصغيرة التي يكتبونها في منتدياتهم آناء الليل وأطراف النهار ويلهون بها لينسوا ما هم فيه من هم بالليل ومذلة بالنهار ، وبطالة بين الليل والنهار ، تحرك جيوشاً ، وتبدل عريشا ، وتهز كريشاً فأسروا تكرارها يلهون بها ويرون فيها مغازنةً لحكومة لا تعرف عنهم إلا أنهم - وإن تكاثرت عددهم - [....شرذمة قليلون] " صائعون " لم تعرف التربية الحق طريقا إلى نفوسهم القلقة

ولكن الحق الذي لا شك فيه أن هؤلاء (العيال) لن يكفوا عن عبثهم بحوا سيدهم ولا عن تلاعبهم بمحمولاتهم ، ولن يصح أن يلعبوا بنا كما يحلو لهم .. فهل تتركهم هكذا

يتمادون في غيهم؟ ونفكك لهم المحافظات فلا يقنعون؟ ونطيّر لهم رؤوس المحافظين فلا يكتفون؟ الحق أن هذه لعبة خطيرة شديدة الخطر. ولا يصح أن يسكت وزير التعليم غير العالي بل يجب عليه أن يحدّ ويكدّ في عقد المؤتمرات و"مأمرة" المنعقدات وأن يغيّر أرقام الجلوس وأرقام القيام وأرقام الركوع حتى ينتهي الموضوع فلن تسلم الجرّة في كل مرّة والحمد لله أنها طالت المحافظين ولم تنل من الوزراء نيّلا.

ولا يصح أن يسكت وزير التعليم العالي بل يجب عليه أن يتخير من أولئك الشبان فريقا يدفع بهم إلى معسكرات إعداد "القادة" التي يقطع لها من ميزانيات الجامعات ملايين ينفقها على (شردمة منتفعين) بلا أي طائل، وليطلب منهم - هذه المرّة - أن يجعلوا لأولئك الشبان نصيبا من كعكة المشروعات وتنمية القدرات وقدرة التنميات. حتى يبعثوا أولادهم إلى فرنسا ليتعلموا بمئات الآلاف من الفرنكات - كما يفعل معاليه - من مرتبه!!! فيعودوا شبابا هادئا لا يقولون لشيء (بم).

ولا يصح أن يسكت وزير الأوقاف بل يجب عليه أن يأمر وعاظه وخطباءه أن يوجّهوا الشباب المتفيس (= مرتادي ال FACE BOOK) إلى أن الدنيا زئلة وأن خير ما فيها هو العمل الصالح الباقي. أفلا ينظرون إلى الوزير كيف دفع بأموال ومفّها أصحابها على أعمال البر ليسهم بها في تعمير توشكى؟ وهل هناك برّ أبرّ من توشكى في هذه الدنيا الفانية الزئلة؟ أفلا ينظرون إلى معاليه ينفق عشرات الملايين على الرسيفرات ليؤنن للقااهرة كلها مؤنن واحد حتى يأمن أهلها من الضجيج والضوضاء التي لا مصدر لها إلا تعدد الأذان؟ ولعل الشباب يسمعون لمعاليه فيقتدون ويتأثرون ولعلمهم لا يسرفون على معاليه في هذه الورطة الرسيفرية التي دهمته من حيث لا يحتسب حين تقسمت القاهرة إلى محافظات ثلاث، أفىكون توقيت ٦ أكتوبر هو ذاته توقيت عزبة النخل؟

ولا يصح أن يسكت علماء التليفزيون الرسمي الذين لا يشاهدهم إلا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عليهم العمل بالتسجيل والإضاءة وما إليها فهم يسمعونهم - أثناء التسجيل - مُكْرَهِينَ - [مع أنهم يعلمون ألا إكراه في الدين] فعلى هؤلاء العلماء الأفاضل أن يبصِّروا هؤلاء الشبان بأن قول (بم) قد يرتفع بقائله من مستوى "المكروه" إلى مستوى "الحرام" فعليهم أن يتوبوا إلى ربهم ، ويحطوا تلك الحواسيب وأجهزة المحمول لأنها من البدع ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة دلالة ، فهي تدل - إذا أسرفوا على أنفسهم وعلى قومهم في استعمالها - على أنهم [... شرذمة قليلون] لإيران منتمون، وبـ "روسيا" معجبون، ومن حماس ممؤون وإلى جهنم مصيرهم لو كانوا يعلمون.

فيا أيها الشبان : توبوا وتوبوا، الصبر على الابتلاء من علامات الإيمان . وقول (بم) عيب على من كان في مثل ثقافتكم الرفيعة التي لولا فضل الله وكرم وزير التعليم العالي وسخاؤه مع الجامعات ما ظفرتم بها يوم كنتم تدرسون .

=====

بالتربية لا بالقانون !!

زفت إلينا القنوات الفضائية تقارير دولية حديثة تؤكد أن مصر تحظى بمكانة دولية رفيعة فهي – وحدها – تختص بالثلث أي بنحو ٣٠٪ من ضحايا الطرق على مستوى العالم !! ولعل هذا التمييز يعوضنا عن الهزائم النكراء في بقية ميادين الحياة، وخرجنا من المنافسات الدولية في أي مضمارة.

والغريب أن حكومتنا الإلكترونية توظف كل كوارثنا لجباية الأموال، فكل تشريع يصدر يندر أن يكون وراءه هدف إلا (تنفيض) جيوب المطحونين، ومن أبشع ما صدر هذا العام قانون المرور، فمنذ صدوره تزايدت حوادث الطرق وتضاعفت أعداد الضحايا. والحل في قضايا المرور والتحرش والنشل والتثبيت والسطو وغيرها من جرائم الشارع لا يكون أبداً بالتشريع، بل يكون بالتربية، ووجود القدوات الصالحة في كل المواقع

ولقد أنزل الله تعالى كتابه العزيز ليكون هادياً للمؤمنين، ودستوراً شاملاً لحياتهم ونبراساً يسترشدون بنور هديه فيستقيم سلوكهم وفق الشرع الحنيف، ولذلك لم يفرط ربنا عز جابه في شيء كما قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } [الأنعام / ٣٨]

وإذا جهد العلماء –بشتى تخصصاتهم– في تدبر القرآن الكريم فسيجدون لكل مشكلة حلاً، ولكل أزمة سبيلاً، ولكل مأزق مخرجاً. والتربويون على وجه الخصوص مطالبون أكثر من غيرهم بتدبر القرآن، والنظر في أسراره، بحكم كونهم معنيين بدراسة السلوك البشري، ومحاولة إقامته على أرشد السبل وأقومها.

والمرور في الأصل ليس مشكلة بذاته ، لكن ما اكتنف حياة الناس من تسارع وتنافس ، وحب للغلبة ، ورغبة في التفاخر والتظاهر ، وما تعانيه الطرق من ازدحام وتكدس وتقصير المختصين في توفير أماكن للوقوف ، وانعدام التربية الأسرية السلوكية أضعفها واختلاط التشريعات الخاصة بالمشاة والسائقين وإشارات المرور... الخ ، كل تلك المؤثرات جعلت من عملية " المرور " مشكلة نراها جديدة بالبحث والتحليل في ضوء معطيات الكتاب العزيز

آداب سير المشاة :

لقد نبهنا القرآن الكريم إلى أن للسير في الطرق آداباً وأحكاماً يجب مراعاتها منها :

١ - الاعتدال والتمهل :

قال تعالى: { وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ } [لقمان / ١٩]

أي امش مقتصداً مشياً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط بل عدلاً وسطاً بين بين. وهذه الآية وردت في سياق وصية لقمان لابنه فبعد ما نهاه عن الخلق الذميمة رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال: "واقصد في مشيك" أي توسط فيه. والقصد: ما بين الإسراع والبطء؛ أما ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام من أنه كان إذا مشى أسرع، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كان إذا مشى أسرع - فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت؛ وقد مدح الله سبحانه من هذه صفته فقال تعالى :

{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ } [الفرقان / ٦٣]

أي يمشون بسكينة ووقار من غير تجبر ولا استكبار، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا".

وقوله تعالى: "هونا": الهون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار. وفي التفسير: يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد. والقصد والتؤدة وحسن السميت من أخلاق النبوة. ورأي في صفته صلى الله عليه وسلم أنه "كان إذا زل زل تقلعا، ويخطو تكفوً، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صيب." [التقلع: رفع الرجل بقوة والتكفو: الميل إلى سنن المشي وقصده. والهون: الرفق والوقار. والذريع الواسع الخطا؛ أي أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه؛ خلاف مشية المختال] كما قال القاضي عياض.

٢ - خفض الصوت :

ومن آداب السير أيضا خفض الصوت، ويدخل في ذلك - في رأينا - ما يلجأ إليه بعض السائقين من إساءة استعمال زُهور السيارات، وارتفاع أصوات الأغاني الصادرة من المذياع أو أجهزة التسجيل وأصوات الناس أنفسهم فإن في ذلك كله إزعاجاً لسكان المنازل المتاخمة للطرق، كما أن فيه إرباكا للسائقين الآخرين، وقوله تعالى (واغضض من صوتك) أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع؛ وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرِيَطَاوُك! [والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير. وأمريطاء: ما بين السرة إلى العانة]

وقوله تعالى " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" أي أقبحها وأوحشها؛ والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه؛ وفي الآية دليل على قبح رفع الصوت في المخاطبة وتشبيهه له بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوزوا بالله من الشيطان فإنها رأّت شيطانا). وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة؛ وكانت العرب تفخر بجهازة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان أخفض كان أدل، حتى قال شاعرهم:

جهير الكلام جهير العطاس

جهير الرءاء جهير النعم

ويعدو على الأين عدوى الظليم

ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الخلق الجاهلية بقوله: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" أي لو أن شيئاً يهاب لصوته لكان الحمار؛ فجعلهم في المثل سواء. وبذلك تتأدب بأدب القرآن الكريم، ونرى في إساءة استعمال آلة التنبيه في السيارات تشبهاً بأخلاق الجاهلية، إذ إن الضغط على تلك الآلة باستمرار، واختيار الأنواع المزعجة منها فيه نوع استكبار واستعلاء وتفاخر وكلها من صفات الجاهلية.

٣- غض البصر:

وهذا الخلق ليس بعيداً عما نحن بصدده، فالسيارات لها حكم المسكن من جهة الحرمه فلا يحل للمشاة ولا للسائقين أن يدققوا النظر في سيارات الآخرين لئلا ينتهكوا حرمتهم ويسببوا لهم الحرج.

٤ - حمد الله على نعمة الطرق :

إن الله تعالى امتن على عباده بما مهد لهم من الطرق، ونحن نرى ما تعانيه الدول حالياً حين تتكلف شق طريق وتمهيده، فتنفق الأموال وقد تهدر الأرباح - كما حدث في شق قناة السويس وكان الضحايا بالآلاف - فما خلقه الله تعالى من طرق ممهدة نعمة جديرة بالشكر والحمد والامتنان ، قال تعالى : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ } [طه / ٥٣] وقال أيضا :

{ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } [الأنبياء / ٢٧] وقال أيضا : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا } [نوح / ١٩٧ - ٢٠] وفجاجا : أي واسعة ، أي أن بسط الطرق الواسعة ، وتمهيدها للسير ، مما ييسر على الناس الضرب في مناكبها ، لطلب الرزق ، وابتغاء فضل الله حيثما وجد ، وقال جل شأنه :

{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الزخرف / ١٠]

ولذا فيجب على كل مسلم شكر الله على نعمة الطرق وتيسير وسائل الوصول للأماكن المختلفة.

آداب القيادة في ضوء القرآن الكريم

يقول تعالى : { وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكِبُونَ } [التستور / ١٢] لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } [الزخرف / ١٢ - ١٣]

تضمنت هاتان الآيتان آداب استعمال الدواب والمركبات الميكانيكية التي عبر عنها بالنوع الذي كان معرّفا للعرب وقت نزول القرآن وهو السفن: " الفلك " ، والأنعام المقصودة هنا هي الخيل والبغال والحمير والإبل فهي التي تُركب ، فكأن النوعين المذكورين في الآية يشملان ما يُركب في البر والبحر ، والآداب المتضمنة في تينك الآيتين هي :

١-الإيقان بأن تلك المركوبات لم تكن لتذلل للإنسان إلا بتسخير الله تعالى إياها

٢-إحسان قيادتها وقد عبر عنه بالاستواء على ظهورها .

٣-تذكر نعمة الله في تذليلها حال الاستواء عليها.

٤- التعبير عن شكر الله على تسخيرها بتسبيحه وتحميده .

٥- التبرؤ من الحول والقوة ، فالإنسان - من جهة القوة البدنية - أضعف كثيرا من أي

من تلك المركوبات ، ولولا فضل الله ورحمته لما استطاع السيطرة عليها .

٦- التيقن من لقاء الله ، وذلك ورد في الآية التالية لتينك الآيتين وهي قوله تعالى :

{ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ } [الزخرف / ١٤] وهذا التيقن يجعل المؤمن قريبا

من ربه ، متحسبا للموت في أي لحظة ، فزعاً من إزهاق أرواح أي من مخلوقات الله بله الإنسان .

نظرة لغوية في الآيات :

عن قوله تعالى: "لتستووا على ظهوره" قال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد لأن

المراد به الجنس، فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجنود؛ فلذلك ذكر، وجمع

الظهور، أي على ظهور هذا الجنس.

وقال القرطبي: قوله تعالى: "التستويٰ على ظهوره" يعني به الإبل خاصة بدليل ما ذكرنا. ولأن الفلك إنما تتركب بطونها، ولكنه ذكرهما جميعا في أول الآية وعطف آخرها على أحدهما.

وقوله تعالى: "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين؛ في قول ابن عباس والكلبي. وقال الأخفش وأبو عبيدة: "مقرنين" ضابطين. وقيل: مماثلين في الأيد والقوة؛ من قولهم: هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة. ويقال: فلان مقرن لفلان أي ضابط له. وأقرنت كذا أي أطقته. وأقرن له أي أطاقه وقوي عليه؛ كأنه صار له قرنا. قال الله تعالى: "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين. وأنشد قطرب قول عمرو بن معديكرب:

لقد علم القبائل ما عقيل

لنا في النائبات بمقرنيننا

وقال آخر:

ركبتم صعبتي أشرا وحيفا

ولستم للصعاب بمقرنيننا

وقال ابن السكيت: وفي أصله [أي الإقران] قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من: أقرن يقرن إقرانا إذا أطاق. وأقرنت كذا إذا أطقته وحكمته؛ كأنه جعله في قرن - وهو الحبل - فأوثقه به وشده. والثاني: أنه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير؛ يقال: قرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينه.

تذكر الموت واجب على كل راكب وقائد مركبة :

والذي نلاحظه في مجتمعاتنا العصرية ، من طيش وغرر في قيادة السيارات والدراجات البخارية والشاحنات وما إليها ، مرده إلى نزق الشباب ، وقلة التدين ،

والغفلة عن تذكر الموت ، والاعتراض بقوة السيارة؛ ومتانة صناعتها وجودة كوابحها وسلامة أجهزتها ومهارة قائدها ، غير أن ذلك كله ليس بشيء إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، ولذلك قال القرطبي رحمه الله :

"علمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن؛ وهي قوله تعالى:

"وَقَالَ أَرَكَّبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾"

[هود/٤١] فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك. وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا.

وحكى سليمان بن يسار أن قوما كانوا في سفر وكانوا إذا ركبوا قالوا: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" وكان فيهم رجل على ناقه له رازم [الرازم من الإبل: الثابت على الأرض لا يقوم من الهزل]. فقال: أما أنا فاني لهذه لمقرن، قال: فقمصت به فدقت عنقه. وررني أن أعرايبا ركب قعودا له وقال إني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه. ذكر الأول الماوردي والثاني ابن العربي. قال: وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره؛ باللسان؛ فيقول متى ركب وخاصة في السفر إذا تذكر: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له بمقرنين. وإنما إلى ربنا لمنقلبون" اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والجور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال؛ يعني بـ "الجور بعد الكور" تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه. وقال عمرو بن دينار: ركبت مع أبي جعفر إلى أرض له نحو حائط يقال لها مدركة، فركب على جمل صعب فقلت له: أبا جعفر! أما تخاف أن يصرك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (على سنام كل بعير شيطان إذا ركبتموها

فاذكروا اسم الله كما أمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله) [أي أنها إنما تحملكم بأمر الله وتسخير؛]. وقال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله، فلما استوى على الدابة قال الحمد لله، ثم قال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" ثم قال: الحمد لله واللّه أكبر - ثلاثا - اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

ويذكر القرطبي حالة من الغرور في عصره تشبه بعض أحوال شباب المسلمين الغافلين في أيامنا هذه فيقول إن على الراكب أن يكون على ذكر دائم لله ويستعيز بالله من مقام من يقول لقرنائئ: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يستقون حتى تمّل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم؛ لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره.

وروى ابن كثير في تفسيره، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطولنا البعيد اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إذا رجع إلى أهله قال آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون وهكذا رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

=====

إرشاد اللبيب إلى فنون التسريب !!

حدثنا أبو دجاجة بن ديك بن فروجة الرومي عن أبي البصل بن صلصة بن قوطة المعروف بالذبيح قال: زرت أصدبهان عام ست وستمائة لأخذ العلم عن مشاهير علمائها وأتلقى الإجازات عن حيلة من كبار مشيختها ، فلقيت هناك أبا الفرج البيلاوي المعروف بظرفه ولطفه ، وأقمنا مع عدد من طلاب العلم في خان نظيف يقال له (هوليداي إن) قريب من مساكن الجن، في واد من وديان أصدبهان البديعة، لم يجدوا له اسما فلقبوه، بـ"شرق التفريعة" !!

وطاب لنا هناك المقام ، نتلقى النحو والصرف واللغة والعروض وجه النهار على شيوخنا فإذا جننا الليل طابت أوقاتنا بالسهر، وأذهبنا عن أنفسنا العناء بالضحك والسمر، وذات ليلة طلبنا من أبي الفرج أن يقص علينا من غرائب تلك البلدان ، ما تطرب له النفوس فتنسى الغربية والأحزان ، فقال :

" جرت كائنة من الغرائب في عهد مولانا الوزير الصالح جمل الدين بن هلال الدين بن شهاب الدين بن بهاء الدين المراجحي الملقب بالعاقل ، فقد كان الطلاب يؤدون امتحانات الثانوية العامة في بلاد سيحان وجيحان، فجاءهم في التفاضل سؤلان وجبهان، فعجز عن حلها الأحمران والأخضران والأبيضان والأسودان ، والقائمان والنائمان ، ولم يبق في عموم القطر من له ابن يمتحن إلا وفقد بصره، وطلق امرأته وأدمن الأفيون ، أو دخل السجون ، وواضعو تلك الامتحانات في تلك البلاد ، يبغضهم العباد ، فهم قوم غلاظ شداد في غلظ الجاموس، قصيرة قوائمهم ، لهم أخفاف ثقال ، وهم في ألوان الخيل ولكل منهم أنف كأنف أبي ذؤابة، وأذنان صغيرتان كأذني الخيل ولبعضهم ذيل مثل ذيل الجاموس ولبعضهم سهيل كالخيل ، ولبعضهم شحيج كالبعال، ولبعضهم أنياب

كأنياب السباع ولبعضهم حافر مشقوق كحافر البقر وإذا ظفر واحد منهم بتلميذ أو بولي أمر تلميذ في مكان آمن ، فإنه يأكله ، وإذا ظهر أولئك المتحنون (بكسر الحاء) للناس في وضح النهار، يحصل منهم الضرر الشامل لأهل النواحي ، فهم يرعون الزرع فإذا حصل منهم ضرر، ولازموا تلك الجهات يطرح لهم أهل القرى شيئاً من الترمس في الموضع الذي يظهرن منه فيأكله أحدهم ويعود إلى بيته فإذا شرب ماء، ربا ذلك الترمس في جوفه فينتفخ فيموت .

ولهؤلاء المتحنين صنم نظيف لطيف يعبدونه يسمونه (الوزير الأول) ويعرف بأبي الهول لا يظهر منه سوى رأسه ، وبقيته مدفونة في زكبية من زكائب الفرنجة يقال لها البدلة عند أهل مصر والشام ، ويقال طولها سبعون ذراعاً وفي وجهه دهان يلعب له رونق كأنه يضحك تبسماً ، ومخه من الصوان المانع ويقولون إنه طلسم بمنع الماء عن بر مصر. ومن العجائب في عهده أن قرية من أعمال المنيا وهي شرقي النيل ولها سور وأبواب وهي قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فإذا كانت أيام الامتحانات يرئن في كل يوم قبل طلوع الشمس أناساً غير جنس بني آدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها ، فإذا دخل الناس تلك القرية لم يرئ فيها أحداً من الذين كانوا يدخلون إليها ويخرجون منها ...!!

وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية. ومن العجائب أن ببلاد المنيا وكفر الشيخ وقتنا وغيرها ضيعة يقال عنها (شفافية) بها عمود من نحاس اصفر وعليه صفة طائر من نحاس فإذا كانت ليلة اليوم الأول لامتحان الثانوية العامة نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زرعهم وبساتينهم ويملاً صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام إلى العام وهذا دأب ذلك الطائر في كل سنة .

ومن أعجب العجائب أن حكيمًا من الحكماء في بعض مدائن الدنيا صنع حوضًا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فيجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بسؤال من أسئلة الامتحان فيضعه في ذلك الحوض فتختلط الأسئلة كلها ببعض حتى تصير شيئًا واحدًا ثم يقف الساقى على ذلك الحوض ويسقى فلا يطلع لكل واحد في قدحه إلا ورقة مجابة مدققة مراجعة مصورة في أحسن صورة .

قلت لصاحبي : فما الذي يضير الإعلام المريض في بلادكم من تفريغ الكرب عن المتحنيين - بفتح الحاء - من الصغار الأبرياء من الطلاب؟ أوليس الامتحان من المحنة ، والمحنة شدة ، والشدة كرب ، والمعروف لنا أن من فرّج عن مؤمن كربة من كربات الدنيا نال أجرًا عظيمًا ؟

قال صاحبي : تسريب الامتحانات على هذا النحو يجعل من العملية التربوية كلها لهواً ولعباً ويخل بهيبة وهيبة ..!!

قلت لصاحبي : أوليست الحياة الدنيا كلها - بنصوص الشرع الحنيف - لهواً ولعباً ؟

أوليس التعاون على تجاوز محنة الامتحان باباً عظيماً من أبواب التعاون على البر والتكافل وسد حاجة المحتاج وإغاثة المهوف وإعانة المضطر، وكلها - كما ترى - من [المرءات] التي يمارسها الكبار في الانتخابات العامة ، والصفقات الكبرى ، ويفعلها بعض سفهاء أساتذة الجامعات مع أبنائهم ، أفلا تدركنا الرجولة والحزم والانضباط إلا مع أولئك العصافير الصغار من طلاب الثانوية الأبرياء؟ أهنا فقط يحرم التسامح ويحل الحل كله يوم الانتخابات والاستفتاءات ؟

قال : بلى ، ولكن هذا امتحان ينبغي أن تشد له الشدائد من عزائم الرجال .

قلت له مازحا : أي رجال ؟ أهؤلاء الذين صمتوا حين أسرت (ج ي ب و ت ي !!!) مائة صياد من أهلهم لمدة عام كامل واستولت على مراكبهم فلم تنبس خارجيتهم بحرف واحد؟ أم هم أولئك الذين دمرت صواريخ جيرانهم أربع عشرة باخرة صيد واحتجرت ستا وخمسين وأسرت من عليها من الصيادين خلال عامين فلم تعلم خارجيتهم أو علمت ولم تبلغ كما كان يقال !!؟ أم هم أولئك الذين يسربون آلاف الشباب العاطلين عبر البحر فرارا من الجوع والتعطل فإذا غرقوا أفتى العلماء الأجلء بأنهم ليسوا شهداء لأنهم سافروا طلبا للمخدرات؟

تسريب للشباب ، وتسريب للصيادين ، وتسريب لمراكب الصيد ، وتسريب للمصانع الناجحة ، وتسريب لخيار المواقع والأراضي التي تباع للكبار بالملايين ، وتسريب لقوانين السوء في جناح الليل ، وتسريب لأرباح أهالي الحدود برصاص اليهود ، وتسريب لأهل الكفاءة في مؤسسات التعليم ، وتسريب لأموال الطامعين في توظيف أموالهم ، وتسريب لفيروسات الكبد ، وتسريب للسرطان ليكون حقا لكل مواطن يستخدم دما مسرطناً ، وتسريب للدقيق من مخازن السوء، و.... و..... فيا أخي هون عليك (ماجاتش على الثانوية !!)

واستغرقت في ضحك ظننت أن يشاركني فيه جلسائي فلم أسمع لهم ضحكاً، ولم أحس لهم أثراً، فنظرت حولي وأنا مسترسل في ضحكي فإذا بي أفاجأ أن أبا الفرج وصحبه قد (تسرّبوا) من حولي وتركوني قائماً أخطب في طواحين الهواء..!!

=====

اشترِ صحتك . . . وودّع تليفزيون الحكومة !!

على الرغم من كل المحاذير المحيطة بتعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة ، فإن فوائد نشرة أخبار تليفزيون الحكومة الكثيرة أكدتها معظم الدراسات التي تعرضت لها حيث إن مادة النخعامين ومادة الهمبكتيتامين- وهي المكون الأساسي في النشرة - لها تأثيرات إيجابية عديدة ، فهي مادة محفّزة كتلك الموجودة في الشاي والشيكولاتة ومشروبات الصودا ، ويحتوي فنجان نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على مستويات مختلفة من النخعامين وذلك حسب نوع النشرة ، حيث يحتوي فنجان نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على حوالي ١٣٥ مليجراماً من النخعامين مقارنة بـ ٩٥ مليجراماً في نشرة أخبار الفضائيات والغريب أن أقل نسبة "نخع" وبالتالي أخفها ضرراً تلك الموجودة في حبوب النشرة الفضائية والتي تحتوي على نصف كمية النخعامين الموجودة في حبوب النشرات الحكومية الشهيرة .

فوائد طبية :

- ويتعاطي ثلاث جرعات من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على فترات متباعدة في اليوم الواحد نجد أن للنشرة الحكومية جوانب إيجابية عديدة أهمها :
- ١- تحفيز النشاط وتعزيز التفكير والمزج حتى لو بكميات قليلة .
 - ٢- دعم اتساق العضلات ومتانتها خصوصاً عند تناولها قبل ممارسة التمارين الرياضية.
 - ٣- رفع معدل استهلاك الطاقة الأمر الذي يسهم في حرق السعرات الحرارية وحرق الدم الفاسد !!
 - ٤- المساعدة في تليين مجاري التنفس مما يخفض وتيرة نوبات الربو .

- ٥- مادة النخعامين تعمل ضد التأكسد ولها قدرة حماية أكثر من فيتامين E أشهر العوامل المضادة للأكسدة .
- ٦- نشرة أخبار تليفزيون الحكومة (غير المحمصة) تستعمل كعلاج للإسهال لاحتوائها على حمض التانيك القابض.
- ٧- نشرة أخبار تليفزيون الحكومة مدرة للبول حيث تحتوي على كمية جيدة من عنصر البوتاسيوم .

وهنا قد يواجهنا سؤال مشروع هو : هل نشرة أخبار تليفزيون الحكومة تسبب الإدمان؟ والسؤال يبدو مثيراً للاهتمام ، فالحقيقة – كما أكدها صديقنا الدكتور شريف باشا باثولوجي

- أن مادة النخعامين تُصنّف كواحدة من المجموعات الدوائية مع النيكوتين ضمن مجموعة محفزات الجهاز العصبي المركزي *CNS stimulants* وهي بالفعل كذلك ، ولكن من عيوب هذه المجموعة أنها تسبب الإدمان حيث أن مادة النخعامين ترفع مستوى الدوبامين *DOPA amine* الذي يعمل كنظام مكافأة في الدماغ، وعلى ذلك فعندما يتناول المرء نشرة أخبار تليفزيون الحكومة بشكل منتظم من المحتمل جداً أن يصاب بنوبات البكّة الذي ينجم عن استهلاك كميات ضئيلة قد لا تتجاوز فنجاناً واحداً في اليوم ، وبعد ذلك يمكن أن يعاني المرء من أعراض انسحاب النخعامين فيما لو حاول الإقلاع عن تعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة وتشمل : الصداع والتعب والتوتر والاكنتئاب وارتخاء الأعصاب وأعراضاً أخرى تشبه أعراض الأنفلونزا ولكنها قطعاً تكون أهون بكثير من أعراض الانسحاب المرتبطة بالنيكوتين أو الكوكايين أو باقي المواد الأخرى المسببة للإدمان .

مضار نشرة أخبار تليفزيون الحكومة

وبالرغم مما أظهرته الدراسات السابقة حول فوائد نشرة أخبار تليفزيون الحكومة الصحية فقد حذرت دراسة جديدة أجريت في توشكى من أن الإكثار من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يضر بالقلب والشرايين ، فقد وجد العلماء في جامعة " هِسْكَ بِشْكَ " الهالالية أن عشاق نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يعانون من تصلب في الشرايين والأوعية الدموية الرئيسية في الجسم أكثر ، مقارنة بمن لا يتعاطونها ، وحذّر العلماء الهالليون من أن انخفاض مرونة الشرايين بسبب إصابتها بالتصلب يعد عامل خطر أساسياً للإصابة بأمراض القلب والسكتات الدماغية ، وأكد الباحثون أن على الأشخاص الذين يتعاطون أكثر من ثلاث جرعات من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يومياً عليهم تقليل استهلاكهم منها خصوصاً إذا كانوا يعانون من ارتفاع ضغط الدم أو عوامل خطر أخرى مرتبطة بأمراض القلب .

ولاحظ فريق البحث بعد قياس صلابة جدران الشرايين وقدرتها على التمدد والانقباض أنها كانت معتلة ووظائفها ضعيفة عند من تعاطوا أكثر من جرعتين من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يومياً قياساً بمن لم يتعاطوها .

وفي دراسة أخرى أكثر تشاؤماً حذر أطباء صعيدة مُغرَقون في صعديتهم - ويقال إن أنسابهم تمتد لضحايا قطار الصعيد ٢٠٠٣ - من أن استهلاك أكثر من نشرة (أنسفيقية) واحدة فقط يزيد خطر الإصابة بالالتهابات المرتبطة بأمراض القلب والمفاصل والسكري والسرطان والاحتقان الأذيني ، وأوضح الباحثون في دراستهم التي نشرتها المجلة الأمريكية للتغذية أن الإكثار من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يزيد مستويات المواد الالتهابية التي تشمل *Protein C* /النفاعي و *Amyloid-A* و *Inter Leutine-6* في الدم

بصورة كبيرة مما يدل على تفاقم حدة العمليات المسببة للالتهابات ، ووجد هؤلاء بعد متابعة ١٥١٤ رجلاً ١٥٢٨ امرأة لا يملكون تاريخاً سابقاً للإصابة بأمراض القلب أن الرجال الذين استهلكوا أكثر من تقرير واحد من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يومياً شهدوا زيادة في مستويات مادة *Inter Leutine-6* الالتهابية بنحو ٥٠٪ وفي مستويات بروتين سي التفاعلي بنسبة ٣٠٪ مقابل ١٢٪ في مستوى *Amyloid-A* مقارنة في الذين لم يتعاطوها أبداً ، أما في النساء فقد لاحظ الباحثون أن تلك المواد الالتهابية زادت بنسبة ٥٤٪ و ٣٨٪ و ٢٨٪ على التوالي .

المرأة ونشرة أخبار تليفزيون الحكومة :

وعن علاقة المرأة بنشرة أخبار تليفزيون الحكومة تؤكد د. كايداهم أبو غلاب وهي طبيبة أمراض ونساء وتوليد تقدم برنامجاً تلفزيونياً شهيراً في مقال نشرته مجلة السنبلولين الدوائية لوجع القلب والمصارين [ع ٣٣٠-٣٣١/١٩/٢٠٠٥] أن المرأة التي تتناول أكثر من جرعتين من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة في اليوم قد ترفع احتمال عدم حدوث إخصاب بمقدار الضعف ، وكذلك إن تناول المرأة الحامل لجرعتين من نشرة أخبار تليفزيون الحكومة يزيد من احتمالات حدوث إجهاض بنسبة ٣٠٪ ، كما أن تناول أكثر من خمسة تقارير وتصريحات حكومية يومياً يسبب تغيرات في الكيبيسات الليفية في الثديين فتشعر المرأة بألم فيهما ولكن ...

ربما يفهم البعض من سياق المقال أن نشرة أخبار تليفزيون الحكومة من المخاطر التي تحرق حياة الإنسان والتي يجب تجنبها تماماً ، وهي بالطبع مرتبطة بكثير من المشاكل الصحية ولكن تناولها بكمية معقولة وعلى مسافات متباعدة يجعلنا نستفيد من جوانبها الإيجابية التي بدأنا بها المقال وهناك بعض النصائح والمحاذير التي يسوقها الأستاذ

موهوب أخصائي الصحة العامة بمقهى السعادة وهي: [مجلة " العتبية قرّز" - ٣٤٨ع -
٢٣/٧/٢٠٠٥]:

- ١- لا يجوز تعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة بكثرة في المرة الواحدة .
- ٢- لا يجوز تعاطي نشرة أخبار تليفزيون الحكومة على الريق لاحتوائها على حمض النيكوتين وما له من تأثير سيء في المعدة .
- ٣- لا يجوز تعاطيها لمن يشكو من قرحة أو زيادة الحموضة في الجهاز الهضمي .
- ٤- يحذر تعاطيها للأم الحامل وخصوصاً في الأشهر الأخيرة من الحمل .
- ٥- تمنع نشرة أخبار تليفزيون الحكومة عن الأطفال وذوي الأمراض العصبية .
- ٦- يحظر تعاطيها لمرضى البواسير والتشققات الشرجية لما لها من تأثير قابض من فعل مادة النخاعين القابضة التي تحتويها .
- ٧- لا يجوز إعادة محتويات نشرة أخبار تليفزيون الحكومة أمام من لم يشاهدها ممن لديهم بعض الحروق والجروح - كما جرت العادة عند بعض أهل المنوفية والقليوبية- حيث تعمل كطبقة عازلة بين الأنسجة المتضررة مما يعيق الالتئام .
- ٨- يجب أن يخفف تناول نشرة أخبار تليفزيون الحكومة لمن تجاوز الأربعين فما فوق .

=====

السد العالي هرب ... !!!

باستثناء الاستقبالات البروتوكولية في بعض المناسبات ، لم يحدث في تاريخ مصر أن خرج رئيس الدولة هو وأهل بيته جميعا لاستقبال أحد كائنا من كان ، إلا عندما خرج الرئيس مبارك وقرينته ونجلاده لاستقبال الفريق الكروي المصري العائد بكأس أفريقية أوائل فبراير الحالي (٢٠٠٨) ، أما حينما عاد أحمد زويل بجائزة نوبل فقد أرسلوا إليه وزيراً يستقبله! وحين عاد البرادعي بجائزة نوبل فقد أرسلوا إليه وكيل وزارة على المعاش ، وحين عادت عادت ابنتا نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، استقبلهما عم فرج مسؤول العلاقات العامة في شركة (تحت السجريا وهيبة) للإنتاج الفني بجمهورية جزر القمر الشقيقة !! أما حينما يعود أحمد عمر هاشم فلا يستقبله إلا مندوبو الجمارك. وقد رد عصام الحضري على هذه الحفاوة الرسمية خير رد – كما نشرت جريدة الدستور صبيحة يوم أمس الجمعة ٢١ فبراير ٢٠٠٨ – حين أخذ أسرته وهرب إلى النمسا ليتعاقد مع ناد سويسري ، كان راوده قبل ذلك مقابل أربعمائة ألف دولار فيما نشرت الأهرام يوم الجمعة نفسه. رد عصام الحضري على احترام رمز الدولة له ولفريقه ، وعلى احترام الجماهير، ردا ينم عن حقيقة نفوس حفنة من البشر، لها سمات لا تستطيع أن تتخلى عنها مهما تجتهد كما قال الشاعر الجاهلي المعروف زهير بن أبي سلمى : ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم، ولا يحق لأحد أن يلوم شاباً رأى أن يصفع دولة رسمية كرمته ، وشعباً أحبه وهتف له ، ولكن اللوم كله توجه للإعلام الذي يمارس فرسية عنترية ، وبطولة أدهم الشرقاوي، وإجرام هتلر وشجاعة قطز ضد عامل بسيط يتظاهر مطالباً بلقمة ترد عن أطفاله بأس الجوع ، ويمارس الإعلام جبريته – ممثلاً في تلك الغطرسة العفنة التي تلوح في

إيماءات محمود سعد و " فكاكة " معتز الدمرداش وخفة ظله القائلة ، وممثلاً أيضاً في سيول سلس مقالات بعض المرتزقة من صحفيي لاطوغلي - ضد أسرة فقيرة تستجدي علاجاً ، أو حفنة محتجين يتسولون علاوة بضعة جنيهات ، يسترون بها بناتهم ويعفون بها أسرهم عن الحرام والرشى والشحاذة ف "يتعنطنز" عليهم أباطرة الإعلام ويلقنوهم أعنف الدروس في التربية والتهذيب والله الذي لا إله إلا هو إني لأعرف عظاماً ممن خاضوا حروب ٦٧ والاستنزف و٧٣ باع بعضهم أثاث بيته لعلاج مرضاهم أو ستر بناتهم أو سد حاجاتهم ومازلوا يعيشون بيننا جوعاً بمعاش هازل هزيل مهزول ، ولكنهم كرام النفوس ، أعزة ، وهؤلاء " الأعليمة " الصغار انتصروا في الكرة وحصدوا الملايين والسيارات من مشجعيهم في مصر ، وسافروا للإمارات - صغار النفوس - لينالوا المزيد من الملايين والمهانة ، لا وجه للمقارنة بينهم وبين من رفعنا رؤوسنا بدمائهم من أبطال حرب أكتوبر الذين يقبعون - في شيخوختهم - متضورين مرضى محبطين . لا يعرف الإعلام (القميء) طريقاً إليهم .

هذا الإعلام الفارس المغوار الشجاع (الأقرع) استخذى استخذاء مبكياً أمام منظر بثته الفضائيات يوم (النصر الكبير!!!) حين ركب الحضري فوق خشبة المرمى ، وقام ببعض الحركات البهلوانية السخيفة ، وختمها بإخراج لسانه وتحريكه يمينا ويسارا أمام الكاميرا لجمهور الدولة المستضيفة ، وبالتبعية لكل من يجلس أمام الكاميرا . هذا السلوك (الحضري جداً!!!!) غض عنه إعلامنا الطرف غضا فلم يشر إليه قلم ، ولم تعد به شاشة ، ولم يعلق عليه معلق من أولئك العلماء الأعلام الفحول الذين أوسعونا تحليلاً وتأويلاً لما دار من انتصار لقد نشرت الدستور الخبر تحت عنوان (هروب عصام الحضري) ونشرته الأهرام تحت عنوان (الحضري يسافر سراً.....!!!) وهذا هو دأب الأهرام في (تخفيف) الصدمات كما لمسناه منها على مدى خمسين عاماً.

أمريكا تصنع جوع العالم الثالث

ترجم الدكتور حسن أو بكر مدرس المقاومة البيولوجية بقسم الحشرات بكلية الزراعة جامعة القاهرة واحداً من أهم الكتب التي تتناول ما يسمى بالمساعدات الأمريكية في مجال الغذاء والتنمية. وهو كتاب "أمريكا وصناعة الجوع" وهو من تأليف ثلاثة من الباحثين الأمريكيين هم الباحثة (فرنسيس مورلايه) و(جوزيف كولينز) المؤسس الأول لمعهد (الغذاء وسياسة التنمية) الذي صدر عنه هذا الكتاب في الثمانينيات (وثالثهم الباحث ديفيد كينلي، ومعهد (الغذاء وسياسة التنمية) هو معهد تطوعي يسعى إلى بذل الجهود لتغيير العالم الجائع، وقد قام الباحثان الأولان بتأليف كتاب "صناعة الجوع" ١٩٨٣ في سلسلة "عالم المعرفة" ترجمة أحمد حسان.

ومما يتميز مؤفوه كتاب "أمريكا وصناعة الجوع" أنهم ابتعدوا كثيراً عن الخطاب السياسي المباشر، وطرحوا موضوعاتهم من خلال الممارسة العيانية، بعيداً عن (التنظير) المرهق للقارئ ليصلوا به في سلسلة إلى نتائج العشرات من الكتب لجادة. ويتميز الكتاب أيضاً بالتغطية الواسعة جغرافياً لتجارب ما يسمى (بالمساعدات الأمريكية) التي هي في الحقيقة قروض واجبة السداد بما عليها من فوائد، بحيث يصبح جزء كبير من المعونة الآتية إلى معظم البلدان في العالم الثالث في كل عام موجّهاً وجوباً إلى سداد ديون مستحقة عن سنوات سابقة مما ينشط اقتصادياتهم بزيادة مبيعات حفنة من الشركات العملاقة في الدول المانحة، ويضعنا الكتاب أمام كم هائل من التنوع في الأمثلة والعلاقات الداخلية والخارجية بين الأنظمة محل (الرعاية) والضغط الأمريكي، وبين النظام الأمريكي لنصل إلى أهم العراقيل الداخلية والخارجية المحددة لدور هذه (المساعدات).

كما يتميز الكتاب أيضا بمزج ذي طابع فريد بين الرؤية النظرية الحديثة و المعاصرة لاتجاهات التفاعل بين القوى الداخلية والخارجية ودورها في تفاقم مشكلة الجوع في العالم وذلك في أسلوب خاص في عرض الكتاب الذي جاء على شكل سؤال وجواب وقد يبدو هذا مدرسياً إلا أنه يصيب هدفه دون تعقيد أكاديمي في فضح الدور الأمريكي الزئف والمخرب لما يسمى بمعونات وقرروض مواجهة الجوع.

يتضمن الكتاب عشرين سؤالاً بحيث يتصدر كل سؤال أحد فصول الكتاب

العشرين والأسئلة هي:

هل تركز برامج الولايات المتحدة للعون على أشد البلدان فقراً؟ وإذا كانت معونات الولايات المتحدة لا تذهب إلى أحد البلدان فقراً. فهل تركز المعونة -على الأقل- على تلك البلدان التي أبدت حكوماتها التزاماً بمساعدة الفقراء؟ وهل تعتقدون أن معوناتنا الاقتصادية تعمل على تجميل وجه النظم الاستبدادية، وإذا قدم المزيد من معونات الولايات المتحدة للتنمية عبر مؤسسات الإقراض الدولية المتعددة الأطراف كالبنك الدولي مثلاً - فهل يؤدي ذلك إلى حل مشكلة استخدام دولارات المعونة في تحقيق الأغراض الضيقة للسياسة الخارجية والاحتكارات؟ هل تذهب غالبية المعونات الخارجية للولايات المتحدة إلى الزراعة والتنمية الريفية؟ إذا كان الربح فقط من قررض البنك الدولي يستخدم في الزراعة والتنمية الريفية، فماذا يفعل البنك الدولي بالباقي؟! هل تركز مشروعات الزرعة والتنمية الريفية - التي تمولها وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية والبنك الدولي - على صغار الزراع الآن؟ من المؤكد أنه ينبغي أن تكون هناك مشروعات لوكالة التنمية الدولية والبنك الدولي قد ساعدت الفلاحين على زيادة إنتاجهم، هل يمكننا القول أن هذه المشروعات تساعد الفراء والجوعى؟ إذا كانت السيطرة على الأرض وغيرها

من الموارد عاملاً ضرورياً يحدد المستفيد من برامج المعونة، فهل تقوم وكالة التنمية الدولية والبنك الدولي الآن بتشجيع الإصلاح الزراعي وغيره من وسائل إعادة السيطرة على موارد الإنتاج الزراعي؟ ألا تملك هيئات مثل البنك الدولي ووكالة التنمية الدولية من الوسائل المتقدمة والمهارات ما يضمن عدم ضياع أموالها؟ وحتى لو تذهب معظم المعونات إلى الزراعة والتنمية الريفية أو إلى القراء، فهل تساعد هذه المعونات الغذائية الأمريكية على توصيل الوفرة الأمريكية إلى الجياع في كل أنحاء العالم؟، ألم تخضع المعونات الغذائية الأمريكية للإصلاح بحيث أصبح الغذاء من أجل الجياع على قمة أولوياتها الآن، ماذا يحدث عندما تذهب المعونة الغذائية إلى بلد يعاني معظم سكانه من الجوع، ماذا عن مشروعات (الغذاء من أجل العمل)؟ وماذا عن حالات الطوارئ؟ أليست هناك أوقات للآزمات -كالفيضانات والحروب وانهيار المحاصيل تكون فيها المعونات الغذائية ضرورية لمنع المجاعات؟ هل تقترحون إلغاء المعونات الغذائية المزمّنة عندما تؤيدون وقف المعونات الرسمية إلى هذا العدد الكبير. أليست بهذه الطريقة تدفعون الأمور إلى وضع بالغ القسوة وغير محمود العواقب. وهل المعونة غير الحكومية هي الحل؟ وما هي إذن الاستجابة المناسبة لأولئك الراغبين في مساعدة الجوعي فيما وراء البحار؟).

وتكشف الإجابات على هذه الأسئلة ومناقشتها الدور الأمريكي متمثلاً في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للتنمية والتعمير ووكالة التنمية الدولية وغيرها من المؤسسات التي توجه منحها وقرضها أساساً إلى أكثر الدول رجعية وشوفينية وديكتاتورية، ويظهر في نهاية المطاف أن هذه المعونات ليست سوى وسيلة فعالة من وسائل حماية القلة والنخبة المسيطرة. ومقاومة أية اتجاهات تسعى إلى تغيير بناء القوة المسيطر، وأن المساعدات لا تصل إلى الفقراء بقدر ما تصل في معظمها إلى الأغنياء، وأن هذه المساعدات

ما هي الوسائل فعالة من أداوت إحكام تبعية بلدان العالم الثالث للنظام الرأسمالي العالمي. ويجعلها وعاء نهب مترّيد من قبل الشركات متعددة الجنسية. وأنها لا تؤدي إلى تنمية القطاع الزراعي ، أو تنمية إنتاج الغذاء المحلي، بقدر ما تسهم في تحقيق المزيد من تدهور هذا القطاع الأساسي من قطاعات الإنتاج فتستشري فيه أمراض الأمية والبطالة والهجرة إلى المدن.

ويكشف الكاتب أيضا عن كم هائل من التفاصيل جمعها المؤفون حول الدور التخريبي الذي يمارسه النظام الأمريكي بالنسبة للغالبية العظمى من البسطاء من شعوب العالم الثالث. بل ودوره في تزييف وعي المواطن الأمريكي نفسه.

ويركز الكتاب على قضية غياب القوة بالنسبة لأولئك الذين يعانون من الجوع حيث إن بناء القوة في أيدي الأغنياء لذا يصعب على الفقراء، إن لم يتم تحسين أحوالهم الوصول إلى السلطة والمشاركة في التخطيط والتفويض والتقييم والحصول على منافع التنمية ويكشف المؤفون أن الانفجار السكاني ليس نتيجة الجوع في الريف وفقره، كما يشيع البهلاء والمعرضون ، وليس بسبب ندرة الموارد الزراعية أو الافتقار إلى التكنولوجيا الحديثة، بل إن السبب الجذري للجوع هو زيادة تركيز السيطرة على موارد إنتاج الطعام في قبضة حفنة قليلة من الناس – وهي مجموعات النخبة المتميزة التي تستحوذ على مقدرات موارد إنتاج الطعام من أجل مصالحها الخاصة. وأن محاولات زيادة إضفاء الطابع التجاري على الزراعة لها هدف مختلف أشد الاختلاف عن التنمية الريفية .

إنني أنصح عبدة العم (سام) والراكعين الساجدين حول البيت الأبيض أن يقرأوا هذا الكتاب لعلمهم يوعون أو يحدث لهم ذكراً، وإن كنت أشك في حدوث ذلك لأن تلك الجلود الغليظة التي أدمنت الانبطاح، فقدت القدرة على القشعريرة.

إيضاح العِلل للَمَل والجَمَل...!!

نجح الرمزن / الهلال والجمال / في الظفر بأكبر قدر من السخط الشعبي ، ووفرا للحكومة التي تشرف بهما أعظم فرصة لتنال من كراهية الناس ويغضهم ما لم تكن تحلم به حكومة منذ عرفت البشرية الحكومات .

فقد استمات الوزيران واستبسلا في توتير أعصاب الكبار والصغار ، وتفننا في استفزاز الإعلام المرئي والمسموع والمقرء استفزاز كاد يصل ببعض إخواننا من الإعلاميين حد التفكير في الانتحار - كما فعل الصبية الصغار من تلاميذ الثانوي الذين لم يجدوا حيلة مع الوزير ولم يهتدوا سبيلا - أو اعتزل المهنة .

وأفلح الرمزن بكفاءة ساحقة في استجلاب القهر لنفوس الجميع ، واستمطار دعوات الصالحين والطالحين لرب العباد أن ينكل بهذه الحكومة وأن يُري الناس فيها عجائب القدرة والإرادة إكرا ما لهذين الرمزين .

أما الهلال فإنه يصدّق نفسه ويريد من الناس أن يصدّقوا ما هم متأكدون من كذبه وغشه وفساده ، وهو تلك " المشروعات " المزعومة للتطوير ، وما هي في الحقيقة ، وبشهادة كل منصف أمين صادق مع نفسه ، إلا وسائل لتوفير دخل يستر عورات رئاتب الأساتذة ، وسأذكر لمعاليه والرأي العام مثالا عايشته حين كنت عميدا للكلية التي أعمل بها كان ذلك عام ١٩٩٦ حين توفي زميل لنا كان "أستاذنا " ورئيس قسم !!!!!! ، وبعد وفاته بشهور جمعي القدر مع مديرة إدارة المعاشات بالجامعة فسألته عن معاش زميلنا الذي يتقاضاه أولاده الأربعة وأرملته .. كم يبلغ؟ فقالت لي : ٤٢٥ (أربعمئة وخمسة وعشرون جنيهاً) ففجعت لأنه كان يتقاضى قبل وفاته ألفي جنيه شهرياً تقريبا ، وكنت أعرف أن أولاده في مدارس لغات وهرعت إلى رئيس الجامعة وحكيت له القصة وطلبت منه أن

نسعى للحصول على ما كنت أقرأ عنه في الصحف مما يسمى بـ (معاش استثنائي)
وتطلب الأمر عقد مجلس كلية ومجلس جامعة ومخاطبة لوزير التعليم العالي ومخاطبة
أخرى منه لوزير التأمينات الاجتماعية ، ومجالس تجتمع وتنفض ولجان تبحث وتقرر...
لينتهي الأمر بأكبر مبلغ مما يسمونه (المعاش الاستثنائي) وهو ١٢٠ (مئة وعشرون
جنيها) - هذا إذا ووفق عليه !!! -

في مثل هذه الأوضاع وما هو أسوأ منها تعلن الهيئات الدولية المانحة أو المقرضة
عن فرص للدعم فيتقدم أساتذة فقراء النفوس وفقراء الجيوب بمشروعات مزعومة
يزخرفون أوراقها ويزيفون مقاصدها ويزينون سطورها برسوم بيانية وأشكال هندسية
وخطوط متوازية حيناً ومتقاطعة حيناً آخر ، ومربعات من نوات الأبناط الزهية
ومثلثات ودوائر من نوات الألوان الزهية ، ويقدمون هذا كله محاطاً بمسميات تدير
الرؤوس كالخمور المعتقة ، فيستجاب لطلابهم وتقبل منهم أعمالهم وهم فرحون
مستبشرين ، فغداً سيصرفون ويأكلون ويتمتعون ، ويتعرف منهم إلى الرفاهية من لم
يتعرف... هذا هو ما يطنطن به معاليه ليل نهار ويدلّس به على سادته وكبرائه على أنه
(التطوير!!!)

كل كبير وصغير في أي جامعة يعرف حقيقة كلامي هذا ويعرف أن ما يسمونه
التطوير حالياً هو : تدليس .. تدليس .. تدليس ، وأي محاولة لنفي هذه الحقائق هي محاولة
لستر عيب مفضوح ، أو محاولة لتجميل واقع مريع، ولا دافع لهذا كله عندي ، وعند أصغر
دارس للصحة النفسية ، إلا : الجوع ، وحده !! وفقر النفوس واحتراف النفاق .

وهناك أدلة كثيرة للتثبت مما قلت :

- فأنا أتحدى أن يحضر عضو هيئة تدريس واحد على مستوى الوطن كله تلك

الجامعات بالقياس إلى عدد السكان ، فإسرائيل (٦ مليون) بها سبع وعشرون جامعة وعدد ضخم من المعاهد العليا والأردن (خمسة ملايين) بها إحدى وعشرون جامعة غير الجامعات الخاصة

• ومشكلة ضعف تلاميذ التعليم العام سببتها الحكومات الثلاث الأخيرة ففي الست السنوات الماضية تم إنقاص المقبولين بكليات التربية من ٤٢ ألفا إلى ١٤ ألفا بالتدريج ، فإذا أضفنا إلى عامل الإنقاص الحاد توقف الحكومة عن تعيين من تخرجوا ، وأخذنا في الاعتبار من ماتوا ومن سافروا ومن أحيلوا للمعاش ، ورأينا كيف تسد الوزيرة هذا العجز الصارخ - الذي صنعه !! - بأئمة المساجد والمهندسين الزراعيين ومفتشي المساحة وبيعة اللب ، لأمكننا أن نتفاءل حقا بتعليم أفضل تتحقق له الجودة والاعتماد... على الله !!

=====